جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

قسم التاريخ

إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي

من سنة ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م

إعداد:

أسامة أحمد عبد الرحمن حمد

إشراف:

د. محمود عطا الله

ذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في قسم التاريخ

ة الدراسات العليا – قسم التاريخ – جامعة النجاح الوطنية

نابلس – فلسطين

١٤٢١هـ/٢٠٠١م

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢١/ ٤ / ٢٠٠١م

أعضاء لجنة المناقشة:

١) د. محمود عطا الله .... رئيساً

٢) د.حاتم محاميد ....عضواً

٣)أ.د.نظام عباسي........................عضواً

٤) د. عدنان ملحم ....عضواً

الإهـــداء

إلى والدّي العزيزين ...

وزوجتي الحبيبة، وولدي عبد الرحمن، وإسراء

إلى شهداء فلسطين ....

حباً، وعرفاناً، إلى الأبد

أسامة

شكر وتقدير

يسعدني أن أتقدم بالشكر إلى كل من مد يد العون والمساعدة لي، وأخص بالذكر الدكتور محمود عطا الله لإشرافه على هذه الدراسة، ولتقديمه النصح والإرشاد والتوجيه أثناء فترة إعدادها.

ولا يفوتني هنا إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير الى أستاذي الدكتور سعيد البيشاوي الذي أعطاني من وقته، وجهده الكثير وأمدني بمجموعة قيمة من مصادر مكتبه، كما تكرم بقراءة فصول الرسالة، وأبدى ملاحظاته القيمة حولها. كما أشكره لجهده في تعليمي مبادىء اللغة اللاتينية. كما وأتقدم بالشكر للدكتور نظام عباسي لقيامه بترجمة مصادر مهمة من اللغة الألمانية، والأستاذ زهير سعادة لقيامه بترجمة مصادر مهمة من اللغة الفرنسية، أما أستاذي الدكتور زهير إبراهيم فله شكري وتقديري لقيامه بتدقيق الرسالة من الناحية النحوية واللغوية.

وأتوجه بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الدكتور حاتم محاميد والدكتور عدنان ملحم والدكتور نظام عباسي لتفضلهم بمناقشة هذه الدراسة.

ولن أنسى جهود العاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية ومكتبة بلدية نابلس ومركز التوثيق.

المحتويـــات

الموضـــوع	الصفحـــة

الفصل الثالث ١٠٦-٧٦

دور إقطاعية بيسان العسكري في محاربة المسلمين

٤٩٤-٥٨٣هـ/١١٠١-١١٨٧م

الفصل الرابع ١٠٧-١٣٧

بيسان في العصر الإسلامي ٥٨٣-٦٩٠هـ/١١٨٧-١٢٩١م:

الرموز والمختصرات

أ- المختصرات العربية

أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي :

١) إذا استخدم الباحث كتاباً واحداً للمؤلف فإنه يذكر في الهامش اسم الشهرة للمؤلف، ورقم الجزء، ورقم الصفحة. مثلاً:-

ابن واصل :٣/٥٢.

٢) إذا استخدم الباحث اكثر من كتاب للمؤلف فإنه يذكر في الهامش اسم الشهرة للمؤلف، واسم المقطع الأول من الكتاب. مثلاً:-

ابن الأثير: الكامل ٨/٥٩.

٣) إذا استخدم الباحث كتاباً يحتوي على عدة أجزاء وأقسام فإنه يذكر في الهامش رقم الجزء، ثم رقم القسم. مثلاً:-

سبط ابن الجوزي : ٨:٢/٢١٩.

الدباغ: بلادنا : ٦:١/٥١٢

٤) إذا استخدم الباحث مقالة ، فإنه يذكر في الهامش اسم كاتب المقالة، واسم المقالة، واسم المجلة. مثلاً:-

الحياري: حصن حبيس جلدك، دراسات ١٢/٣٠.

La Monte and Norton:The Lords of Bethsan,Medicievalia et Humanistica 3/45.

ب- الرموز التالية تعني ما يلي:

الكلمة		الرمز
توفي	:	ت
الجزء	:	ج
دون تاريخ نشر	:	د.ت
دون طبعة	:	د.ط
دون ناشر	:	د.ن
دون مكان نشر	:	د.م
الطبعة	:	ط
العدد	:	ع
قبل الميلاد	:	ق.م
كيلو متر	:	كم
متر	:	م
المصدر نفسه	:	م ن
مجلد	:	مج
ميلادي	:	م
هجري	:	هـ
درجة	:	o

ب-   المختصرات الأجنبية

1.	Act. No.	:	Act Number
2.	Doc. No.	:	Documents Number
3.	Ed.	:	Editor
4.	Enc	:	Encyclopedia
5.	Loc, cit	:	(L.Loco citato) in the place
6.	Op.cit	:	(L.opere citatoe) in the work
7.	P.	:	Page
8.	P.P.	:	From page to page
9.	Tr.	:	Translated
10.	Vol.	:	Volume

ج- مختصرات مجموعة الحروب الفرنجية

1) A.O.L.
Les Archives de l'Orient Latin

2) B.E.F.A.R.
Bibliotheque des Ecoles Francaises d'Athens et de Rome

3) P.P.T.S.
Palestine Pilgrims Text Society.

4) R.O.L.
Revue de l'Orient Latin.

5) R.H.C.H. Occ.
Recuiel des Historians des Croisades, Historiiens Occidentaux

6) Setton
Setton , K.M.A History of the Crusades

7) Z.D.P.V.
Zeitschrift des deutschen Palastina Vereins.

الملخص باللغة العربية

عرفت المدينة أسماء عديدة ومنها بيت شان، بيسان، وسكيثوبوليس، ونيسا، ومدينة الشمس.

بنى مدينة بيسان الكنعانيون سنة ٤٠٠٠ ق.م، وقد تكالب على حكمها حضارات وشعوب عديدة، حيث حكمها المصريون في القرن ١٥ ق.م، ثم الإسرائيليون في القرن ١٢ ق.م، وفي سنة ٧٢١ ق.م استولى عليها الآشوريون، وبعدها خضعت لحكم الفرس سنة ٥٣٨ ق.م، احتلها الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ ق.م.

آلت مدينة بيسان إلى حكم البطالسة سنة ٣٠٢ ق.م، ثم خضعت للسلوقيين ٢٢٣-١٨٧ ق.م، وفي سنة ١٢٩ ق.م دمرت على يد يوحنا هركانوس المكابي، وأعاد بناؤها الرومان سنة ٦٢ ق.م، ودخلت في حلف المدن العشر (Decapolis)، ثم أصبحت عاصمة لفلسطين الثانية سنة ٤٠٠م في عصر الإمبراطورية الشرقية (البيزنطية).

في سنة ٦١٤م خضعت للحكم الفارسي، ثم عادت لحكم الإمبراطورية الرومانية سنة ٦٢٩م إلا أن هذا لم يدم طويلا إذ استطاع العرب المسلمين من فتحها عنوة سنة ١٣هـ/٦٣٤م بعد معركة فحل، ونقلوا العاصمة منها إلى طبرية.

بقيت مدينة بيسان تحت رعاية الخلافة الإسلامية حتى سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، حيث خضعت لحكم الإمبراطورية البيزنطية بقيادة الإمبراطور يوحنا تزمسكس Jeant Zimiseces إذ عين حاكما عسكريا عليها، وأعاد لها مكانتها السابقة إلا أن هذا لم يدم طويلا إذ ترك الإمبراطور البيزنطي المنطقة وعاد إلى بلاده سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م.

تمكن السلاجقة من الاستيلاء على المدينة سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م وبعدها احتدم الصراع ما بينهم وبين الفاطميين على الشام فأصبحت تارة تتبع الدولة السلجوقية وتارة تتبع الدولة الفاطمية إلى أن احتلها الفرنجة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م بقيادة تانكرد Tancerd بعد معركة عسقلان.

تعد مدينة بيسان مفتاح الجليل بالنسبة للفرنجة إذ انطلق تانكرد Tancerd منها للسيطرة على باقي الإقليم لتأسيس إمارته في شوال سنة ٤٩٢هـ/أواخر آب ١٠٩٩م، وفي ٦ جمادى الأولى سنة ٤٩٥هـ/٩ آذار ١١٠١م تم تأسيس إقطاعية بيسان على يد آدم Adam حاكم بيثون Bethun بعد أن اقطعه إياها ملك بيت المقدس بلدوين الأول Baldwin I .

بلغت مساحة إقطاعية بيسان حوالي ٢٥٠ كم٢ حيث ضمت المنطقة الواقعة بين جبال السامرة (نابلس) جنوباً، وحتى التقاء نهر اليرموك مع نهر الأردن شمالاً، ومنابع نهر جالوت وخربة طبعون غرباً، ونهر الأردن شرقاً، ثم اتسعت لتشمل المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن، وجنوب نهر اليرموك.

عرفت الإقطاعية نظام الحكم الإقطاعي الغربي والذي تألف من السيد الإقطاعي أعلى سلطة فيها، ثم الفيسكونت وهو مسؤول عن حفظ الأمن، والنظام والمحتسب وكان يساعد الفيسكونت وينوب عنه في غيابه، ويشرف على آداب الطريق ومنع الغش والبالي ويؤكل إليه رئاسة محكمة المدينة، وكان لكل قرية رئيس أو مختار، كما أوجد الفرنجة نظاماً قضائياً مرتبط بالنظام الإقطاعي ارتباطاً وثيقاً، ولهذا قاموا على تأسيس مجموعة من المحاكم عرفت الإقطاعية منها المحكمة العليا والتي عقدت في بيسان سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، والمحكمة الوطنية، والمحكمة البرجوازية ومحكمة الرئيس.

عمل الفرنجة على بناء المستوطنات في الإقطاعية ومنها البيرة ويبلى كما عمدوا إلى بناء القلاع والحصون في إقطاعية بيسان بهدف الدفاع عن المناطق المحيطة بها، ومركز للإدارة الأراضي التابعة لها ومنها قلعة بيسان، وكوكب الهواء، وعفربلا، الفولة وحصن حبيس جلدك.

شاركت إقطاعية بيسان ملك بيت المقدس في محاربة المسلمين من سنة ٤٩٥-٥٨٣هـ/١١٠١-١١٨٧م، إذ كانت تسهم في جيش مملكة بيت المقدس بخمسة عشر فارساً ومائة وخمسة وعشرين سرجندي، وقد شاركت في التصدي للجيش الفاطمي في حملة الرملة الأولى في ١٠ ذي القعدة سنة ٤٩٥هـ/٦ أيلول ١١٠١م، كما ظهر دورها بقيادة آدم Adam في محاربة الفاطميين في حملة الرملة الثانية في ٣ رجب ٤٩٦هـ/٢٠ أيار ١١٠٢م، كما شاركت في احتلال مدينة أرسوف وقيسارية سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م،وعكا في شعبان ٤٩٧هـ/أيار ١١٠٤م، وصور في سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م، وعسقلان في ٢٦ جمادى الأولى ٥٤٨هـ/١٩ آب ١١٥٣م.

لعبت بيسان دوراً بارزاً في الصراع بين مملكة بيت المقدس الفرنجية، وإمارة دمشق، إذ شاركت ملك بيت المقدس في غاراته المتكررة على إقليم السواد ٤٩٩هـ/١١٠٥م، ٥٠٢هـ/١١٠٨م، ٥٠٥هـ/١١١١م، كما شاركت الإقطاعية إلى جانب مملكة بيت المقدس في الهجوم على مدينة دمشق منذ ٥٤٣هـ/١١٤٨م بعد أن اتخذ المجلس الحربي الأعلى للمملكة بحضور هيو سيد بيسان قرار يقضي بمحاربة إمارة دمشق.

تعرضت إقطاعية بيسان لسلسلة من الهجمات كانت في المرحلة الأولى منها عبارة عن ردة فعل لما قام به بلدوين الثاني Baldwin II من الاعتداءات على إقليم السواد وحوران ومثال ذلك ما قام به دقاق بالهجوم على بيسان سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م، وظهير الدين طغتكين سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م، ٥٠٧هـ/١١١٣م، وبزواش سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م.

ونور الدين سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م، ثم تحولت في المرحلة الثانية إلى حرب تحريرية عندما خرج صلاح الدين (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) من مصر إلى بلاد الشام حيث بدا بتوجيه غاراته إلى بيسان وإقليم الجليل بقيادة عز الدين فروخشاه سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م بهدف التخريب وإضعاف العدو، والتي انتهت بالحرب التحريرية التي قادها ضد مملكة بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، حيث تمكن من تحرير المدينة قبل بدء المعركة.

اتخذ صلاح الدين من بيسان بعد معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م نقطة انطلاق لتحرير ما تبقى من القلاع والحصون في الإقطاعية والمدن الفلسطينية، ثم عين صارم الدين والياً عليها، والذي شارك بقواته في محاربة الحملة الفرنجية الثالثة على فلسطين سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، والتي أنتهت بتوقيع صلح الرملة في ٢٢ شعبان ٥٨٨هـ/٤ أيلول ١١٩٢م حيث احتفظ المسلمون من خلالها بمدينة بيسان والمدن الداخلية.

لعب والي بيسان عز الدين أسامة في توسيع شقة الخلاف في البيت الأيوبي بعد وفاة السلطان صلاح الدين في ٢٧ صفر ٥٨٩هـ/٤ آذار ١١٩٣، إذ انحاز إلى الأفضل مما شجع الفرنجة على مهاجمة بيسان وإقليم الجليل سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

قام المعظم عيسى بسجن عز الدين أسامة ومصادرة أملاكه في سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، وفي سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م تعرضت إقطاعية بيسان لهجوم من قبل الفرنجة بقيادة يوحنا برين فنهب ما بها من الغلال، وحاصر قلعة الطور إلا أنه فشل في الاستيلاء عليها، وقد بذل قنديل قائد بيسان جهداً كبيراً في الدفاع عنها، كما شارك أهالي بيسان إلى جانب أهالي نابلس، والخليل في الهجوم على نصارى بيت المقدس سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، وفي سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م انتقلت

إلى الصالح نجم الدين أيوب (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، ثم آلت إلى حكم المعظم تورانشاه سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م.

وقع الصراع ما بين المماليك والأيوبيين على الشام سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م انتهى بأن كانت بيسان من نصيب الناصر داود، وفي سنة ٦٥٥هـ/١٢٦٦م. وقعت بيسان تحت الاحتلال المغولي، وبقيت إلى أن تمكن قطز من هزيمتهم في عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ/١٥ أيلول ١٢٦٠م.

حظيت بيسان باهتمام المماليك إذ قام قطز (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) بإقطاعها للأمير شمس الدين البرلي، وقام السلطان الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) على تشييد الجسور، ودور البريد، والمشاهد فيها وأصبحت تمثل بيسان مركز ولاية تابعة لنيابة القدس حيث شاركت المماليك في محاربتهم للفرنجة حتى تحرير كامل المدن الفلسطينية من الاحتلال الفرنجي سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١.

يتألف المجتمع في إقطاعية بيسان من عدة عناصر سكانية اعتنقت الديانات السماوية الثلاث، إلا أن هذا المجتمع قام على أساس طبقي سادته مجموعة من العادات والتقاليد.

وقد أصيبت الحياة العلمية بانتكاسه خطيرة ناتجة عن سياسة المستعمر الفرنجي والتي أدت إلى هجرة علماء المدينة عنها، كما اقتصر التعليم عند الفرنجة على التعاليم الدينية التي بقيت محصورة داخل الكنائس.

تقوم الحياة الاقتصادية في إقطاعية بيسان على ثلاثة ركائز أساسية وهي الزراعة والصناعة والتجارة، إلا أن سياسة المستعمر الفرنجي تركت آثار سلبية عليها لكثرة المنح والهبات للهيئات الدينية، والضرائب المادية، والعينية، كما كانت الإقطاعية ملزمة بتقديم عدد من الفرسان والسرجندية في محاربة المسلمين أضف إلى ذلك الكوارث الطبيعية الزلازل والأوبئة.

عرفت الإقطاعية فترة الصراع الإسلامي الفرنجي العديد من فنون العمارة، والبناء ومنها بناء القلاع والحصون والأبراج والجسور والحمامات والمشاهد.

المقدمة

نالت فترة الحروب الفرنجية اهتمام المؤرخين الحديثين في الغرب والشرق على حد سواء؛ باعتبارها حلقة هامة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب في العصور الوسطى؛ وذلك لما تركته من آثار في تاريخ كثير من الأمم، وما ترتب عليها من نتائج هامة.

وقد اتجهت بعض الدراسات الحديثة إلى دراسة تاريخ المدن الفلسطينية في العصر الفرنجي، ولم تحظ مدينة بيسان بنصيب من هذه الدراسات، إذ جاء الحديث عن المدينة والزمام الزراعي المحيط بها في سياق تلك الدراسات من خلال إشارات مقتضبة، علماً بأن المدينة حظيت بمكانة مرموقة في هذه الحقبة، إذ كانت مقراً لإقطاعية من أهم إقطاعيات المملكة الفرنجية، إلى جانب نموها وازدهارها في جميع الميادين المختلفة، فكانت أحد المراكز التجارية المهمة في منطقة شمال فلسطين، فهي واقعة على الطريق التي تربط دمشق بالقاهرة؛ الأمر الذي أدى إلى نشاط كبير في الحركة التجارية سواء كانت الداخلية أم الخارجية، أضف إلى ذلك أنها كانت مركزاً مهماً للإنتاج الزراعي بسبب توافر المياه، وخصوبة التربة.

لقد وقع اختيار الباحث على إقطاعية بيسان لما تتمتع به من موقع جغرافي، واستراتيجي مميز، وعلاوة على ذلك فإن الإقطاعية لم تدرس من قبل الباحثين، علماً بأنها لعبت دوراً ملموساً في تاريخ الحركة الفرنجية بصفة عامة، وفي تاريخ المملكة الفرنجية بصفة خاصة.

وبالإضافة إلى النقاط سالفة الذكر، كان للمدينة تأثير واضح على العلاقات السياسية والاقتصادية بين الفرنج والمسلمين في بلاد الشام. فقد مثلت مركز ثقل في الصراع الإسلامي الفرنجي لسنوات طويلة. وقد رأى الباحث أن يبرز الجوانب السياسية والعسكرية والحضارية المختلفة لإقطاعية بيسان في العصر الفرنجي وجعل عنوان بحثه "إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي من سنة ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م.

وقسم الباحث هذه الدراسة إلى خمسة فصول، سبقها مقدمة اشتملت على دراسة نقدية لأهم مصادر البحث. حيث تناول الفصل الأول "بيسان منذ أقدم العصور وحتى بداية الغزو الفرنجي للأراضي المقدسة ٤٠٠٠ق.م-٤٩٢هـ/١٠٩٩م، وعرّف الباحث بتسميات المدينة المختلفة، ثم تطرّق إلى الموقع، والحدود، والتضاريس، والمناخ، وموارد المياه وأهم القرى المحيطة بمدينة بيسان، ثم تناول الدول التي تعاقبت على حكم بيسان حتى قدوم الفرنجة.

أما الفصل الثاني فقد جعل الباحث عنوانه " تأسيس إقطاعية بيسان الفرنجية ونظام الحكم والإدارة فيها ٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م"، وتضمن هذا الفصل دراسة الغزو الفرنجي لمنطقة بيسان، والظروف المحيطة به، ثم تحدث الباحث عن جهود تانكرد في الاستيلاء على إقليم الجليل، وعلاقاته بالقوى الإسلامية المجاورة. ثم تناول الباحث بالمناقشة قضية قيام إقطاعية بيسان في سنة

٤٩٥هـ/١١٠١م، واستعرض حكام الإقطاعية وجهودهم في محاربة المسلمين، ثم انتقل للحديث عن الإدارة ونظم الحكم في الإقطاعية. واختتم الفصل بالإشارة إلى أهم الحصون والقلاع الفرنجية في إقطاعية بيسان.

وفي الفصل الثالث وعنوانه "دور إقطاعية بيسان العسكري في محاربة المسلمين ٤٩٥-٥٨٣هـ/١١٠١-١١٨٧م "، تناول الباحث ما أسهمت به الإقطاعية في خدمة المجهود العسكري للمملكة، ثم تعرض لدور بيسان في حملات الرملة الثلاث، كما ابرز دورها في إتمام السيطرة على المدن الساحلية الفلسطينية، وبالإضافة إلى ذلك تتبع الصراع العسكري بين إقطاعية بيسان وإمارة دمشق، وأوضح دور الإقطاعية في محاربة المسلمين، ثم دورها في الدفاع عن مملكة بيت المقدس الفرنجية.

وفيما يتعلق بالفصل الرابع فقد كان عنوانه "بيسان في العصر الإسلامي ٥٨٣-٦٩٠هـ/١١٨٧-١٢٩١م" تناول فيه الباحث أوضاع بيسان حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، كم تحدث عن بيسان خلال فترة الصراع بين ورثة صلاح الدين على الشام ٥٨٩-٦٠٧هـ/١١٩٣-١٢١٠م، ثم أشار إلى أوضاع المدينة في ظل حكم المعظم عيسى بن السلطان العادل وعلاقتها بالفرنج سنة ٥٩٧-٦٢٤هـ/١٢٠١-١٢٢٧م، كما استعرض أوضاع بيسان منذ قدوم التتار إلى فلسطين وحتى قيام الدولة المملوكية، وبعد ذلك تحدث الباحث عن أحوال بيسان في عهد سلاطين المماليك الأوائل الذين اسهموا في القضاء على النفوذ الفرنجي في بلاد الشام.

أما الفصل الخامس فهو بعنوان " الحياة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والعمرانية في إقطاعية بيسان خلال فترة الصراع الإسلامي الفرنجي ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١١٩١م"، وفيه تناول الباحث الأحوال الاجتماعية من حيث البنية السكانية، والدين، واللغة، والعادات، والتقاليد. ثم تطرق الباحث للحياة الثقافية في بيسان مقارناً ما كانت عليه في ظل السيادة الإسلامية، مع ما أضحت عليه في ظل الاحتلال الفرنجي، كما تناول الأحوال الاقتصادية لبيسان من حيث أنواع الأراضي الزراعية، ثم الزراعة، والصناعة، والتجارة، وأخيراً اختتم الباحث الفصل بالحديث عن المنشآت العمرانية في بيسان في العصر الفرنجي، وكذلك المنشآت العمرانية التي أقامها المسلمون في العصرين الأيوبي والمملوكي وأخيراً وضع الباحث خاتمة لبحثه، تعرض فيها لأهم القضايا والنقاط التي تم تحليلها وأهم النتائج التي تم التوصل إليها. وذيل البحث بمجموعة من الملاحق والخرائط التي تقدم المزيد من المعلومات، وتخدم هذه الدراسة تماماً.

تتطلب دراسة الحروب الفرنجية الرجوع إلى المصادر المتنوعة الأجنبية منها والعربية؛ وذلك لمعرفة وجهتي النظر الأجنبية والإسلامية وإجراء الموازنات والمقارنات بين الأحداث التاريخية المختلفة؛ من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية المجردة بعيداً عن الأهواء والميول، لذا لا غنى للباحثين في تاريخ الحروب الفرنجية من الاعتماد عليها مجتمعة.

ولما كان موضوع البحث يتناول دراسة "إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الفرنجي الإسلامي ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩٠م"، كان لا بد من الاعتماد على المصادر الأصلية الأجنبية والعربية منها للتعرف على أحوال بيسان في هذه الحقبة من التاريخ.

المصادر الأجنبية:

يعتبر كتاب **"سجل كنيسة القيامة في بيت المقدس" Le Cartulaire de Chapitre de Saint Sepulcre de Jerusalem** من أهم المصادر الأجنبية التي رجع إليها الباحث، وقد قامت الباحثة الفرنسية جنفييف برسك بوتيه Genevieve Bresc Bautier بنشر وثائق السجل باللغة اللاتينية في باريس سنة ١٩٨٤م بعناية فائقة مع فهارس كاملة للإعلام والأماكن والمصطلحات، كما قامت بوضع ملخص باللغة الفرنسية لكل وثيقة من الوثائق التي ورد ذكرها.

وقد زودني هذا السجل بمعلومات في غاية الأهمية عن حجم المنح والاقطاعات والهبات التي قام سادة بيسان بمنحها للكنائس، والأديرة، والمنظمات الرهبانية العسكرية(١). كما زودني بمعلومات عن الحكام الذين تولوا إقطاعية بيسان،فتمكن الباحث من خلاله التعرف على معظم هؤلاء الحكام الذين كانوا يقومون بالتوقيع على المراسيم والوثائق الواردة فيه(٢).

ومن الوثائق الهامة التي أثرت البحث بمعلومات قيمة " **عقود وامتيازات الأرض المقدسة الخاصة بدير القديسة مريم في وادي جوسفات***" المكتوبة باللغة اللاتينية، والتي قام بنشرها هنري ديلابورد H.F.Delaborde بعنوان **"Chartes de Terre Sainte Provenant de L'abbaye de Notre –Dam de Josaphat"** في باريس سنة ١٨٨٠م. وتكمن أهمية هذه الوثائق والعقود والامتيازات في أنها زودتني بمعلومات مهمة عن حجم الإقطاعات والمنح التي حصل عليها دير القديسة مريم في وادي جوسفات

---

(١) Genevieve: Cartulaire 1/20/21 . 84/78

(٢) Genevieve: Cartulaire 74/148-150. 75/814

* وادي جوسفات(يهوشافاط): يمتد شرقي بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقاً وجبل موريا غرباً. وقد أطلق عليه المؤرخون في العصور الوسطى اسم وادي جهنم (Jehenam)، ويعد جزءاً من وادي قدرون Brook of Kidron. ويعرف وادي جوسفات بعدة أسماء منها "وادي مريم"، "وادي النار"، "وادي سلوان" وهو عميقٌ إلى حدٍ ما. ينظر: بورشارد:٧١-٧٢؛ الدباغ: بلادنا ٢:٨/١٥-١٧.

في إقطاعية بيسان(١).

ومن المصادر المهمة التي اعتمد عليها الباحث كتاب **قوانين بيت المقدس** Assises de Jerusalem والذي نشر باللاتينية في جزئين ضمن مجموعة الحروب الصليبية ١٨٤١-١٨٤٣م وأعيد نشره في ١٩٨٣م بنفس الشكل والمحتوى، وقد دونت هذه القوانين في القرون ٧ هـ/٨ م، ووضعها مجموعة من القانونيين الفرنجة الذين عاشوا في مملكة بيت المقدس.

أفاد الباحث من هذه القوانين بمعلومات أثرت البحث كثيرا فعلى سبيل المثال قدم يوحنا الابليني Jean d'Iblen معلومات عن مدى إسهام إقطاعية بيسان في الخدمة العسكرية سواء كان من الفرسان أو السرجندية* التي كانت تقدمهم لمملكة بيت المقدس الفرنجية(٢). كما زود هذا المصدر البحث بمعلومات عن المحاكم البرجوازية وغيرها التي وجدت داخل الإقطاعية الأمر الذي كشف عن الوضع الإداري القائم في الإقطاعية(٣).

ومن المصادر الفرنجية التي اعتمد عليها الباحث كتاب **أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس** Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium لفوشيه الشارتري**، والكتاب مدون باللغة اللاتينية، واعتمد الباحث على الترجمة العربية لـ زياد العسلي بعنوان "تاريخ الحملة إلى القدس"، نشر في عمان سنة ١٩٩٠م والتي نقلها عن الترجمة الإنجليزية لفرنسيس ريتاريان.

وتنبع أهمية هذا الكتاب من أن مؤلفه كان معاصرا لأحداث الحملة الفرنجية الأولى، كما كان شاهدا لمعظم الأحداث التي دونها في كتابه، فضلا عن المعلومات والأخبار التي استقاها من شهود العيان، ومن الخطابات المرسلة من بيت المقدس إلى الغرب الأوروبي. ولذلك يعتبر كتابه من المصادر الهامة لدراسة الحروب الفرنجية. وقد زود الباحث بمعلومات مهمة خاصة عن الصراع

---

(١) Delaborde: Charts 2/93, 6/29-34

(٢) Jean d'Iblin : 1/423, 427, 428

* السرجندي Sergeants: مصطلح كان يطلق على الفرسان الذين يحملون الأسلحة الخفيفة، وقد ذكر العماد الأصفهاني في حوادث سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م "أن السرجندي كرار" ويفهم من كلامه انه فارس خفيف يستخدم للهجوم. ينظر: الأصفهاني: الفتح القسي٤٠٣، وذكر براور أن السرجندي يكون أحيانا من رجال المشاة وأحيانا أخرى من الفرسان أي انه يحارب وهو راكب حصان. ينظر: Prawer: The Latin 163

(٣) Jean d'Iblin : 1/410

**فوشيه الشارتري :ولد فوشيه بمدينة شارتر بفرنسا في الفترة الواقعة بين سنتي ٤٥٠-٤٥١هـ/ ١٠٥٨-١٠٥٩م، واشترك في الحملة الفرنجية الأولى في شوال سنة ٤٨٩هـ / تشرين الأول سنة ١٠٩٦م، ضمن قوات روبرت دوق نورمانديا، وكونت فلاندر، وستيفن كونت بلوا وشارتر. وكان فوشيه مرافقا لبلدوين الأول، وأقام معه في الرها نحو سنتين، ثم حضر معه إلى بيت المقدس، وبقي ملازما له حتى وفاته سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، أما فوشيه فقد مكث في بيت المقدس حتى ٥٢١هـ/١١٢٧م. ينظر: الشارتري: ٧-١١؛ العريني: مؤرخو ٣٧-٤٤؛ يوسف: العرب ٧.

الذي اندلع بين تـانكرد* وبلدوين الأول** والذي نتج عنه ترك تانكرد لفلسـطين والرحيـل إلـى إنطاكية*** في جمادى الأولى٤٩٤هـ/آذار١١٠١م.وهنا انفرد فوشيه عن غيره من المؤرخين بذكر الدعوة التي أرسلها أهل إنطاكية إلى تانكرد للقدوم لتولي إمارتهم خلفاً لخاله بوهمند**** الذي وقـع في أسر المسلمين(١).

كما أمد فوشيه الباحث بمعلومات دقيقة عن مدى تأثر الفرنجة بالبيئة الشـرقية، واختلاطـهم بالسكان الأصليين، وزواجهم بالمسيحيات الشرقيات واهتمامهم بحراثـة الأرض وزراعـة أشـجار الكرمة وما نتج عن تلك المصاهرة من ظهور عنصر سكاني جديد وهم المولدون(٢).

وقد أغفل فوشـيه ذكر العديد من الأحداث والقضايا البارزة، على الرغم أنه كان معـاصراً لأحداث الحملة الأولى، فلم يشـر إلى تاريخ سقوط بيسان، وتأسيس الإقطاعية، وذلك لعـدم وقـوع أحـداث يظهر بها شـجاعة الفرنج، خاصة أنه كان منحـازاً في كتاباته فهو افتخر بانتصاراتـهم، وبالغ في عدد أعدائهم في الوقائـع، وقلل من عـدد جنودهم ليظهر تفوقهم في فنون الحـرب مثـل معركـة عسـقلان***** ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. وربمـا أن وجـوده إلى جانب بـلـدوين الأول في

---

* تانكرد : هو أحد الأمراء النورمان القادمين من إيطاليا. ينتمي لأسرة شهيرة فوالده هو المـاركيز ادو بونـز Odo Bones ووالدته إما Emma ابنة روبرت جويسكارد. شارك في أحداث الحملة الفرنجية الأولى إلى جانب جودفري وبرز في فتح بيت المقدس ومعركة عسقلان. ينظر: الصوري ١/٦٩-١٣٤ Raoul: 605-703

** بلدوين الأول Baldwin I: أحد نبلاء الفرنجة الذين صاحبوا الحملة الفرنجية الأولى حيث انفصل عنهم وأسس إمارة الرهـا اللاتينية ثم توجه إلى بيت المقدس بعد وفاة أخيه جودفري ٤٩٣هـ/١١٠٠م، وتوج ملكاً لبيت المقـدس حتـى وفاتـه سـنة ٥١٢هـ/١١١٨م. ينظر: الشارتري ١١١؛ الصوري ١/٤٨٨؛ Albert d'Aix: 536-537

*** أنطاكية: مدينة في شمال سورية، ضمن لواء الإسكندرية، أقام بها الفرنجة إمارة منذ احتلالـها سـنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م بزعامة بوهيموند الأول واستمرت سيطرتهم علـى هـذه الإمـارة حتـى اسـتعادها المسـلمون سـنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م. ينظر: الإدريسي ٢/٦٤٥؛ الهروي: الإشارات ٦؛ القزويني ١٠٥-١٥١؛ الصوري ١/٢٧٤-٢٧٨؛ عطية: إمارة ٨٢-٨٤.

(١) الشارتري : ١٠٣-١١٣.

(٢) م.ن : ٢٢٨-٢٢٩.

**** بوهمند: هو أحد الأمراء النورمان القادمين من إيطاليا، حكم أنطاكية ٦ شهور وقع اسيراً في يد الأتراك السـلاجقة سـنة ٤٩٤هـ/١١٠١م وأطلق سراحه سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م. ينظر: الشارتري ٨٢-٨٤،١٣٠.

***** عسقلان: هي مدينة كنعانية عرفت باسم اشقلون (Ashchalon) وبقيت تحمل هذا الاسم حتى سنة ٦٤ ق.م ثم تحـول في العهد الروماني إلى اسقلون وعرفت باسم عسقلان منذ الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام. وهي تقع بين غزة وبيت جبرين على ساحل البحر وهي من أعمال فلسطين سقطت بيد المستعمر الفرنجي سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، وفتحت من قبل صلاح الدين بعد معركة حطين في أواخر جمادى الآخرة سنة ٥٨٣هـ/أواخر آب ١١٨٧م. ينظر: الحموي، ياقوت:معجم البلـدان ٤/١٢٢؛ العارف:الموجز ٥٠؛ المسحال: ٢٢-٢٤،١١٩، ١٥٨.

الرها*، وعدم رغبته في إبراز دور الأمير تانكرد دفعه إلى إهمال بعض الأحداث، خاصة وأنه كان مناصراً ومرافقاً لبلدوين الأول الذي كان على علاقة سيئة مع الأمير تانكرد.

ويعد كتاب "تاريخ بيت المقدس" **Historia Hieroslimitana** لألبرت دكس Albert d'Aix** المكتوب باللغة اللاتينية من المصادر الهامة لدراسة الحملة الفرنجية الأولى وقيام مملكة بيت المقدس. وعلى الرغم من أن البرت لم يأت إلى الشرق، إلا أنه وضع كتاباً هاماً عن الحملة الفرنجية الأولى، وعن أحوال الفرنجة في الأراضي المقدسة.

اعتمد البرت في كتابة تاريخه المعروف باسم "**تاريخ بيت المقدس**" على ما سمعه ممن اشترك في الحملة الأولى، فضلاً عما استقاه من المصادر المعروفة وبعض المراسلات، ويبدو أنه أخذ عن بعض المصادر التي لم تصل إلينا، وهو يعد من أكثر المصادر الأجنبية التي تعرضت لأحداث الحملة الفرنجية بشكل مفصل إذ أورد بيانات وأحداثاً لم ترد في المصادر الأخرى(١).

وزود ألبرت دكس الباحث بكثير من المعلومات الدقيقة الخاصة ببعض الشخصيات الفرنجية الإقطاعية، من أمثال: جالديمار كاربنيل*** وتانكرد. كذلك أفاد المصدر معلومات مهمة عن الخلافات التي نشبت بين جالديمار كاربنيل وتانكرد حول إقطاعية حيفا****(٢)، كما تحدث عن قيام

---

* الرها:عرفت قديما باسم اورخاي بمعنى خياسا أو مدينة الخايين وذكرها السريان باسم "اورهاي" واخذ العرب عنهم التسمية وقالوا الرها،وهي تقع شرقي نهر الفرات داخل الحدود التركية على بعد ٢٠ميلا إلى الشمال من حاران(حران).والاسم القديم للمدينة هو اورفة والتقليد الشائع عند بعض الطوائف هو أن إبراهيم الخليل أقام فيها، ويستشهدون على ذلك بالمغارة الواقعة عند سفح الجبل إلى الجنوب الشرقي من المدينة حيث ولد إبراهيم عليه السلام، ويوجد هناك بركة يقال لها بركة إبراهيم الخليل واشتهرت بأنها عاصمة أول مملكة مسيحية، وكانت الرها من المراكز الدينية الكبرى في عهد الإمبراطورية البيزنطية، وقد افتتحها عياض بن غنم سنة ١١٧هـ/٧٣٨م وبقيت بيد المسلمين حتى استولى عليها الفرنجة ٤٩١هـ/١٠٩٨م. ينظر: بورشارد: ٢٣،١١٦؛ سوسة: ٢/٣٤٨-٣٨١؛العسلي:٤/٢٩٩.

(١)يوسف: العرب ١١.

** ينتمي البرت مؤلف كتاب تاريخ بيت المقدس لمدينة اكس الألمانية وليست البروفانسيه على عكس ما كان يعتقد الكتاب القدامى. وكان البرت كاهنا وأمينا لكنيسة ايكس Aix ولم تمدنا المصادر المعاصرة، ولا حتى المراجع الحديثة بأية معلومات عن اسمه الكامل أو عن اسم أسرته، كما أن المصادر لم تشر إلى تاريخ ولادته أو وفاته. ينظر: يوسف: العرب ١٠؛ العريني: مؤرخو ٧٦؛ البيشاوي: الممتلكات ٣٥ هامش(١).

*** جالديمار كاربنيل:هو من بين الفرسان الذين اشتركوا مع الجيش الفرنجي بالاستيلاء على مدينة حيفا،وبعد أن ضم تانكرد حيفا لإمارته غادر المدينة مع مجموعة من اتباعه واتجه إلى الخليل،لعدم قدرته على الوقوف في وجه تانكرد والبطريرك،ومن ثم اقطع الخليل.وبعد تتويج بلدوين الأول على عرش مملكة بيت المقدس،طالب جالديمار بمدينة حيفا التي سلبها منه الأمير تانكرد وبعدها قتل في معركة الرملة الأولى سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م.ينظر Albert d'Aix:523-537؛السيد:الخليل١١١-١١٢.

**** حيفا:مدينة على ساحل البحر وبها أشجار ونخيل. ناصر خسرو:١٨.وقال الحموي أنها حصن على ساحل الشام قرب مدينة يافا. الحموي،ياقوت:معجم البلدان ٣/٣٣٢ استولى الفرنجة عليها في شوال ٤٩٣هـ/أواخر آب ١١٠٠م. ينظر: الشارتري١٣٢،١٤٠.خارطة(٣).

(٢) Albert d'Aix: 521-523

بلدوين الأول بتقسيم إمارة الجليل إلى إقطاعيات عدة بعد رحيل تانكرد إلى أنطاكية، ومنح إقطاعية بيسان لآدم* حاكم بيثون** في جمادى الأولى ٤٩٤هـ/آذار ١١٠١م(١).

ويعتبر أيضا من المؤرخين الفرنجة القلائل، الذين كتبوا تاريخ الحملة الفرنجية، بلغة سهلة، رغم من أنه كان يلجأ إلى الإفاضة في ذكر بعض الأحداث دون الأخرى، ولعل موضع النقد الذي يؤخذ على البرت هو أنه لم يعن إطلاقا بتحديد تواريخ الأحداث التي رواها.

ومن المصادر التاريخية الهامة في دراسة الحركة الفرنجية كتاب **أعمال تانكرد** **"Gesta Tancridi Expeditione Hierosolymitana"** لـ راؤول دي كان* "Raoul de Caen" الذي دون كتابه من خلال مشاهدته للأحداث أثناء ملازمته لتانكرد في الفترة الواقعة بين ٥٠١-٥٠٦هـ/١١٠٧-١١١٢م، ونقلا عن الروايات التي حكاها له هذا الأمير. تناول في كتابه تاريخ الحركة الفرنجية حتى سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م، وكتابه خليط من الشعر والنثر باللغة اللاتينية، ويلاحظ أنه لم يقم بمراجعته وتنقيحه مثلما فعل غيره من مؤرخي الحملة الأولى(٢).

ومن الأحداث التي انفرد بذكرها راؤول دي كان الحديث عن النشاط الفرنجي الموجه ضد بيسان سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م،حيث أشار إلى استيلاء تانكرد على المدينة،وحدد عدد الجيش المرافق له بثمانين فارسا.وانفرد عن غيره بذكر استيلاء تانكرد على بيسان قبل غيرها من مدن الجليل والأسباب التي سهلت عليه ذلك(٣).

كذلك أشار راؤول في كتابه إلى جهود تانكرد في تحصين المدينة وانطلاقه منها للاستيلاء على إقليم الجليل***، كما تتبع جهود تانكرد في إقامة إمارة الجليل ونشاطه العسكري ضد إمارة

---

* آدم Adam: هو الأخ الأصغر لـ روبرت الرابع (Robert IV) حاكم بيثون الذي غادر فرنسا سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م بصحبة روبرت فلاندرز Robert of Flanders للأراضي المقدسة، وكان معه عند الاستيلاء على بيت المقدس. ينظر:
Rohricht:Regesta 57; La Monte and Norton:The Lords, Medivalia 6/59

** بيثون : هي مدينة فرنسية تقع ضمن منطقة المارن (Marne) في جنوبها والى الجنوب الشرقي من مدينة باريس، والى الجنوب من بيرني Epernay وشمال تروي Troyes شاركت في الحملة الفرنجية الأولى بقيادة حاكمها روبرت الرابع الذي غادر فرنسا بصحبة روبرت فلاندرز .ينظر
Rey:248; La Monte and Norton: The Lords, Medivalia 6/13

(١) Albert d'Aix: 537-538

(٢) يوسف: العرب ١٨-١٩.

(٣) Raoul : 703-704

*** إقليم الجليل: يقع في شمال فلسطين ويقسم إلى قسمين أعلى واسفل، الأعلى حده جبل الشيخ وهو مرتفع جدا أما الأسفل فاقل ارتفاعا ويتخلله سهول البطوف عرابة. ينظر: الدباغ: بلادنا ٤٩/١:١.

دمشق وبخاصة فيما يتعلق بالاستيلاء على إقليم السواد* ، ونجاحه في الاستيلاء على حيفا في أواخر شوال سنة ٤٩٣هـ/آب ١١٠٠م، وضمها إلى إمارته لتكون منفذاً بحرياً لها(١).

ومن الكتب التاريخية المهمة في دراسة الحركة الفرنجية كتاب **تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار** **Historia Rerum in Partibus Trans Marinis Gestarum** لـ وليم الصوري** "William of Tyre" وقد اعتمد الباحث على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي تاريخ الحروب الصليبية لسهيل زكار، نشر في بيروت سنة ١٩٩٠م وعلى الترجمة الإنجليزية بعنوان **Ahistory of Deeds Done Beyond the Sea** ، ويعد هذا المصدر موسوعة ضخمة في تاريخ الحروب الفرنجية، وتكمن أهميته في أنه يتناول فترة طويلة من تاريخ الفرنجة، امتدت حتى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، وقد اعتمد في تدوين كتابه على مؤلفات بعض المؤرخين الفرنجة الذين عاصروا أحداث الحملة الفرنجية، أمثال: فوشيه الشارتري، والبرت دكس، وريموند داجيل، والمؤرخ المجهول، وراؤول دي كاين، وغيرهم، كما اعتمد على روايات شهود العيان والوثائق الملكية، وبعض الرسائل التي كان يرسلها الملوك ورجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الفرنجية إلى

---

(١) Raoul : 704-705,710

* إقليم السواد: تختلف الدراسات في تحديد إقليم السواد في تلك الفترة، والأغلب يحدده بالمنطقة الواقعة جنوب كورة الجولان بين بحيرة طبرية والبثينية وحوران شمال نهر اليرموك، ولكن بعد الدراسة للإشارات المتوفرة تدل على أن المنطقة المقصودة هي الأراضي المستوية نسبيا الواقعة إلى الشمال والشمال الشرقي لجبال عجلون، وجبال جرش والمحصورة شمالا بوادي اليرموك وشرقا بوادي الشلالة وربما امتدت إلى المنطقة المذكورة بداية. ينظر: ابن شداد: الأعلاق ٨٧-٨٨؛ الحياري: حصن حبيس جلدك، الجامعة الأردنية ١٤٧/١٢؛ خارطة (١).

** وليم الصوري ولد في بيت المقدس حوالي سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، وهو ينتمي لأسرة فرنسية شاركت في الحملة الفرنجية الأولى. وقد عاش وليم فترة شبابه في الشرق الإسلامي، وأتقن اللغة العربية، واليونانية، واللاتينية بالإضافة إلى معرفته العبرية والفارسية على نحو أدى بلا ريب إلى إثراء كتابته التاريخية من خلال تعدد لغات مصادره. وتوجه وليم في مقتبل عمره إلى أوروبا الغربية طلبا للعلم والمعرفة ، وتلقى علومه في بعض المدن الفرنسية، وخاصة في باريس وشارتر، كما ذهب إلى إيطاليا وأمضى بها بعض الوقت، وبعد أن أمضى نحو عشرين سنة في أوروبا، عاد إلى الأراضي المقدسة سنة٥٦٠هـ/١١٦٥م. وعمل وليم في خدمة الملك عموري الأول، وكان مربيا لابنه بلدوين الرابع (المجذوم)، وقد عينه الملك عموري الأول رئيسا لأساقفة صور، وكاد وليم أن يصل إلى منصب بطريرك بيت المقدس، عندما اقترح رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ترشيح وليم الصوري وهرقل رئيس أساقفة قيسارية، ليتم اختيار أحدهما لشغل منصب بطريرك بيت المقدس، ودبرت مؤامرات في مملكة بيت المقدس لإبعاد وليم الصوري، والعمل على انتخاب هرقل، الذي فاز بمنصب البطريرك في جمادى الأول ٥٧٨هـ / تشرين الأول ١١٨٠م.وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن وليم الصوري لم يتقبل ذلك، وذهب إلى روما لكي يرفع الشكاوى ضد تعيين هرقل في منصب بطريرك بيت المقدس، ويقال أن هرقل خافه، فأرسل له من سقاه السم وقتله في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م.ينظر Richrad:The Latin I/110

وله عدة مؤلفات، منها كتاب اسماه "أعمال الملك عموري Gesta Amalric Regis"، وكتاب أخر بعنوان أعمال ملوك بيت المقدس "Gesta Hierosolymitan Orum". ينظر :عوض: الحروب ٦٥-٦٩ ؛ رنسيمان: تاريخ ٤٢٥/٢؛ العريني: مؤرخو ١٠١-١٠٣،١١٠-١١٣، ١٤٥-١٥٦؛ سعداوي: ٤٦-٤٧؛ البيشاوي: الممتلكات هامش ٣٦/٣-٣٧.

البابوية في روما، وقد اتضح هذا الأمر من خلال الرسائل المتبادلة بين البابا باسكال الثاني، والملك بلدوين الأول، والبطريرك جبلين سابران، وخاصة تلك الرسائل المتعلقة بموضوع الخلاف بين بطريركية المقدس وأنطاكية حول المركز الأسقفي في صور والأسقفيات التابعة.

وقد زودني الصوري بمعلومات اقتصادية واجتماعية وعسكرية عن الفترة الواقعة بين سنتي ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م - ٥٨٠هـ /١١٨٤م،فقد أشار إلى شهرة بيسان بزراعة الحبوب وأشجار الكرمة(١)،كما تعرض لذكر القلاع الفرنجية في المنطقة موضوع البحث، مثل :كوكب الهوا* "بيلفور"، وحصن حبيس جلدك**، وعفربلا*** وما وقع حولها من أحداث(٢).

وبصفة عامة يمتاز كتابه بأنه عبر عن وجهتي النظر الدينية والدنيوية فيما يتصل بالأحداث التي تعرض لها، وذلك بحكم المناصب التي تولاها ذلك المؤرخ.

ورغم المكانة الكبيرة لكتاب وليم الصوري وتاريخه، إلا أنه لم يسلم من النقد، وخصوصا فيما يتعلق بالتحديد الزمني للأحداث التاريخية، وتولية بعض الملوك الفرنجة ، كذلك ما حدث بشأن الحملة الفرنجية الثانية التي جرت سنة ٥٤٢-٥٤٣هـ/١١٤٧-١١٤٨م، ويتضح من خلال عرضه أنه لم يعرف الكثير عما حدث فعلا سواء في آسيا الصغرى Asia Minor أو في دمشق(٣).

تجدر الإشارة أيضا إلى أن وليم كان يصف المسلمين بالوثنيين تارة وبالأعداء تارة أخرى، ولذلك لا بد من توخي الدقة والحذر عند الاعتماد على كتابه في معظم الأحداث التي تتعلق بالجانب الإسلامي. ورغم كل المآخذ التي تؤخذ على وليم الصوري، إلا أنه لا غنى للباحث عن كتابه في تاريخ الحروب الفرنجية، وذلك لأنه استعرض فترة طويلة من تاريخها(٤).

---

(١) William of Tyre: I/ 473 , 427

* كوكب الهوا: تقع شمال بيسان تبعد عنها ١١كم، وتقوم على قرية يرمون الكنعانية القديمة، أقام الرومان عندها قلعة عرفت باسم اغربينا Agrippina، وفي سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م شيد فرسان الاسبتارية قلعتهم الحصينة وسموها Beauvoir. ينظر: بورشارد ٩٥؛ الفيتري ٨٥؛ الدباغ:بلادنا ٢:٦/٥١٩.

(٢) الصوري ٢/٤٠٨، ١٠٣٩-١٠٤٠، ١٠٦٠.

(٣) عوض: الحروب ٧٢.

** حصن حبيس جلدك: يقع قريبا من عين الحبيس الحالية إلى جنوب من نهر اليرموك والى الغرب من وادي الشلالة. بناه الملك بلدوين الأول في سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م. ينظر: الصوري ٢/٤٧٠،٤٨١-٤٨٣، أبو شامة: الروضتين ٣/١٠٦؛ الحياري: حصن حبيس جلدك، الجامعة الأردنية، ٤/١٥٠؛ خارطة (١).

*** عفربلا: يقع إلى الشمال من بيسان ما بين قلعة كوكب الهوا في الشرق وقلعة الفولة في الغرب بني في ق ٦هـ/١٢م من قبل فرسان الاسبتارية. ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٤/١٤٨؛ الصوري ٢/١٠٤١-١٠٤٥.

(٤) الصوري : ١/ ٤٣٥، ٤٥٧،٥٠٢.

استفاد الباحث في دراسته من كتاب"تاريخ بيت المقدس " **"The History of Jerusalem** لـــ يعقوب الفيتري Jaques de Vitry*. وقد اعتمد الباحث على الترجمة العربية التي قام بها ســعيد البيشاوي سنة ١٩٩٨م وهي بعنوان"تاريخ بيت المقدس".

واستفاد الباحث من كتاب الفيتري معلومات مهمة عن تحولات المراكز الدينية في مملكة بيــت المقدس المتمثلة بنقل عاصمة المطرانية(الأسقفية) من بيسان إلى كنيسة جبل طابور**(١)، كما استفاد كذلك معلومات عن دور فرسان الاسبتارية*** والداوية**** في الدفاع عن كوكب الهوا(٢)،كذلــك زودنا المصدر بمعلومات عن الحملة الهنغارية سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م. ورغم أن يعقوب الفيتري قدم لنـا معلومات مهمة عن أي حملة إلا أنه وقع ببعض الأخطاء ومنها أنه أشار إلى أن جودفري البويوني توفي في أواخر سنة٤٩٤هـ/١١٠٠م في حين أنه توفي في شهر آب من السنة نفسها(٣)،كما أشــار إلى أن بيســان عاصــمة لفلســـطين الثالثة في حين أنها كانت عاصمة لفلسطين الثانية(٤).

---

* يعقوب الفيتري:ولد في بلدة فيتري على نهر السين بفرنسا في القرن السادس الهجري (٥٥٦-٥٦٦هـ)/ الثاني عشر الميلادي (١١٦٠-١١٧٠م)، تلقى تعليمه في باريس، وبعد ذلك أصبح راهبا بدير القديس نيقولا رويني، وتقلد مناصب دينيـــة عديـــدة، وكان عضوا في جماعة الرهبان النظاميين، فضلا عن أنه كان واعظا متقد الحماسة. وقد ساعد في شـــن الحملـــة الفرنجيـــة الالبيجنيسية سنة٦١٠هـ/ ١٢١٣م، كما شارك في الحملة الفرنجية الخامسة سنة ٦١٥-٦١٩هـ/ ١٢١٨-١٢٢٢م، وكان قبـل ذلك قد أصبح أسقفا لعكا سنة٦١٣ هـ/ ١٢١٦م، وبقي في فلسطين حتى عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م عاد بعدهـــا إلـــى أوروبـــا، وكانت وفاته سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م.ينظر:الفيتري:١٣-١٤؛عمران: الحملة ٣٠-٣١؛ سمالي:١٦٥-١٦٦؛حسين: تاريخ ٣٥.

** جبل طابور: يقع في إقليم الجليل شرقي مدينة الناصرة وعلى بعد أربعة أميال، منها ويسمى الان جبل الطور ويشرف علـــى سهل مرج بن عامر. ينظر: فورزبورغ ٣٢؛ خمار:١٢.

(١) الفيتري: ٧٠.

*** الاسبتارية: هي هيئة رهبانية عسكرية محاربة، وتمتد جذورها في الأراضي المقدسة إلى ما قبل قيـــام الحملـــة الفرنجيـــة الأولى، وهناك من يشير إلى أن بعض أهالي امالفي Amalfi، قاموا بتأسيس مستشفى في بيت المقدس سنة ٤٦٢هـــ/١٠٧٠م على شرف بطريرك المبجل جون، وكانت هذه المستشفى قد أقيمت من اجل إيواء الحجاج اللاتين الفقـــراء، أو الذيـــن فقـــدوا نقودهم أثناء السفر من أوروبا إلى الأراضي المقدسة. وقد تطورت المستشفى مع مضي الوقت إلى مقر هيئة فرسان الاسبتارية إلى جيرارد Gerard من امالفي، وقد انضم الكثير من الحجاج اللاتين لهيئة فرسان الاسبتارية ، وفي سنة ٥٠٧هـــــ/١١١٣م اعترف بابا روما بهيئة فرسان الاسبتارية. ينظر: الصوري :١/ ؛ عاشور: الحركة ٤٨٧/١ Besant and Palmer:274

**** الداوية: تأسست هيئة فرسان الداوية سنة ٥١٢هـ/١١١٨م زمن الملك بلدوين الثاني، ويرجع تأسيس هيئة فرسان الداويـــة إلى كل من هيو دي بابينز Hugh de Payens وجودفري دي سانت أومر Godfrey de St. omer، وقد قدم لـــهما الملـــك بلدوين الثاني جزءا من المسجد الأقصى الذي أطلق عليه الفرنجة اسم معبد سليمان، ولذلك أطلق عليهم فرسان الداوية، وكانت مهمتهم حماية طرق الحجاج، وبعد تسع سنوات من تأسيسها تم المصادقة عليها في اجتماع عقد في مدينة تروي Troyes فـــي فرنسا. ينظر: الصوري ٥٢٣/١-٥٢٨؛ رنسيمان ١٥٦/٢-١٥٩؛ عاشور: الحركة ٤٨٧/١-٤٨٨. Grousset: I/ 542

(٢) الفيتري: ١٤٥-١٤٧.

(٣)م.ن ٣١.

(٤) م.ن ١٥٧.

كذلك أخطأ عندما أشار إلى أن الحملة الهنغارية التي حضرت إلى فلسطين قامت بالاستيلاء على مدينة طبرية في حين أجمعت جميع المصادر على أن الحملة استولت على مدينة بيسان(١).

وإلى جانب المصادر التاريخية الأوروبية المعاصرة اعتمد الباحث على العديد من المصادر الجغرافية وكتب الرحلات التي أفادت البحث في كثير من الجوانب المهمة وألقت الضوء على أهم الخيرات التي كانت تنتجها الأراضي المقدسة خلال فترة الحروب الفرنجية.

ومن أهم هذه المصادر كتاب **رحلة الحاج دانيال الروسي في الأراضي المقدسة** ٥٠٠-٥٠١هـ/ ١١٠٦-١١٠٧م ترجمة سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة، وقد صدرت في عمان ١٩٩٢م، وتكمن أهمية رحلة الحاج دانيال الروسي في أنه قام بزيارة الأراضي المقدسة في الفترة الواقعة بين سنتي ٥٠٠-٥٠١هـ/١١٠٦-١١٠٧م* أي في بداية الحكم الفرنجي للأراضي المقدسة، وقد زود الباحث بمعلومات قيمة عن موقع المدينة الجغرافي وعن مصادر المياه فيها وعن أهم الأشجار والمزروعات فيها وعن وجود الحيوانات المفترسة، مثل: الأسد(٢) كما أشار إلى قضية مهمة وهي عن المقاومة الشعبية التي مارسها أهل الريف والبدو ضد الفرنجة(٣).

وما تميزت به رحلة دانيال أنه كان يحدد المسافات، وبعد كل مكان يزوره عن الأماكن السابقة أو اللاحقة في الرحلة، كما كان يعني بتحديد أبعاد بعض الأماكن الدينية(٤). كما أنه تميز بأنه قدم وصفا دقيقا للأماكن التي زارها إلا أن ما يؤخذ على دانيال أنه تحامل على المسلمين أثناء تعرضه لذكرهم، فقد وصفهم تارة بالأعداء، وتارة أخرى بالوثنيين، مثلما فعل الصوري من قبل(٥).

كما استفاد الباحث في هذا البحث من رحلة فيتلوس ١١١٨-١١٣٠م** بالترجمة الإنجليزية

---

(١) الفيتري: ١٥.

*دانيال :بدأ الحجاج الروس يفدون إلى الأراضي المقدسة منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي فقد زارها العديد من الحجاج قبل خضوعها للحكم الفرنجي، أما دانيال فقد زارها في سنة ٥٠٠-٥٠١هـ/١١٠٦-١١٠٧م وكان دانيال أسقفا لـ Suriev في سنة٥٠٩هـ/١١١٥م وتوفي في الخامس من رجب سنة ٥١٦هـ/ التاسع من أيلول لسنة ١١٢٢م. وقد ترجمت رحلة دانيال إلى العديد من اللغات، وخاصة الألمانية، الفرنسية، الروسية، الإنجليزية والعربية.ينظر: دانيال: ٢٣،٣٩.

(٢) دانيال: ١١٠-١١١.

(٣) م.ن ٢٨،١١٠.

(٤) م.ن ٦٠، ٦٥، ٧٨،١١١،١١٣

(٥) م.ن ٢١،٣١،٤٠.

** فيتلوس:إن حجم المعلومات المتوافرة عن هذا الرحالة ضئيلة ويرى ماكفرسون الرحلة إلى الإنجليزية أن فيتلوس كان يعمل رئيسا للشمامسة في أنطاكية وذلك في عام ١٢٠٠م،غير أن محمد مؤنس عوض يعارض هذا الرأي مفندا ذلك باتساع المسافة الزمنية بين الرحلة ذاتها والتاريخ المذكور لتولية فيتلوس ذلك المنصب والمرجح أنه كان أحد الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس خلال القرن الثاني عشر الميلادي،وكتب رحلته في صورة دليل جغرافي.ينظر:عوض:الرحالة١٠٤-١٠٥.

لـــ ماكفرسون، والتـــي نشـــرت فـــي لنـــدن ســـنة ١٨٩٢م، والمعروفـــة باســـم **وصـــف الأرض المقدسة**"Description of the Holy Land" وخصوصـــاً فيما يتعلق بالعلاقـــات بين مملكة بيت المقدس وأتابكية دمشق وهي التي أسسها الأتابك ظهير الدين طغتكين*، ومهاجمة طغتكيـــن لإمـــارة الجليل بوجه عام، ونهبه لإقطاعية بيسان بشكل خاص، كما أشار إلى إحدى المراكز التجارية المهمـــة في إقليم الجليل، ونعني بذلك "الميدان"**، وقدم وصفاً دقيقاً لما يجري في السوق من مبادلات لســـلع تجارية والمكان الذي ينعقد به والفترة الزمنية التي يبدأ وينتهي بها والعناصر التي تشترك به(١).

ومـــن المؤلفـــات المهمـــة التـــي أفـــادت البحـــث **رحلـــة الحـــاج الألمـــاني Burchard of Mount Sion** بورشارد من جبل صهيون **Description of the Holy Land** وقد اعتمد الباحث على الترجمة العربية التي قام بها سعيد البيشاوي وهي بعنـــوان "وصـــف الأرض المقدسة" ***،وقد صدرت في عمان ١٩٩٥م.

وتعد هذه الرحلة من أهم كتب الرحلات بالنسبة لموضوع الدراسة، حيث تحدث بورشارد عن البنية السكانية في فلسطين بما فيها من تنوع واختلاف(٢)، كذلك أسهب بـــالحديث عـــن الأوضـــاع الاقتصادية لفلسطين خلال فترة الحروب الفرنجية، وأمدنا بمعلومات مهمة عن أهم الصناعات التـــي كانت تعتمد على المواد الزراعية ومنها صناعة السكر في بيسان وقد شرح بدقة المراحل التي تمـــر بها هذه الصناعة(٣).

وانفرد عن غيره بالإشارة إلى البدو الذين كانوا يعيشون على تربية الماشية والماعز وذكر أن حياة هؤلاء غير مستقرة بسبب ترحالهم المستمر بحثا عن المراعي والماء، وكان لمنطقة بيسان حظا

---

* ظهير الدين طغتكين: كان أحد اتباع تاج الدولة تتش السلجوقي(ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، تزوج من والدة دقاق بن تاج الدولـــة، وبعد وفاة تاج الدولة تتش التحق بخدم الأمير دقاق (ت ٤٩٧هـ/١١٠٣م) وبعد موته سيطر طغتكين على دمشق، قامت بينـــه وبين الفرنج عدة حروب ووقائع،توفي سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م.ينظر :ابن الأثير:١٠/٢٤٨؛سبط ابن الجوزي: ٨:١/١٢٧-١٢٨.

**الميدان: تقع على بعد ثلاثة عشر كيلو مترا في الشمال الغربي من درعا ويحدها من الغرب قرية زيـــزون Zeizoun ومـــن الجنوب الغربي قرية غمراوة ويرى البيشاوي بأنها تعرف باسم الميرز. ينظر: البيشاوي: الممتلكات:١٩٩-٢٠٠.
Beyer:Akko und Galilaea 227

(١) Feteluus: 25-26; 33.

***بورشارد كان مواطنا ألمانيا من بلدة سترازبورغ، وقد اشتغل في سلك الرهبنة، واصبح راهبا في هيئة الدومنيكان، وذهـــب بورشارد إلى الشرق في سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م، وقام بزيارة الشام ومصر وأرمينيا. ويقال أنه أمضى في دير جبل صـــهيون نحو عشر سنوات، ولم يعد إلى الغرب الأوروبي حتى أواخر حياته. ومن المرجح أنه توفي في الشرق، رغم أن تاريخ وفاتـــه غير معروف، وكان بورشارد بعيدا عن التعصب، تقيا متدينا، محبا لكافة الطوائف المسيحية. ويبدو أنه كان على درجة كبـــيرة من التعليم، وقد أظهر ذكاء حادا في استيعاب جميع المعلومات التي حصل عليها. ينظر: بورشارد: ١١.

(٢)بورشارد: ١٧١-١٧٨.

(٣)م.ن ١٦٧-١٧٠.

كبيرا من أوصافه، كما عني بتفسير أسماء المواقع.

وإلى جانب المصادر الأجنبية التي اعتمد عليها الباحث، هناك العديد من المصادر العربية المعاصرة للأحداث والمتأخرة عنها زمنيا والتي تضاهي في أهميتها المصادر الأجنبية، لما أوردته من الروايات التي أغفلها المؤرخون الأجانب، ولهذا لا غنى للباحث في تاريخ الحروب الفرنجية عن المصادر العربية والإسلامية لأنها تعبر عن وجهة النظر الإسلامية من ناحية وتسد جانبا مهما من الأحداث من ناحية أخرى.

اتبعت المصادر العربية في تأليفها طريقة السرد الحولي، ونقل معظم مؤلفيها معلوماتهم التاريخية عن المصادر والمؤلفات التي سبقتهم، لذا تكاد تكون معظم هذه المصادر صورة طبق الأصل لبعضها البعض.

ولهذا يتضح من خلال الدراسة أن عددا كبيرا من المؤرخين اشتركوا في ذكر حادثة معينة دون أن تكون هناك اختلافات جوهرية مع تميز بعضها في ذكر بعض الأحداث ومعالجة بعض القضايا دون غيرها. ورغم ذلك فقد استفاد الباحث كثيرا من هذه المصادر خلال الدراسة، إذ زودته بمعلومات وروايات مهمة عن بيسان خلال فترة الصراع الفرنجي الإسلامي رغم أنها أغفلت أحيانا ذكر بعض الأحداث المهمة التي تتعلق بتاريخها في بعض الفترات. غير أن المؤرخين المسلمين أشاروا إلى الهجمات التي تعرضت لها بيسان من قبل الفرنج بعد عودتها للحكم الإسلامي، كما أشاروا إلى أشهر حكام بيسان أثناء تبعيتها للحكم الإسلامي فضلا عن إشارتهم إلى دور أهالي الإقطاعية في الصراع الفرنجي الإسلامي قبل وبعد معركة حطين، وعلى كل حال أكملت المصادر العربية ما تناولته المصادر الأجنبية من أحداث وسدت بعض الثغرات التي نشأت عن إغفال بعض المصادر الأجنبية للأحداث، فضلا عن أنها تناولت تاريخ بيسان في الفترات التي خضعت فيها للحكم الإسلامي.

ومن المصادر المهمة التي اعتمد عليها الباحث كتاب **ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي*** الذي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وهو من الكتب القيمة التي تعالج فترة هامة

---

*ابن القلانسي: هو أبو يعلى حمزة بن راشد التميمي الدمشقي، ولد سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م، وقد اهتم بدراسة العلوم الدينية والآداب، وأمضى معظم حياته في ديوان الإنشاء بمدينة دمشق، وأصبح رئيسا للديوان، وكان دقيقا وموضوعيا في كل ما تطرق له في كتابه. وليس من شك في أن رئاسته للديوان جعلته مطلعا على كافة الأمور والأحداث، ومكنته من الاطلاع على الوثائق الرسمية. ولم تتعرض كتب التراجم التي تحدثت عن ابن القلانسي إلى ذكر نشاطاته وسلوكه وصفاته، كما أنها لم تذكر اسم واحد من أساتذته. وكانت أسرة ابن القلانسي من أكبر أسر دمشق وأعظمها مكانة، وقد احتفظت أسرته بمكانة مرموقة في دمشق لعدة قرون. ينظر: الحموي، ياقوت:معجم الأدباء ١٠/٢٧٨-٢٨٠؛ الذهبي :سير ٢/٣٨٨-٣٨٩؛ سالم : التاريخ ١١٠؛ عبد الله: ١٤٠-١٤١.

في تاريخ بلاد الشام بصفة عامة ودمشق بصفة خاصة، وإن كان ابن القلانسي قد اهتم بالحديث عن مدينة دمشق منذ نزوح السلاجقة وسيطرتهم على البلاد وحتى وفاته.

أمد هذا المصدر الباحث بمعلومات مهمة عن بداية توحيد الجبهة الإسلامية ضد الفرنجة واشتراك قوات الموصل ودمشق في مهاجمة إقطاعية بيسان بعد معركة الصنبرة سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، وعن الخسائر التي لحقت بالإقطاعية نتيجة لهذه المعركة وما تبعها من غارات من قبل ظهير الدين طغتكين(١)، كما أفادني بمعلومات عن الصراع الذي دار بين دمشق والفرنج على منطقة السواد سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، وما نجم عنه من اتفاقيات(٢).

ورغم معاصرة ابن القلانسي لكثير من الأحداث، وقربه المكاني أيضا منها، إلا أنه أغفل ذكر الكثير منها، ولعل من أبرز ما أغفل الإشارة إليه استيلاء الفرنج على بيسان وإقليم الجليل سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، ورغم أن كتاباته قد اتسمت بالحيدة والبعد عن التعصب، إلا أنه يؤخذ عليه مبالغته في ضخامة أعداد جيوش الفرنج وقتلاهم وأسراهم وقد بدا ذلك واضحا في معركة الصنبرة.

ومن المصادر العربية المهمة التي اعتمد عليها الباحث كتاب **مضمار الحقائق وسر الخلائق لـ ابن شاهنشاه الأيوبي*** (٦١٧هـ/١٢٢٠م) قام بنشره حسن حبشي في القاهرة سنة ١٩٦٨م، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه كان معاصرا للأحداث، هذا بالإضافة إلى مكانته السياسية والعلمية فهو صاحب حماة وأحد أفراد الأسرة الأيوبية، وكان محبا للعلم والعلماء، وقد وضع عدة تصانيف من بينها كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق في عشرين مجلدا(٣) إلا أنه لا يوجد من هذا الكتاب إلا الجزء الذي اعتمدت عليه في الدراسة(٤)، وتعرض الكتاب لذكر أخبار الدولة الأيوبية والعلاقات السياسية بين المسلمين والفرنجة مع التركيز على نشاط صلاح الدين الأيوبي ضد المعاقل الفرنجية في بلاد الشام(٥).

ويرى البيشاوي في كتابه أنه لو أمكن العثور على بقية الأجزاء المفقودة من هذا الكتاب لأفاد

---

(١) ابن القلانسي: ١٨٥-١٨٧.

(٢) م.ن ١٤٩، ١٦٠، ١٨٤، ٢٧٢، ٢٩٨.

* ابن شاهنشاه الأيوبي: هو الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة، نشأ في رغد من العيش، وفي أسرة تركت طابعا قوميا وعميقا في تاريخ الإسلام والغرب في العصر الوسيط، وكان الملك المنصور جليلا، شجاعا مقداما، عالما فاضلا، يحب العلماء والفضلاء وأهل الأدب والشعر، وقد ألف عدة تصانيف منها كتاب طبقات الشعراء. وكان يعمل في خدمته نحو مائتين من العلماء. ينظر:أبو شامة: الذيل ١٢٤؛ابن واصل: ٤/٧٧-٧٩؛ مقدمة كتاب مضمار الحقائق.

(٣) ابن واصل: ٤/٧٧-٨١.

(٤) ورد اسم الكتاب عند ابن واصل تحت عنوان مضمار الحقائق في التاريخ . ينظر: ابن واصل ٤/٧٨.

(٥) ابن شاهنشاه : ٩٢-١٠٥.

الباحثين كثيراً من رواياته، لأنه من أهم المصادر الإسلامية التي تناولت أحوال الشرق الإسلامي خلال فترة الحروب الفرنجية لإفاضته في الحديث عن نشاط صلاح الدين الأيوبي وهجومه على المعاقل الفرنجية في بلاد الشام، وأهم إنجازاته ضد الفرنج هناك هذا إلى جانب معاصرته للأحداث وقربه منها(١)، وقد أفاد كتاب **مضمار الحقائق** الباحث في تتبع نشاط صلاح الدين وابن أخيه فروخشاه* ضد إقطاعية بيسان من ٥٧٨-٥٨٣هـ/ ١١٨٢-١١٨٧م(٢)، بذكر هذه الأحداث إذ تناولتها معظم المصادر الإسلامية، ويمتاز أسلوب ابن شاهنشاه بالسهولة والسلاسة والدقة في التعبير وغزارة المادة التاريخية التي أوردها في كتابه.

ومن مؤلفات القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كتاب **الفتح القسي في الفتح القدسي للعماد الكاتب الأصفهاني** ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م**، وقد تتبع العماد في هذا الكتاب نشاط صلاح الدين وغزواته ضد الفرنجة في الفترة الواقعة بين سنتي ٥٨٣-٥٨٩هـ/١١٨٧-١١٩٣م، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث وشاهد عيان لها، مع ملاحظة أن أسلوبه فيه تكلف وسجع ومحسنات بديعية ولفظية ربما تصرف القارئ عن المعنى ومثال ذلك عندما يصف الأحداث أو المواقع(٣).

إلا انه أفاد الباحث بمعلومات مهمة عن استعادة بيسان قبل خوض معركة حطين، واستفادته

---

(١) البيشاوي: نابلس ٢١.

*فروخشاه : هو عز الدين فروخشاه بن أيوب (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م) أحد قواد صلاح الدين المشهورين بالقوة، حارب الفرنجة في اكثر من موقعة، استنابه صلاح الدين في الشام، كان شاعراً، توفي بدمشق. ينظر: سبط ابن الجوزي ٨:١ /٣٨٢.

(٢) ابن شاهنشاه: ٩٤-٩٥،٩٦،٩٧.

** العماد الكاتب الأصفهاني: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله بن محمود بن هبة الله بن الّه بتشديد اللام وهو اسم فارسي ومعناه بالعربية العقاب، وكنيته أبو عبد الله بن أبي الفرج الأصفهاني، ولد في أصفهان سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م، وكان فقيهاً شافعياً، تفقه بالمدرسة النظامية على أبي منصور سعيد بن محمد الرزاز، وعمل في خدمة نور الدين محمود بدمشق، وأشرف على ديوان الإنشاء، ثم عمل في خدمة صلاح الدين وأصبح كاتباً في الدولة الصلاحية، وكان القاضي الفاضل يثني عليه ويمتدحه ووصفه "بالزناد الوقاد " يعني أن النار في باطنه وظاهره، صنف العديد من الكتب أهمها كتاب "البرق الشامي" في سبعة مجلدات، وصنف كتاب " الفتح القسي في الفتح القدسي"، وكتاب "السيل على الذيل" وكتاب "خريدة القصر وجريدة العصر" وكتاب "نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية" ، و "خطفه البارق وعطفه الشارق"، وله أيضاً ديوان رسائل وديوان شعر فيه أربعة مجلدات. توفي في بداية شهر رمضان سنة ٥٩٧هـ/الثلث الأول من شهر حزيران سنة ١٢٠١م، ودفن بمقابر الصوفيه بدمشق. ينظر: سبط ابن الجوزي: ٨/٢/٥٠٤-٥٠٥؛ ابن خلكان: ٥/١٤٧-١٥٠؛ صبح: مقدمة كتاب الفتح القسي ٣٢-٣٣؛ العريني: مؤرخو ٢٣٧-٢٣٨؛ سعداوي: ١٩-٢٨.

(٣) الأصفهاني: الفتح ٩٣-٩٨، ٢٧٠-٢٧١.

من غلالها في المعركة(١)، كما أعطى وصفاً لقلعتي كوكب الهوا، والفولة*، وما تمتعت به كل منهما من قوة وحصانة وذكر الحامية التي تقوم على حفظهما(٢).

كما أشار إلى اتخاذ صلاح الدين بيسان معسكراً له بعد معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م فقد أصبحت المدينة نقطة انطلاق للجيوش الإسلامية في مهاجمة القلاع الفرنجية المجاورة ونقطة انطلاق لتحرير بيت المقدس ومدن الساحل من أيدي البراثن الفرنجية(٣).

ومن المصادر العربية التي اعتمد عليها الباحث كتاب "**الكامل في التاريخ**" وكتاب " **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية" لابن الأثير** (ت سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ** ، ويعتبر كتاب "الكامل في التاريخ" موسوعة تاريخية مهمة، خاصة وأن مؤلفه اعتمد على كثير من المصادر المتخصصة والكتابات المدونة في البلاد المختلفة، وحاول أن يجمع عناصر الحادثة الواحدة التي تقع في عدد من السنين ويصل بين أجزائها ليكتبها في سنة واحدة وفي مكان واحد، وإن لم يوفق في كل الأحوال. وسهل ابن الأثير مهمة القارئ إذ جعل للأحداث عناوين(٤).

لقد أفاد الباحث من كتاب **الكامل في التاريخ** كثيراً أثناء دراسته لأحوال بيسان خلال فترة الصراع الإسلامي الفرنجي، فقد استقى منه الكثير من المعلومات التي تتعلق بأحوال الشام وفلسطين بصفة عامة وبأحوال بيسان بصفة خاصة، وقد انفرد ابن الأثير بالإشارة إلى أهمية استيلاء فرخشاه على حصن حبيس جلدك أثناء عودته من الغارة على بيسان سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م(٥). إلا أنه يؤخذ على ابن الأثير اختلاط حوادث الرملة الثانية مع الحصار الفاطمي ليافا سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م فضلاً عن مبالغته عندما ذكر أن معركة الرملة الثالثة سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م كانت متكافئة بين الفرنجة والفاطميين، في حين أن هزيمة الفاطميين في هذه المعركة كانت هزيمة كبيرة(٦).

---

(١) م.ن ٦٧-٦٨.

* الفولة: تقع وسط مرج ابن عامر على بعد فرسخ واحد جنوب قرية المزرعة والى الشمال الغربي من بيسان والجنوب الغربي من جبل الطور. ينظر: الحموي،ياقوت ٣١٨/٤؛ بورشارد:٩٩ خارطة (١).

(٢) م.ن ٩٣-٩٨، ٢٧٠-٢٧١.

(٣)الأصفهاني ٩٧-٩٨.

** ابن الأثير: هو عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الكريم الشيباني، ولد بالجزيرة في ٤ جمادى الأولى ٥٥٥هـ/١٢ آيار ١١٦٠م، وانتقل إلى الموصل مع والده، وكان إماماً في حفظ الحديث وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة كما كان خبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم، وصنف عدة تصانيف منها كتاب "الكامل في التاريخ" ابتدأه من أول الزمان حتى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠-١٢٣١م وكتاب "التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية" . ينظر: ابن خلكان: ٣٤٨/٣-٣٤٩؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ ١٣٩٩/٤-١٤٠٠؛ مقدمة التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية٧؛ سعداوي : ٦-١١.

(٤) سالم : التاريخ ٨٤.

(٥) ابن الأثير: ١١ / ٤٧٩.

(٦) م.ن : ٨ / ٢٢٩.

ومن المصادر العربية المهمة التي اعتمد عليها الباحث **"مرآة الزمان في تــــاريخ الأعيــان" لسبط ابن الجـــوزي** (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)*،الذي يمتـــاز بغزارة العلم والدقـــة والتحـــري عـــن الأخبار والأحداث التي كان يدونها في تاريخه(١)،وقد اعتمد على عدد من المؤرخين،مثل جدة عبـــد الرحمن ابن محمد صاحب كتاب **"المنتظم"**وابن القلانسي،وابن الأثير وغيرهم،وعاصر ســـبط ابـــن الجوزي أهم الأحداث التي شهدها الشرق خلال الفترة الواقعة بين سنتي٥٨٢-٦٥٤هـ/١١٨٦-١٢٥٦م.

أفاد الباحث منه في أنه ألقى الضوء على دور المعظم عيسى** في محاربة الفرنج(٢)، كمـــا انفرد ابن الجوزي في ذكر الهجوم الذي قام به قنديل***، ومن معه على المعظم عيسى، ومن ثـــم استبساله في الدفاع عن حصن الطور سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م(٣)، وأشار أيضـــاً إلـــى الصراعـــات، والخلافات التي نشبت بين أفراد البيت الأيوبي وتحدث عن قيام تـُــبـــل**** من بيسان بـــالخروج على ملوك بني أيوب، وتحدث عن قيامه بالهجوم على الصالح نجم الدين أيوب*****، ومن معه

---

* سبط ابن الجوزي: هو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله البغدادي حفيد أبي الفرج عبـــد الرحمـــن بـــن الجوزي: تنقل بين بغداد ودمشق ومصر، وعمل كاتباً ومدرساً بدمشق ومحدثاً بالديار المصرية، وكان حنبلياً ثم أصبح حنفيـــاً بعد اتصاله بالمعظم عيسى ابن العادل سيف الدين أبي بكر، وكان حسن الصوت، جميل الصورة كثير الفضائل، وضع كتـــاب مرآة الزمان في عشرين مجلداً تناول فيه أحداث التاريخ منذ الخليقة وحتى سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وقد تلقى علومه علـــى يـــد العديد من العلماء والفقهاء ومنهم الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله المقدسي أحد علماء نابلس، توفي سبط ابن الجوزي سنة ٦٥٤هـ/١١٥٧م، ودفن بالصالحية بظاهر دمشق. ينظر: اليونيني ٣٩/١-٤٢؛ ابن كثير: ١٩٤/١٣-١٩٥؛ ســـالم: التـــاريخ ١٠٣؛ عبد الله: ٨٧.

(١)سالم: التاريخ ١٠٣.

** الملك المعظم عيسى: هو عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـــ/١١٨٠م، ولـــي دمشـــق ســـنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، كان شجاعا عالما بالفقه والنحو، توفي يوم الجمعة أول ذي القعدة سنة٦٢٤هـ/١٢٢٧م.ينظر: أبو شـــامة: الذيل على الروضتين ١٥٢؛ ابن واصل ٢٠٨/٤؛الحنبلي:شفاء القلوب ٢٧٥-٢٨٥.

(٢)سبط ابن الجوزي: ٢:٨ / ٥٨٣ - ٥٨٤.

*** قنديل: شخص من أهالي بيسان كان يترأس مجموعة من البدو يقوم على نهب القوافل التجارية المارة من منطقـــة بيســـان وفي سنة ٦١٢هـ/١٢١٦م، قام بالهجوم على المعظم عيسى فتمكن الأخير من القبض عليه، وأخذه معه إلى القدس وهناك أراد قتله إلا أن قنديل طلب العفو من المعظم عيسى وان يعطيه فرصة لمحاربة الفرنجة ففعل المعظم ذلك وعينه واليا على بيســـان في السنة نفسها. ينظر: سبط ابن الجوزي ٢:٨ / ٥٨٥.

(٣) م.ن ٢:٨ /٥٨٥.

**** تبل: شخص من أهالي بيسان قام بالخروج على ملوك بني أيوب مستغلا اضطراب الأوضاع الداخلية في البيت الأيوبـــي. ينظر: سبط ابن الجوزي ٢:٨ / ٧٢٦؛ ابن واصل ٥/ ٢٣٢.

***** الملك الصالح:هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، والسلطان السابع الأيوبي، تولى حصن كيفا زمـــن والـــده الكامل، ثم تولى السلطنة في مصر ٦٣٨هـ/١٢٤٠م حارب إفرنـــج وخاصـــة فـــي حملتـــهم علـــى دميـــاط والمنصـــورة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، وكان ملكا شجاعا ذا هيبة وسطوة، توفي سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م.ينظـــر: أبـــو شـــامة: الذيـــل ١٨٤-١٨٥؛ القرماني : أخبار الدول ٢١٦/٢-٢٦٣.

عند عودته من منطقة السواد بعدما تخلى عنه معظم قواته سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م(١)، وأشار إلى الزلازل والأوبئة التي حلت في بلاد الشام وما لحق البلاد من خسائر نتيجة لذلك(٢)، ورغم غزارة المادة التي أوردها إلا أنه لم يشر إلى حكام بيسان زمن العادل سيف الدين أبي بكر (ت ٦١٥هـ/١٢١٨م) وابنه المعظم عيسى، كما أنه لم يتعرض لحملة الملك لويس على مصر والشام بالتفصيل على الرغم من أنه كان معاصراً لأحداثها.

اعتمد الباحث أيضاً على كتاب **"الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" للمؤرخ أبي شامة المقدسي** (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)*، الذي تحدث في كتابه عن جهاد عماد الدين زنكي (ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م) وابنه نور الدين محمود سنة ٥٣٣-٥٦٩هـ/ ١١٣٨-١١٧٤م(٣)، كما أشار إلى نشاط صلاح الدين وجهوده في محاربة الفرنج(٤)، وتحدث عن استيلاء صلاح الدين على بيسان سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وعن انطلاقه منها لتحرير القلاع المجاورة لها(٥)، كما أشار إلى حكام المدينة المسلمين، حيث انفرد عن غيره بذكر عز الدين أسامة** حاكم بيسان وكوكب وعجلون(٦)، كما تحدث عن ملاحقة المعظم عيسى لعز الدين أسامة واستيلائه على أمواله وأملاكه سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م(٧). وفي الحقيقة فإن كتاب الروضتين من المصادر المهمة لدراسة أحوال الشرق الإسلامي خلال فترة الصراع الإسلامي الفرنجي، واعتمد أبو شامة فيه على العديد من

---

(١) سبط ابن الجوزي: ٢:٨/ ٧٢٦.

(٢) م.ن ١:٨/ ١٦٨-١٦٩، ٢:٨/ ٤٧٧-٤٧٨.

*أبو شامة: هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن إبراهيم المقدسي الشافعي، ولد بدمشق في الثالث والعشرين من ربيع الأخر سنة ٥٩٩هـ/كانون الثاني ١٢٠٣م، عرف بأبي شامة لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر وكان فقيهاً شافعياً، وصنف كتباً كثيرة أهمها كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين" وكتاب "الذيل على الروضتين" وكان متواضعاً بعيداً عن التكلف، ثقة في النقل، توفي في رمضان سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م. ينظر: أبو شامة : الذيل على الروضتين ٣٧؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ ١٤٦٠/٤-١٤٦١؛ ابن كثير ٢٥٠/١٣-٢٥١؛ الكتبي ٥٢٧/١-٥٢٨؛ عبد الله:١٠١.

(٣) أبو شامة ٥٢٨/٢.

(٤) م.ن ٣/ ١١٨، ١٢٥-١٢٩.

(٥) أبو شامة: الروضتين ٣٧٦/٣،٤١٧-٤١٨، ٥/٤،٥٢/٤.

** عز الدين أسامة الجبلي: أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين الأيوبي، بنى قلعة عجلون، وهناك اختلاف بين المؤرخين في نسب هذا الأمير فمنهم من يشير إليه انه من الأمراء العادلية، ومنهم من يشير إلى انه من بني منقذ أمراء قلعة شيزر بجوار حماه. اخذ نجمه في الصعود في غمرة الأحداث السياسية المتلاحقة التي قادها السلطان صلاح الدين، وتولى إمارة بيروت، ولتحالفه مع الأفضل حاكم دمشق، قبض عليه الملك العادل وسجنه في الكرك سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م. ينظر: ابن الأثير :الكامل ٣٤٥/٧-٣٥٦؛ ابن شداد: الأعلاق ٨٩؛ أبو شامة: الذيل ٨٠؛ ابن واصل : ٢٧/٣-٢٨.

(٦) م.ن : الروضتين ٣٦٩/٤.

(٧) م.ن ٤٢٤/٤.

المصادر العربية المفقودة مثل: كتاب أبي طيء الغساني*، أو التي وصلت مثل كتاب "**الكامل في التاريخ" لابن الأثير**، وكتاب "**النوادر السلطانية" لابن شداد**، وغيرها من المصادر، وقد امتاز أبو شامة في كتابه "**الروضتين**" بمنهج واضح، وحسن استخدام للموارد، وحس تاريخي مرهف، جعله يسوق مقتبساته بانسجام فبدت كأنها قطعة واحدة من أسلوبه(١).

يعتبر كتاب "**الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" لابن عبد الظاهر** (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢)** من المصادر المهمة وقد استمد هذه الأهمية من اطلاع صاحبه على الوثائق الرسمية التي أفادت الباحث فيما يتعلق بالفترة المتأخرة من فترة الصراع الإسلامي الفرنجي حيث تتبع السلطان الظاهر بيبرس(ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) في محاربة الفرنج والمغول فتحدث عن دوره في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م(٢)، وأشار إلى دور أهالي بيسان في محاربة المغول في هذه المعركة(٣)، كما أشار إلى إقطاع بيسان لشمس الدين البرلي*** من قبل قطز في السنة نفسها(٤)، وأشار إلى الاهتمام الذي أبداه بيبرس لبيسان إذ تعرض لذكر بناء مشهد النصر في عين جالوت****، وبناء دور البريد والجسور على نهر الأردن*****(٥).

وللمصادر الجغرافية أهميتها في تحديد بعض المواقع الواردة في الدراسة، وفي إضافة

---

* أبو طيء الغساني: هو يحيى بن طيء الغساني الحلبي، وكان شيعياً، ورغم ذلك فقد اعتمد عليه المؤرخون السنيون، مثل: ابن شداد وأبو شامة وغيرهم. ينظر: العريني : مؤرخو ٢٣٤-٢٣٥.

(١) ابو شامة: الروضتين ١/٥.

** ابن عبد الظاهر: هو محي الدين أبو الفضل عبد الله رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان السعدي المصري ولد في القاهرة سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٣م عمل في ديوان الإنشاء لسيف الدين قطز ومن بعده الظاهر بيبرس وقد رافق ابن عبد الظاهر قطز في حملة ضد التتار وسرعان ما اتصل ببيبرس وحاز ثقته بعد أن تولى الأخير حكم مصر الشام واستمر في منصبه حتى بدايات حكم المنصور قلاوون. ينظر : عبد الله : ١١٩-١٢١.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٦٣-٦٥.

(٣) م.ن ٦٢.

*** شمس الدين البرلي:أحد الأمراء المماليك الذين شاركوا في معركة عين جالوت اقطعه السلطان قطز بيسان وما حولها من الزمام الزراعي بعد انتهاء المعركة وثبته السلطان الظاهر عليها سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م.ينظر:بيبرس المنصوري:زبدة الفكرة٨٧.

(٤) م.ن ٩٧.

****عين جالوت: تقع إلى الشمال الغربي من بيسان على بعد ١٣ كم، وهذه العين من أقوى العيون، وهي المصدر الرئيس لنهر جالوت. ينظر: عبيد: ٢٨،٤٣.

***** نهر الأردن: يقع في إقليم الشام ينبع من خلف بانياس من جبل الشيخ، فيجري بازاء قدس ثم ينحدر إلى طبرية، ويشق البحيرة، ثم يجري في الأغوار إلى البحيرة المقلوبة (البحر الميت)، ويعد في عصرنا الحاضر الحد الطبيعي ما بين فلسطين والأردن، وهو تسمية كنعانية بمعنى المتدهور أو سريع الجريان، وفي العصور الوسطى عرف باسم الشريعة.المقدسي البشاري:١٥٤؛ دانيال :١١١.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٥٠-١٥١.

معلومات مهمة عن بيسان وأهمها: كتاب "**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**" **للمقدسي البشاري***
(عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي). ويمتاز كتابه برصانة الأسلوب والدقة، ساعده في ذلك كثرة تنقلاته وترحاله في أثناء عمله في التجارة واستفاد منه الباحث بمعلومات كثيرة عن جغرافية المنطقة الطبيعية منها والبشرية، فتحدث عن الأهمية الاقتصادية للمدينة فأشار إلى اعتماد الأردن وفلسطين على إنتاجها من الأرز وإلى أهم المصنوعات في المدينة، كما أشار إلى الطرق التجارية التي تمر بالقرب من المدينة، وإلى المذاهب الدينية التي يعتنقها السكان(١).

ومن بين المصادر الجغرافية التي اعتمدها الباحث كتاب **معجم البلدان** لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)**،وهو موسوعة جغرافية ضخمة تحدث فيه مؤلفه عن البلدان والأقاليم والمدن والجبال والأنهار...رتبه مؤلفه حسب الحروف الأبجدية،ولا غنى للباحث عنه في تاريخ منطقة الشرق الأدنى الإسلامي،وقد تحدث المعجم في أجزائه المختلفة عن المدينة وقراها وما فيها من جبال ومصادر المياه(٢)،كما أشار إلى ما أصاب المدينة من قحط وجفاف في الفترة التي زار بها المدينة، كما أشار إلى مرور القوافل التجارية بالقرب منها واستقرارهم فيها وتطرق إلى ذكر بعض علمائها(٣).

ومن الكتب التي استفاد منها الباحث كتاب **الأنساب** للسمعاني*** (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م)، الذي أعطى وصفاً جغرافياً لمدينة بيسان، وأشار إلى أشهر علمائها ويعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة لأن صاحبه وفد إلى بلاد الشام في عصر الحروب الفرنجية، وقد مر بالعديد من المدن في وقت الإحتلال الفرنجي، وقدم وصفاً – وإن غلب عليه طابع الإيجاز – لها على نحو أفاد في العديد من الجوانب المتعلقة بتاريخ بلاد الشام(٤).

---

* المقدسي البشاري: هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ولد في بيت المقدس سنة ٣٣٦هـ/٩٤٦-٩٤٧م. ويعتبر المقدسي من أعظم الجغرافيين العرب، عمل في التجارة حيث كان يتنقل بين مختلف الأمصار الإسلامية مما ساعده في وصف أحوال الشعوب، والأمم التي شاهدها بعيداً عن المجاملة والأهواء الشخصية. ينظر: الزركلي: ٥/٣١٢؛ سالم: التاريخ ١٩١-١٩٣؛ كراتشكوفسكي ١/٢٠٩-٢١١.

(١) المقدسي البشاري: ١٥١،١٥٣،١٨٠-١٨٣.

** الحموي،ياقوت:هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ولد في الفترة الواقعة بين سنتي ٥٧٤-٥٧٥هـ/١١٧٨-١١٧٩م ببلاد الروم،ولكنه وقع في الأسر وهو صغير، فاشتراه أحد تجار بغداد كي يعتمد عليه في تجارته، وتنقل ياقوت بين كثير من الأمصار وتوفي بظاهر مدينة حلب٦٢٦هـ/١٢٢٨م.ينظر:ابن خلكان:٦/١٢٧-١٣٩؛سالم:التاريخ ١٩٦؛عوض:الجغرافيون٧٣-٧٥.

(٢) الحموي،ياقوت: معجم البلدان ١/٥٢٧، ٢/٥١٩-٥٢٠.

(٣) م.ن: ١/٥٢٧-٥٢٩.

*** السمعاني: هو عبد الكريم بن محمد بن المنصور التميمي ويلقب بالمروزي، ولد في مدينة مرو سنة ٥٠٦هـ/١١١٧م من بيت علم وأدب كان والده سعد السمعاني محدثاً وفقيهاً، ألف العديد من المؤلفات ومنها كتاب تاريخ مرو، وتحفة المسافر، أدب الإملاء والاستملاء وغيرها من الكتب توفي سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م. ينظر: السمعاني ١/١٨-٢٠؛ ابن خلكان ٢/٢٧٨.

(٤) السمعاني: ١/ ٤٢-٤٣١،٤/٣٣،١٠/١٩٧.

الفصل الأول

" بيسان منذ أقدم العصور وحتى بداية الغزو الفرنجي للأراضي المقدسة "

٤٠٠٠ ق.م - ٤٩٢هـ/١٠٩٩م

١-١ تسمية المدينة والآراء التي دارت حولها

مدينة بيسان هي إحدى المدن العربية القديمة التي أسسها الكنعانيون في العصر الكالكوليتي* (الحجري النحاسي) في غور الأردن(١)، وقد عرفت في بداية عهدها باسم "بيت شـــان" Bethshan بمعنى بيت الإله شان أو بيت السكون، والراحة. شيدت في الموقع المعروف باســم تــل الحصــن، ويرجع تاريخ تأسيسها إلى ما يربو على أربعة آلاف عام قبل الميلاد(٢)، وقد ورد ذكرها في الكتاب المقدس باسم بيت شان، وهذا يعني أن بني إسرائيل ثبتوا التسمية الكنعانية للمدينة،وأطلقــوا عليــها الاسم نفسه "بيت شان"(٣).

وعندما استولى اليونان على فلسطين عام ٣٣٣ ق.م أطلقوا على بيسان اســم ســكيثوبوليس Scythopolis نسبة إلى عنصر يوناني عرف باسم السكيثيين**، استقر في المنطقة فــي حوالــي القرن الثالث قبل الميلاد(٤). وأطلق عليها أنطوخيوس أبيفانس (ت١٦٤ق م)*** اسم نيســا (Nysa) حوالي ٢٠٠ ق.م تخليداً لابنة أخته، وقد ظهر هذا الاسم على نقود المدينة القديمة(٥). وفضلاً عـــن ذلك عرفت بيسان باسم مدينة الشمس(٦).

وفي العصر الإسلامي أعيد إلى مدينة بَيْسان الاسم نفسه بفتح الباء وياء ساكنة وسين مهملة وألــــف ونون(٧). ويطلق عليها اليهود حالياً بيت شان، وتعني فـــي لغتــهم بيــت الأمـــان أو بيــت الثقـــة بالنفـــس(٨)، وهذا المعنى يناسب المدينة لكونها تمتاز بقوة ذاتية وأراضٍ خصبة، وربما منح اليهود هذا الاسم لمدينة بيسان العربية بعد أن قاومتهم لمدة طويلة.

---

* العصر الكالكوليتي: يمثل هذا العصر الانتقال من العصور الحجرية إلى المعدنية(عصر البرونز) الذي حدث بالتدريج خلال القرن الأربعين ق.م. ينظر: شوفاني ٣٨.

(١) البكري: ٢٩٢/١؛ الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٥٢٧/١؛ المشترك وضعاً ٧٦.

(٢) الدباغ: بلادنا ١:٣٦٧/١. وينظر: جونز: ٢٠.

(٣) يوشع: ١٦:١٧.

(٤) جونز : ٣٤.

**السكيثيون أو "الاشكوز" كما يلقبهم الآشوريون، شعب اختلف في أصله، فبعضهم يقول: إنه شعب آري، والآخر يقول: أنـــه مغولي، كان يسكن في القرن السابع ق.م بين نهري الدانوب والدون في جنوبي روسيا في القرن السابع قبل الميلاد، وكـــانوا يعيشون عيشة بدوية، وقد انتشر السكثييون في معظم أنحاء بلاد الشام، ويقال: أن قبائل يأجوج ومأجوج المذكورة في القـــرآن منهم. ينظر:بورشارد: ٢٦ هامش(١)؛الدباغ :بلادنا ١:٥٥٧/١.

*** أنطوخيوس أبيفانس: هو الذي بنى قاعة مجلس أنطاكية وأدخل الإصلاحات إلى المدن، ومنح سلطان المدينة استقلالاً ذاتيـاً كحق سك العملة، وهو من الأسرة السلوقية،حكم البلاد سنة ٢٢٦ ق.م . ينظر: الدباغ: بلادنا ١:٥٩٩/١؛جونز: ٤٨-٥٠.

(٥) جونز: ٥١.

(٦) فورزبورغ: ٣٥.

(٧) البكري : ٢٩٢/١. وينظر:الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٥٢٧/١.

(٨) الدباغ: بلادنا ١:٣٦٧/١ . وينظر: عبيد :١٣.

٢-١ جغرافية بيسان " موقعها، حدودها، تضاريسها، مناخها، مياهها"

تقع مدينة بيسان "بيت شان" على تل مرتفع نسبيا في القسم الشمالي من فلسطين في الزاوية الجنوبية الشرقية منه وعلى وجه التحديد في الغور الأعلى*، وكشفت الحفريات التي جرت في بقعتها المعروفة باسم "تل الحصن" ** -الواقعة على ضفة نهر الجالود*** اليمنى- سنة ١٩٢١ و١٩٣٣م عن سلسلة متراكمة من المدن القديمة، لا نظير لها في تاريخ الآثار، إذ بلغت ثماني عشرة طبقة يرجع أسفلها إلى عام ٤٠٠٠ ق.م بينما يصل أعلاها إلى العصور الوسطى(١)، وهي تقع على الجانب الغربي لنهر الأردن ، ما بين حوران**** وفلسطين(٢)، في السهل الواقع بين جبال فقوعة (جلبوع)*****(٣) غربا ونهر الأردن شرقا(٤)، وبهذا فهي تشرف على الأجزاء الشمالية لوادي الأردن(٥)،كما أنها تشرف على نهر جالود، الذي يعد البوابة الطبيعية الشرقية لسهل مرج ابن عامر******(٦).

---

*تقسم بيسان والغور إلى ثلاثة أقسام حسب ارتفاعها الأعلى غور بيسان،والأوسط حمقا وأريحا،والأسفل غور زغر. وسمي بهذا الاسم لانخفاض أرضه وطوله مسيرة ثلاثة أيام وعرضه يوم. ينظر : الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٢١٧/٤؛شيخ الربوة: ٢٠١؛ البغدادي: ٢٤١/١.

**تل الحصن: يقع شمال مدينة بيسان الحالية ويبعد عنها حوالي ٦٠٠م، وينخفض عن مستوى سطح البحر ٣٥م. ينظر: عبيد: مدينة بيسان ١٥؛ اولبرايت: ٧٣.

*** نهر جالود: هو النهر الدائم الجريان في بيسان وينبع من ظاهر قرية زرعين، ويدخل سهل بيسان إلى الشمال الغربي من مدينة بيسان على بعد حوالي ٤كم، ثم يأخذ بالاقتراب من المدينة حتى يصب في نهر الأردن عند خربة محمد البكر المنخفضة حوالي ٢٤٤م عن سطح البحر. ينظر: الدباغ: بلادنا ٤٥٣/٢:٦؛ عبيد: ٤٢.

(١) الدباغ: بلادنا ٣٦٧/١:١ . وينظر: اولبرايت: ٧٣.

****وتقع حوران في الغور، وتحد بحيرة طبرية من الشرق، وهي تابعة لدمشق من الناحية الإدارية، وهي تقسم إلى قسمين حوران العليا ومدينتها صرخد، والسفلى ومدينتها بصرى. ينظر: العمري: ٨٩/٦-٩٠ ؛ عراف : فلسطين ١١٤.

(٢) المقدسي البشاري : ١٥٤.ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٥٢٧/١؛البغدادي : ٢٤١/١.

(٣) الفيتري: ٧٠.

***** جبال جلبوع: وتعرف حاليا باسم جبل فقوعة، وهو يقع غربي غور الأردن، وفي الجنوب الشرقي من مرج ابن عامر، وتحيط بالجبل الأراضي القاحلة، وهو يقع على بعد خمسة فراسخ (خمسة عشر ميلا) من وادي أيلون. ينظر: صموئيل ٣١: ١-٣؛ التطيلي: ٩٧ هامش ٣؛ بورشارد : ٨٤ هامش ٥.

(٤) الحموي، ياقوت:معجم البلدان ٥٢٧/١؛ بورشارد : ٣٦، ١٠٠. وينظر . دانيال : ١١١.

(٥) فورزبورغ : ٣٤؛ الدباغ: بلادنا ٤٤٨/٦:٢

(٦) Poloner's : 22

******مرج ابن عامر : ويمتد هذا السهل من جنوب طبرية مرورا ببيسان ثم إلى مجدو ويعود إلى جبل طابور وبيت أوليا ثم إلى طبريا. وقد ذكر بورشارد أن حقل مجدو ومرج ابن عامر وسهل الجليل كلها شيء واحد ولكن جميع هذه الأسماء الغيت وعموما تدعى اليوم باسم سهل فابية (Faba) ويعرف ايضا باسم سهل اللجون يبلغ طوله نحو عشرة فراسخ (٥٥,٤٤٠كم=٣٠ميل)،أما عرضه فيبلغ ستة فراسخ (٣٣,١٤٤كم =١٨ ميل) أو أكثر. ينظر بورشارد: ٩٨.
Marino Sanutos: 23

وتأتي بيسان في الجزء الخامس من الإقليم الثالث (يشمل بلاد الشام)(١)، على دائرة عـرض ٣٠-٣٢ شمالا، وخط طول ٣٠-٣٥ شرقا(٢) كما أنها تنخفض عن مستوى سطح البحر نحو مائة وخمسة وعشرين مترا، ويحدها من الشمال طبرية* ، ومن الغرب الناصرة** وجنين*** ، ومـن الجنوب نابلس****، ومن الشرق نهر الأردن(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن مدينة بيسان تبعد عن طبرية في الشـمال حوالـي ٣٨كـم، وعـن العفولة***** في الشمال الغربي نحو٢٧ كم، وعن حيفا على ساحل البحر المتوسط غربا ٧١ كـم عن طريق العفولة،وعن اللجون****** ٢٨ كم غربا، وتبعد عن بيت المقدس ١٢٧ كم،وعن نـهر الأردن ٦ كم شرقا(٤).

---

(١) ابن رسته: ٩٧. وينظر: الإدريسي : ١/٣٤٧.

(٢) موسوعة المدن الفلسطينية ١٢٣ . ينظر: الدباغ : بلادنا ١:٦ /٤٧٨ ؛ عبيد : ٩.

*طبرية: مدينة في الغور على الشاطئ الغربي للبحيرة المعروفة باسمها، وهي مدينة عربية كنعانية ، دعاها بناتها الكنعـانيون "رقة" بمعنى الأرض المنبسطة، ووردت في التلمود باسم رقات اوركاث Racath ، وأشار لها الكتاب المقدس باسم سـيناريث Synareth وجنساريت Gennesaret ، والاسم الشائع للمدينة هو طبرية نسبة إلى الإمبراطور تيبريوس قيصـر Tibeirius Caesar الذي عهد إلى هيرود انتباس بالإشراف على بنائها عام ٢٦م، وفي العصر الفرنجي احتفظت طبرية باسمها، وفـي أواخر سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م سقطت المدينة بأيدي الفرنجة. ينظر: المقدسي البشاري: ١٦١؛ أبو الفداء: تقويم البلـدان ٢٤٣ ؛ دونالد : ٢٥٨؛ دويكات : ٣٠-٣٥.

** الناصرة: إحدى المدن الفلسطينية، نسب إليها السيد المسيح الذي دعي بالناصري، وولدت فيها مريم العذراء، تقع على بعـد ٧٠ ميلا (١٤١كم) شمال بيت المقدس، وقد ذكر القزويني أن الناصرة مدينة بالقرب من طبرية، وقيل أن اسم النصارى مشتق منها. ينظر القزويني:٢٧٧؛ الدباغ: بلادنا ٢:١/١٧٠.

*** جنين: بلدة صغيرة وجميلة تقع بين نابلس وبيسان وتشتهر بكثرة العيون الجارية. ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلـدان ٢/٢٠٢.

**** نابلس: تقع في وسط فلسطين ويحدها شمالا جنين وجنوبا بيت المقدس، وهي مستطيلة قليلة العـرض. سـميت دمشـق الصغرى. ينظر: المقدسي البشاري:١٧٤؛ القزويني:٢٧٧؛العارف: نابلس ٣٤.

(٣) الدباغ: بلادنا ٢:٦/٤٩٠ . ينظر: عبيد : ٩.

***** العفولة: عرفت قديما باسم الفولة وهي تقع إلى الشمال الغربي من بيسـان. ينظـر: الصـوري : ٢/١٠٦١-١٠٦٢ خارطة (١).

****** اللجون (مجدو): تقع بين جند الأردن وجند فلسطين، وقد وصفها المقدسي البشاري بأنها جبليـة لأنـه زارهـا مـن الغرب، ووصفها ياقوت بأنها سهلية لأنه زارها من الشرق، وتتدفق ينابيعها من صخرة ضربها سيدنا إبراهيم عندما منعه أهلها من سقي قطعان ماشيته؛ خوفا من ضعف مياه القرية . ينظر المقدسي البشاري: ١٦٢؛ الحمـوي، يـاقوت: معجـم البلـدان ٥/١٣-١٤ ؛ القزويني: ١٧٢.

(٤) الدباغ : بلادنا ١:٦ /٤٧٨. ينظر: خارطة ٣.

تعد بيسان من المدن السهلية حيث تقع في وسط سهل بيسان الكبير، الذي ينخفض بكامله عن مستوى سطح البحر(١) ويتخلله بعض التلال التي تشكلت بفعل الرسوبات البحرية، ومن هذه التلال تل الحصن الذي ينخفض عن سطح البحر نحو (١٧٥ م)، وتل الجسر* (١٢٠م)، وتل المصطبة ** (١٥٠ م)، وتل بصول*** (١١١م)، والتي قامت عليها مدينة بيسان منذ القدم(٢).

أما السهل الآخر فهو سهل زرعين الذي كان دعى أيضاً باسم سهل فابية (Faba)، وهو يمتاز بخصوبة عالية في بعض أجزائه، ومثل هذه الأجزاء تصلح لزراعة الحبوب على وجه الخصوص(٣).

وتحيط بسهل بيسان الكبير من الغرب سلسلة جبلية تعرف باسم جبال فقوعة "جلبوع"(٤)، وهي تمثل الجزء الشمالي لجبال نابلس، كما أنها ترتفع عن مستوى سطح البحر(٥٠٠ م). وتطل على سهل بيسان بحافة صدعية شديدة الانحدار تتخللها بعض الأودية الصغيرة(٥) لتضع ما تحمله من مواد مفتتة عند أقدام الحافة الجبلية على الأطراف الغربية لسهل بيسان، لتزيد من خصوبة التربة،ومن هذه الأودية:وادي السدّ ووادي الحابس****(٦). وإلى الشمال من سهل بيسان مرتفعات جبول(٧) التي تمثل الطرف الجنوبي لجبال الجليل الأدنى، وهي تنحدر بلطف جنوباً باتجاه سهل بيسان، ولكنها تنحدر بشدة في الجانب الشرقي المطل على غور الأردن، وقد تخللت هذا

---

(١)دانيال : ١١١ . وينظر: الفيتري : ٧٠.

(٢) الدباغ : بلادنا ١:٦/٤٧٥ . وينظر: اولبرايت: ٧٣-٧٤؛ خارطة (١).

*وتل الجسر: يقع إلى الغرب قليلاً من تل الحصن وإلى الشمال الغربي من بيسان، وهو يحتوي على بقايا أبنية وأعمدة، وطريق مبلط ومدافن ، ولم تذكر المصادر سبب التسمية، ويبدو أنه سمي بهذا الاسم لأنه كان يقع عليه جسر في الأيام الغابرة . ينظر: عبيد : ١٩؛ خارطة (١).

** أما تل المصطبة فهو يقع بالقرب من خان الأحمر شمال بيسان ، ويحتوي على أنقاض أثرية ومدافن، كما يوجد فيه برج روماني وبقايا دير وكنيسة مرصوفة بالفسيفساء ومقبرة . ينظر: عبيد : ١٩؛ خارطة (١).

*** تل بصول: يقع إلى الشمال الغربي من بيسان على ١,٥ كم وينخفض عن مستوى سطح البحر ١١١م. ينظر: عبيد:٣٠.

(٣)بورشارد: ٩٨.

(٤) فورزبورغ : ٣٥؛ وينظر Poloner's : 24 خارطة (١).

(٥)الإدريسي ٣٢٧/٢. أبو الفداء: تقويم البلدان، ٢٤٣.

(٦) الدباغ : بلادنا ٢:٦/٥١١.

****وادي السد والحابس: هما من الأودية الموسمية التي تعتمد في جريانها على مياه الأمطار في فصل الشتاء ويجف في فصل الصيف. ينظر: عبيد: ٢١.

(٧) الدباغ : بلادنا ٢:٦ /٥١٨.

الجانب أودية قصيرة وعميقة كوادي البيرة*، ووادي العشة**، عملت رواسبها على تغطية تكوينات اللسان وزيادة خصوبة التربة في هذه المنطقة(١)، وجبال حرمون*** وتقع على الحافة اليسرى لوادي جالود فهي تقابل جبال جلبوع من الشمال(٢).

ويسود منطقة بيسان المناخ الحار الجاف الذي يميز منطقة الأغوار، فترتفع الحرارة صيفا ويكون الجو دافئا شتاء، ويصف ياقوت مناخها قائلا " وهي بلدة وبئة حارة، أهلها سمر الألوان، جعد الشعور لشدة الحر الذي عندهم"(٣). فصيف بيسان حار إذ تتراوح درجات الحرارة العظمى بين ٣٧ و٣٨ مئوية(٤)، أما في فصل الشتاء فتنخفض درجات الحرارة لتصل من ٢٠-٢٥ مئوية(٥)، ويبلغ معدل الأمطار إلى ٣٥٠ملم في العام(٦) ولا يعرف هذا الإقليم تساقط الثلوج(٧) نظرا لارتفاع درجة حرارته بشكل عام.

أما الرياح السائدة فيها فهي الرياح الغربية، والشمالية الغربية، وبهذا فإن المؤثرات البحرية القادمة من البحر المتوسط، تصل إلى مدينة بيسان بفضل فجوة بيسان- مرج ابن عامر- التي تسمح بوصول الرياح من الاتجاهين المذكورين(٨).

وتعتمد بيسان على ثلاثة مصادر مائية أساسية: أهمها مياه الأمطار التي تعد المصدر الرئيس في الزراعة البعلية، ويقوم أهل القرى بجمعها في الآبار، وتمثل المياه الجارية المصدر الثاني للمياه ومنها نهر جالود(٩)، ويشير الشريف الإدريسي إلى كثرة المياه الجارية فيها عند حديثه عن روافد

---

*وادي البيرة: يقع إلى الشمال من بيسان وتبلغ مساحة حوضه ١٩٠كم٢، ويعد من الأودية الموسمية التي تعتمد في جريانها على مياه الأمطار في فصل الشتاء. ينظر: عبيد: ٤١-٤٢.

** وادي العشة: فيقع إلى الجنوب من وادي البيرة في أراضي قرية جبول، وتبلغ مساحة حوضه ٦٣كم٢، وهو نهر موسمي، تجري فيه المياه في فصل الشتاء وتجف في فصل الصيف . ينظر: عبيد: ٤١؛ عرفات: ٨٣.

(١) الدباغ: بلادنا ٦:٢ /٤٨١. وينظر: الدومنيكي: ٤٢.

***جبل حرمون: هو جبل الدحي، ويقع في الجليل يقابله جبل طابور في الشمال وجبل فقوعة في الجنوب، وهو عبارة عن هضاب صغيرة، يرتفع ٥١٥ مترا عن سطح البحر و٣٦٥ مترا عن سطح السهل الذي يطل عليه. ينظر: بورشارد: ٩٤ هامش(١)؛ الدباغ: بلادنا ٧:٢ /٢٠-٢١.

(٢)بورشارد: ٩٥. وينظر Poloner's: 22

(٣) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٥٢٧/١ . وينظر:الدومنيكي: ٤٣.

(٤) الشامي : ٢٢.

(٥) الدباغ: بلادنا ٦:٢/٤٨٤

(٦) الشامي: ٢٢.

(٧) الإصطخري : ٥٦.

(٨) طوطح : ١٧٣.

(٩) الإدريسي: ٢٤٧/١؛ أبو الفداء : تقويم ٢٢٧.

نهر الأردن " تصب إليه مثل نهر اليرموك، وأنهار بيسان"(١)، كما ويظهر من وصف الحاج الروسي كثرة المياه الجارية فيها " وتتدفق سبعة أنهار من هذه المدينة"(٢)، ثم هناك العيون والينابيع وتوجد بكثرة، ومن هذه العيون عين "الفلوس"* التي عدها ياقوت من الجنة(٣) وعين "المنشية"** ، وعين "أم الرمان"***، وعين "أم الغزلان"****، وعين "المدوع"***** ، وعين "جالوت"،وهذا ما يتضح من كلام شيخ الربوة (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) " وفي بيسان عيون ماء كثيرة حيث ماء نهر الأردن (الشريعة) عميقة وكثيرة "، ويقول " وكلما امتد منحدرا غزر ماؤه وينصب إليه من بيسان من أعين هذا النهر"(٤).

أضف إلى ذلك، المياه الراكدة في المستنقعات التي تفصل المدينة عن نهر الأردن ويقول دانيال: " وتفصل مناطق الماء الراكد نهر الأردن عن هذه المدينة"(٥).

أدى توافر مصادر المياه في مدينة بيسان وقراها إلى ازدهار الحياة الزراعية التي أدت بالإضافة إلى موقعها على الطريق ما بين مصر ودمشق وعلى طريق التجار الروس****** ووقوعها في منطقة العبور من الساحل إلى شرقي الأردن الى نهضة اقتصادية، وما اكتسبته من فجوة مرج ابن عامر والمخاضات الواقعة في أراضيها على نهر الأردن أكسبتها أهمية اقتصادية وعسكرية، ومع هذا فقد كانت القرى المحيطة بها رافدا لها، ونقطة ارتكاز للدفاع عن المدينة، فضلا عن أهميتها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية.

---

(١) الإدريسي : ٢٤٧/١.

(٢) دانيال : ١١٠.

* عين الفلوس: تقع شرقي بيسان على بعد ٥٠٠م تقريبا . ينظر: عبيد: ٤٨؛ خارطة(٢).

(٣) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٥٢٧/١؛ البغدادي ٢٤١/١.

** عين المنشية وتقع في الجنوب الشرقي من بيسان على بعد ١كم. عبيد :٢٨؛ خارطة (٢).

*** عين أم الرمان: وتقع إلى الشمال الغربي من بيسان على بعد ١٢ كم وتوجد حاليا قرية صغيرة بالقرب منها تحمل نفس الاسم. عبيد :٢٨؛ خارطة (٢).

**** عين أم الغزلان: وتقع إلى الشمال الشرقي من بيسان على بعد ٨ كم في أراضي قرية جبول. عبيد :٢٨؛ خارطة (٢).

*****عين المدوع: وتقع في الجنوب الغربي من بيسان على بعد ٥كم في أراضي الأشرفية. عبيد : ٢٨؛خارطة (٢).

(٤) شيخ الربوة : ١٠٨.

(٥) دانيال : ١١١.

****** طريق التجار الروس: تبدأ هذه الطريق في إسبانيا وشمالي أفريقيا وتنتهي في الصين بعد أن تقطع فلسطين وهي نفسها طريق التجار الروس البرية فهي عندما تصل إلى طبرية تنفصل إلى اتجاهين أحدها تتوجه جنوبا إلى بيسان ومنها غربا إلى مجدو " اللجون"، والثاني في اتجاه اللجون رأسا مارا في شمال مرج ابن عامر، ثم تتجه غربا إلى الساحل وتسير بمحاذاة الجبال حتى تصل الرملة، ثم إلى عسقلان فغزة .ينظر:ابن خرداذبة: ٣١٩؛ عراف: ١٣١.

١-٣ القرى المحيطة* بمدينة بيسان

اهتم العرب الكنعانيون في إنشاء قراهم بأمرين : صلاحية موقعها للدفاع المشترك، وقربها من مصادر المياه، ولمراعاة الأمر الأول اقتضت اختيار قمم التلال ورؤوس الجبال مواقع تقام عليها القرى، وذلك لتمكن من الإطلال على الأراضي المجاورة، وتساعدها للصمود في وجه الغزاة، كذلك فإن تشييد المباني بعضها بجوار بعض يكوّن من مجموع مباني القرية قلعة واحدة(١).

وإذا لم يتوفر مراعاة الأمرين صلاحية الموقع للدفاع المشترك، والقرب من مصادر المياه كانت الأفضلية تعطى للغرض الأول، فكثيراً ما كانت بعض القرى بعيدة عن الينابيع والمياه الجارية، وإنّما اعتمد أهلها على مياه الأمطار التي يجمعونها في الآبار(٢).

وأما عن الأهمية الاقتصادية فهي تقع في منطقة سهلية غزيرة المياه وتربتها خصبة بفعل عمليات النحت الناتجة عن المياه الجارية، فمن الناحية الزراعية تشتهر بيسان وبلاد الغور بالنيلة** والنخيل(٣)، وينبت في بيسان السامان*** الذي تصنع منه الحصر السامانية ولا ينبت في بلاد الشام إلا بها(٤). وتشتهر بزراعة الأرز إذ كان محصولها يكفي فلسطين والأردن ويقول البشاري: (عاش في ق ٤هـ/١٠م) "وأرزاز فلسطين والأردن منها"(٥)، ويزرع في بيسان ومناطقها القمح والشعير والبرسيم والكرسنة وجميع أنواع الخضروات (٦).

ومن قرى بيسان قرية سيرين**** الواقعة أقصى شمال بيسان، وتشتهر بالزيتون والتين(٧)، والبيرة أو ثعالبه***** وتشتهر بزراعة الموز(٨)، ومن القرى التي تقع في شمال

---

* ينظر خارطة (١).

(١) الحسيني : ٨٩.

(٢) م ن : ٧٩-٩٠.

** النيلة: نبات ذو ساق طويل وشعب دقاق وورق صغار مرصّفة من الجانبين يصبغ به أزرق. ينظر : المنجد: ٨٥٠.

(٣) الإدريسي : ١/٣٥٦؛ وينظر: الدومنيكي: ١٤٢.

***السامان:لم أجد في المعاجم تعريفاً للسامان وعلى ما يبدو أنه هو نفسه السنام:هو النبات المرتفع على وجه الأرض وعلى رأسه كالسنبل والزهر وتصنع منه الحصر والسلال والمكانس وبهذا الاسم يعرف في كافة الريف الفلسطيني.ينظر:ابن منظور: ١٢/٣٠٧.

(٤) الحميري: ١٢٠. وينظر: عراف: ١٣١.

(٥) المقدسي البشاري: ١٨٠.

(٦) روحي : ٧٣. وينظر: عراف: ١٤٤.

**** جاء اسم سيرين في التسمية الآرامية "سير" بمعنى القمة أو "الرأس" وذكرتها المصادر الإفرنجية باسم (Losserin)، وهي تبعد عن بيسان ١٧كم، وترتفع عن مستوى سطح البحر ١٧٥ م. ينظر: عبيد: ٥٢.

(٧) الدباغ: بلادنا ٦:٢/٥١١.

***** البيرة:بمعنى آبار ذكرها الإفرنج باسم Leberium، وهي تبعد عن بيسان حوالي (١٢كم)، وترتفع عن سطح البحر ١٦٢م. ينظر: عبيد : ٥٢.

(٨) الدباغ : بلادنا ٦:٢/٥٠٩؛ عرفات :٣٤.

بيسان كفرا* وتشتهر بزراعة الزيتون(١)، ويبلى** وتقع في الشمال الغربي بين قريتي المرصص*** وكفرا، ذكرتها المصادر الإفرنجية باسم هوبلت (Hubelet)، وتزرع بالخضروات والزيتون(٢)، وكوكب الهوا ويزرع بها الزيتون والفواكه وتشتهر بالتين(٣)، والطيرة التي ذكرتها المصادر الإفرنجية بإسم قلعة الطيرة**** Castle de Theiro وتشتهر بالزيتون والتين(٤).

ومن القرى التي تقع في جنوب بيسان قرية السامرية***** التي تشتهر بزراعة الحبوب(٥) وفرونة****** وينبت بها السامان وتزرع الحبوب والخضراوات(٦)، والأشرفية******* وتزرع الزيتون والحبوب والحمضيات(٧).

أما عن الصناعات الموجودة فيها مثل:-صناعة الخمور التي تعد من أطيب الأنواع(٨)والحصر السامانية(٩)والكتان(١٠)ومعاصر الزيتون التي تعمل بواسطة الإنسان والحيوان(١١)

---

*كفرا : بمعنى القرية ذكرها الفرنجة باسمها الحالي تبعد عن بيسان (١٠,٥كم) وترتفع عن سطح البحر (١٧٥م) . ينظر: عبيد: ٥٢؛ عرفات: ٣٥.

(١) الدباغ: بلادنا ٦:٢/٥١٢.

** يبلى : وتقع على بعد (٩كم) شمال غرب بيسان وترتفع عن سطح البحر (٣٠م). ينظر: الدباغ: بلادنا ٦:٢/٥١٣؛ عبيد:٥٤.

***المرصص: وتقع شمال غرب بيسان وتبعد عنها ٧ كم. ينظر: عرفات:٦٤.

(٢) الدباغ: بلادنا ٦:٢/٥١٣. Cf. also: Prawer: The Latin 363

(٣) الدباغ: بلادنا ٦:٢/٥١٩.

****الطيرة: وتقع شمال غرب بيسان على بعد ١٧كم ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٢٥م. ينظر:عبيد: ٥٣.

(٤) الدباغ: بلادنا ٦:٢/٥١٦

***** السامرية: وتبعد عن بيسان (٧كم) وتنخفض عن مستوى سطح البحر ١٣٠ متر . ينظر:عبيد: ٥٠.

(٥) الدباغ : ٦:٢/٥٠٣.

****** فرونة: وتبعد عن بيسان حوالي (٤كم) وتنخفض عن مستوى سطح البحر (١٢٥م). ينظر: الدباغ: بلادنا ٦:٢/٥٠٤.

(٦) عرفات : ٧٨.

******* الأشرفية: وتقع جنوب غرب بيسان على بعد (٤,٥كم) وتنخفض عن مستوى البحر (١١٠م). ينظر الدباغ : بلادنا ٦:٢/٥٠٥.

(٧) عرفات: ٩١.

(٨) البكري: ٢٩٢. Cf. also: Prawer:The Latin 395

(٩) الإدريسي: ١/٣٥٦.

(١٠) م.ن

(١١) Prawer:The Latin 395

وطواحين القمح والتي أقيمت على الوديان، حيث تدار بالمياه الجارية فيها(١).

أما عن الناحية التجارية فقد لعبت قرى بيسان دورا مهما في ازدهار الحركة التجارية الداخلية والخارجية كون مدينة بيسان تقع على الطريق التجاري الخارجي بين مصر ودمشق وعلى طريق التجار الروس(٢) حيث كانت القرى تزود أسواق بيسان بمنتجاتها الزراعية والحيوانية(٣).

١-٤ الدول التي تعاقبت على حكم بيسان حتى قدوم الفرنجة

أشار الباحث بداية حديثه عن بيسان أنها إحدى المدن الكنعانية التي يرجع تاريخها إلى العصر الكالكوليتي الذي امتد حوالي مائتي عام من (٣٤٠٠-٣٢٠٠ق.م)(٤)،وتميزت مباني المدينة في هذه المرحلة بالبيت المحرابي "apsidal" *،كما أنها بقيت خاضعة للحكم الكنعاني حتى القرن الخامس عشر قبل الميلاد(٥). وبعد ذلك سيطر عليها المصريون في عهد تحتمس الثالث** في منتصف القرن ١٥ ق.م(٦)، ويستدل على ذلك من خلال العثور على أساس القلعة المصرية التي شيدت في المدينة،ويرجع تاريخ بنائها إلى هذا القرن، وقد امتد الحكم المصري في بيسان حتى القرن ١٢ ق.م(٧). حيث انتشرت فيها اللغة المصرية القديمة*** إلى جانب انتشار الفن المصري(٨).

---

(١) الحسيني: ٨٩ ؛ Cf.also: Prawer: The Latin 361

(٢) ابن خردانبة: ٣١٩.

(٣) طوطح : ١٤٠.

(٤) الدباغ: بلادنا ١:١ /٣٦٧.وينظر: فوزي وحسين: ١٣-١٤.

* بنيت بشكل مستطيل ذي طرف مستدير ظهرت في بيسان في الطبقات (١٨-١٦) وفي أريحا (٦-٧).ينظر: اولبرايت: ٧٣.

(٥) الدباغ: بلادنا ١:١ /٥٣٠؛ أولبرايت :٧٣.

** حكم تحتمس البلاد سياسيا وعسكريا حيث عين لكل مدينة مندوبا سياسيا ومفتشين في المدن المهمة للإشراف على الأمراء المحليين، وجعل من غزة في فلسطين المركز الرئيس للإدارة. الدباغ: بلادنا ١:١ /٥٣٠.

(٦) الدباغ: بلادنا ١:١/٥٢١.

(٧) الدباغ: بلادنا ١:١/٥٣٠.

*** اللغة المصرية القديمة: هي التي كان يتكلم بها المصريون القدماء قريبة جدا في أصول مفرداتها من لغات البربر وأفريقية الشرقية، كما تشبه اللغات السامية في كثير من قواعدها. تطورت في أطر عدة انتهت باللغة القبطية الأخيرة التي استمرت حتى احتل العرب المسلمون مصر في ٢٠هـ/٦٤٠م. ينظر: الدباغ: ١:١/٥٣٠.

(٨) عثر في بيسان "بيت شان" التي كانت خاضعة لحامية مصرية على ثلاث لوحات ملكية مصرية، وجزء من لوحة رابعة، وتمثال ملكي، ونصوص لبعض الأشخاص . ينظر: اولبرايت: ١٠٠.

وبعد دخول بني إسرائيل إلى فلسطين بقيادة يوشع بن نون* في القرن الثاني الثاني ق.م(١) شارك عوج "og" ملك بيسان الكنعاني في حرب اليهود في المعركة التي دارت رحاها بينهم على أراضي مدينة عاي في الجبال الواقعة إلى الغرب من أريحا إلا أنه قتل على يد يوشع(٢)، ورغم هذا الانتصار إلا أن يوشع بن نون لم يستطع فرض سيطرته على بيسان، وذلك لحصانتها وقوتها، إذ قاومته وشعبه لعدة أجيال(٣)، وعند استيلاء أسباط إسرائيل الإثني عشر على أرض كنعان كانت "بيت شان" وما حولها من نصيب سبط منسي(٤) الذي لم يطرد الكنعانيين من المدينة، إلا أنه فرض عليهم الجزية(٥).

لقد استطاع شاؤول** أن يتخلص من حكم الفلسطينيين في حوالي عام ١٠٤٠ ق.م، لكنه لم يستطع إخضاع بيسان، وقد نصب الفلسطينيون معسكراً لشاؤول في وادي جالود، وتمكن أهل بيسان من هزيمته في معركة جلبوع سنة ١٠٠٤ ق.م(٦)، ولحقوا به بعد أن حاول الهرب، وقطعوا رأسه وعلقوه مع أولاده على مدخل المدينة(٧).

وفي سنة ٧٢١ ق.م وقعت بيت شان بيد الآشوريين(٨)، وبعدها خضعت لحكم الفرس حين استولوا على فلسطين سنة ٥٣٨ ق.م (٩)، ثم احتلها الإسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ ق.م وهو في طريقه لغزو بلاد فارس، وجدد اليونان بناء المدينة وسموها سكيثوبوليس(١٠) ثم آلت إلى حكم

---

(١)يوشع :١١: ١-٣ .

*ويوشع بن نون:(ت ق ١١ ق.م) ينتمي إلى سبط يوسف-عليه السلام- وقد تولى أمر بني إسرائيل بعد وفاة سيدنا موسى-عليه السلام-،وتشير التوراة إلى أن يوشع خلف موسى في كل ما أوكل إليه ربه وما كلفه القيام به،وهو الذي بعث من رجاله دفعة من الجواسيس عرفت أخبار الأرض،ثم عبر بنو إسرائيل نهر الأردن وتمكن من هزيمة الكنعانيين في أريحا وأمر بني إسرائيل بقتل ما فيها من رجال ونساء وأطفال حتى البقر والغنم بحد السيف.ينظر:يوشع:٢:٦؛دانيال:٧٤ هامش٥؛طعيمة: ١١١/٢.

(٢)دانيال : ١١٠.

(٣) كان الكنعانيون يستخدمون في القتال عربات مصنعة من الحديد، وقد تصدوا لبني إسرائيل الذين خافوا من هذا السلاح المستخدم في القتال . ينظر: يوشع ١٦:١٧.

(٤) يوشع ١٣: ٢٩-٣١ . وينظر: الدبس: ١٨٨/٢.

(٥) يوشع ١٧: ١٣.

** شاول بن قيس = هو طالوت الذي وحد القبائل الإسرائيلية تحت قيادته سنة ١٠٢٠ق.م وقتل سنة ١٠٠٤ق.م هو وأولاده الثلاثة على يد جوليان الفلسطيني (جالوت) . ينظر: صموئيل ٣١ : ١-٣ ؛ التطيلي : ٩٧ هامش٩؛ بورشارد: ٨٤ هامش ٥؛ الدبس:٢٦٣/٢.

(٦) الدباغ: بلادنا ٦:٢ /٤٦٢.

(٧) ابن العبري: تاريخ ٢٩. Poloner's : 34

(٨) الدباغ: بلادنا ٦:١/٦٠٨.

(٩) ابن العبري: تاريخ ٣٥.

(١٠) جونز: ٣٤. وينظر: الدبس: ٣٤/٣.

البطالسة بعد معركة ايبسوس (Ipsus) سنة ٣٠٢ ق.م (١)، وخضعت للسلوقيين في عهد أنطوخيوس الثالث* (Antiochus) الملقب بالكبير من سنة ٢٢٣ – ١٨٧ ق.م(٢)، ثم تعرضت لغزو يوحنا هركانوس المكابي** سنة ١٢٩ق.م ودمرها(٣)، وفي ٦٣-٦٤ ق.م استولى الرومان على سورية بقيادة بومبي*** (Bompey)، وفي عهده أعيد بناء بيسان بأمر من أولوس غابينيوس**** Oulus Gabinius سنة ٧٥ ق.م(٤)، ودخلت بيسان (سكيثوبوليس) في حلف المدن العشر(Decapolis)*****.

وقد ساند اليونان والسوريون من أهل البلاد الرومان في القضاء على الثورة التي قام بها اليهود في ٨ تشرين ٦٦م، وانتهت في ٨ أيلول سنة ٧٠م إذ فتك أهل بيسان بنحو ثلاثة عشر ألف منهم(٥).

---

(١) تحالف في هذه المعركة بطليموس وسلوقس وليزيماخس (Lysimachus) وكاسندر Cassander ضد انطوخيوس حيث وقع القتال بينهم على أراضي مدينة ابسوس في آسيا الصغرى سنة ٣٠٢ ق.م ولهذا سميت المعركة باسم المدينة التي دارت رحاها على أراضيها ورغم عدم اشتراك بطليموس فيها لعجزه إلا أنه قام بإعطاء الشام للبطالسة. ينظر جونز: ٢٦؛ رستم: ١٤٨؛ الدبس: ٣/٦٢.

* انطوخيوس الثالث: هو أحد قادة الأسرة السلوقية تولى قيادة الأسرة من ٢٢٣-١٨٧ ق.م بعد سلوقس الثالث حارب البطالسة وتمكن من هزيمتهم في معركة بانيون (بانياس) فاستولى على جميع أملاك البطالسة في سورية. ينظر: جونز: ٢٧،٣٧،٤٦-٤٧؛ رستم: ١٥١-١٥٢.

(٢) جونز: ٤٧؛ رستم: ١٥١.

** هركانوس المكابي: تولى رئاسة المكابيين من سنة ١٣٥-١٠٤ ق.م ، اجبر الادوميين سكان جنوبي فلسطين على التهود. ينظر: جونز٥٦؛ عز الدين ٢٩٧؛ رستم: ١٥٣.

(٣) رستم : ١٥٣.

*** بومبي: هو القائد الروماني الذي تمكن من الاستيلاء على آسيا الصغرى وسوريا سنة ٦٣ ق.م في عهد الإمبراطور اوغسطس. ينظر: جونز ٣٣،٦٣،١١٨.

**** اولوس غابينوس: هو أول وال عين على سوريا من قبل بومبي ٧٥-٥٧ ق.م، وقد أمر ببناء المدن التي دمرها المكابيون (السامرة، وسبسطية، وبيسان، وغزة،والطنطورة)، وجرد كاهن اليهود هاكانوس الثاني من لقب الملك ينظر: الدباغ:بلادنا ١:١/٦٢٠-٦٣٠.

(٤) الدباغ: ١:١/٦٢٠.

***** شكل هذا الحلف من المدن الداخلية وكانت عضوية الحلف حسب قول بلين متقلبة ولم يكن المنضمون في الحلف عشر مدن دائما، وكانت المدن التالية عضوا مؤسسا سكيثوبوليس (بيسان)، وبلار، وجدارا، وهبوس، وديوم) وكلها كانت في المملكة اليهودية، وقناتا، وكانت سابقا في الإمارة اليطورية وفيلادلفيا (ربة عمون=عمان) وجرش وكان يحكمها تيودور ولوزينون. جونز: ٦٦؛ مخلوف :١٠،١٥،٢٠.

(٥) الدباغ: بلادنا ١:١ /٦٥٨.

ورغم مما واجهه الرومان من مشكلات وعقبات فإن حكمهم انتظم فترة طويلة في فلسطين حتى آلت هذه البلاد إلى حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)(١)، وكان بر الشام مقسم إلى سبعة أقسام إدارية "ولايات" Provinces في نحو عام ٤٠٠م(٢) حيث كانت بيسان عاصمة فلسطين الثانية Palastina Seconda(٣) وتشمل: الجليل*، وجدارا**، وقلعة الحصن***، وطبرية.

انتقلت بيسان للسيادة الفارسية بعد أن تمكن شهربراز **** من دخول قيسارية ***** وبيت المقدس سنة ٦١٤م(٤) إلا أن حكم الفرس لم يطل في فلسطين إذ استطاع هرقل****** إعادة الشام وفلسطين سنة ٦٢٩م(٥)، وبذلك تمكن الرومان من إعادة السيطرة على المدينة مرة أخرى، ثم آلت المدينة في النهاية إلى حكم العرب الذين فتحوا كلاً من الشام وفلسطين، وانتقلت العاصمة منها

---

(١) انفصلت الإمبراطورية الرومانية الشرقية(البيزنطية)عن الإمبراطورية الرومانية الأم بعد موت ثيودسيوس الكبير سنة٣٩٥م.

(٢) بينز ١٤٥-١٤٦. كان لكل ولاية رومانية Provincia مسؤول يتبع نائب أمير اللواء Vicarius.

(٣) الدباغ: بلادنا ٦٩٢/١:١. ينظر: فوزي وحسين : ١٣،١٤.

* الجليل: يقع في شمال فلسطين ويقسم إلى قسمين أعلى واسفل . الأعلى حده جبل الشيخ وهو مرتفع جداً أما الأسفل فاقل ارتفاعاً ويتخلله سهول البطوف، عرابة. ينظر: الدباغ: بلادنا ٤٩/١:١.

** جدارا (أم قيس) : وهي تقع غربي مدينة إربد، وقد شيدت على مرتفع من الأرض يصل إلى نحو ألفي قدم (٦٦٧م) عن سطح بحرية طبرية. ينظر:بورشارد :٨٠؛ الفيتري :٢٦.

*** قلعة الحصن: هو حصن منيع على الجبل في الجهة الشرقية من قرية النقيب بالقرب من طبرية على الحدود السورية وهي مدينة يونانية قديمة وإحدى مدن فلسطين الثانية في العهد الروماني وترتفع ١٤٢م عن سطح البحر. ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٢٦٤/٢؛ شراب: ٢٩٥.

**** شهربراز: قائد فارسي يدعى فرّ خان ماه اسفندبار، وتدعى مرتبته شهربراز، ولم يكن من أهل بيت المملكة، كانت والدته منجبة، لا تلد إلا نجيباً، أحضرها أبرويز كسرى الفرس لاستشارتها فيمن يرسل من أبنائها لقتال الروم، فأشارت عليه بشهربراز لاتصافه بالحلم، فسار إلى الروم وخرب مدنهم وقطع أشجارهم واستخدم الحيلة والدهاء في قتال هرقل حتى جعله يرجع من المدائن إلى بلاده، قتل أردشير ملك الفرس وتولى مكانه أربعين يوماً، ثم قتل على يد ثلاثة إخوة من أهل اصطخر. ينظر : الطبري ٢٣١/٢، ابن الجوزي: المنتظم ٣٤٩/٣، ابن الأثير:الكامل ٤٧٥/١-٤٧٨، ٤٦٨-٤٩٩.

***** قيسارية: تعد من اجمل مدن فلسطين، عرفت في البداية باسم مدينة دورDor، كما عرفت باسم برج ستراتو وقام حاكم هيرود بإعادة بنائها وسماها قيسارية، وتبعد عن عكا ٢١ ميلاً (سبعة فراسخ)، وتشتهر بأراضيها الخصبة استولى الفرنجة عليه في رجب ٤٩٤هـ/أيار ١١٠١م، واستعادها الظاهر بيبرس في جمادى الأولى سنة ٦٦٣هـ/شباط ١٢١٥م. ينظر: المقدسي البشاري: ١٧٤؛ ناصر خسرو:٥٤؛ حسين: تاريخ قيسارية ٢٢٣.

(٤) ابن العبري: تاريخ ٩١؛ رنسيمان: تاريخ ٢٥/١.

****** الإمبراطور هرقل: ترجع أسرته إلى أصل أرمني تزوج من فابيا ايدوسيا وأنجب منها قسطنطين الذي خلفه على الحكم، وتزوج من ابنة أخيه مارتيا مما أدى إلى إثارة الكنيسة والشعب عليه، وهو من أعظم أباطرة التاريخ البيزنطي اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية سنة ٦١٠م بعد أن قتل نقفور فوكاس وملك ٣١ سنة و٥ شهور،وهو الذي أوجد بيزنطة في العصور الوسطى، ميزت عهده الحروب الطويلة الأمد مع فارس.ينظر:اومان: ١٥،١٦؛ رنسيمان: الحضارة٣٧-٣٩.

(٥) ابن العبري: تاريخ ٩٣؛ رنسيمان : تاريخ ٢٧/١.

إلى طبرية وذلك لفتحها عنوة وبالقسر(١).

كان لانتصار المسلمين في معركة أجنادين* سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ م أثره الإيجابي عليهم إذ سقطت بعض المدن بيد الجيوش الإسلامية، إلا أن الروم أخذوا يعيدون صفوفهم ويستعدون لحرب جديدة ضد المسلمين، إذ جلب هرقل قوات من أرمينية وآسيا الصغرى، وعين (ماهان) قائدا عليهم(٢). كما أرسل حملة أخرى بقيادة أخيه إلى فلسطين استطاعت أن تحتل قيسارية وتتقدم منها، مما أدى إلى انسحاب المسلمين وتراجعهم إلى بيسان، وهناك كادوا أن يلقوا حتفهم إلا أنهم استطاعوا تخليص خيولهم وأنفسهم من الأرض الموحلة (المستنقعات) في سهل بيسان الكبير ولقاء الروم في معركة فحل** سنة ١٣هـ / ٦٣٤ م(٣) وهزيمتهم، وعندما توجهت القوات الإسلامية بقيادة شرحبيل بن حسنة*** نحو مدينة بيسان لفتحها سنة ١٣ هـ / ٦٣٤م بعد معركة فحل كان أهالي المدينة والبيزنطيون قد استعدوا لقتال المسلمين، وتحصنوا داخل أسوارها، وبعد فترة من الحصار، خرجوا لقتال المسلمين، الذين اشتبكوا معهم وقتلوا عددا كبيرا من السكان وفتحوا المدينة. ومنهم من يقول بأنها فتحت على يد شرحبيل وعمرو بن العاص بعد حصار دام أياما، وخرج أهلها، وقتل منهم خلق كثير(٤)، ومن هنا يتبين أنها كانت مدينة قوية ومحصنة بأسوار منيعة.

وعندما فتح المسلمون بلاد الشام قاموا بإجراء بعض التغييرات الإدارية في البلاد إذ أبقى الحكام الجدد بصفة عامة على البناء كما كان في نهاية الفترة البيزنطية(٥)، واقتصر التغيير في أسماء المقاطعات، وتغيير عواصم المقاطعات، وأطلق على Provincia(٦) البيزنطية اسم جند أي

---

(١) فوزي وحسين: ٤١-٤٢.

* أجنادين: بلدة تقع بين الرملة وبيت جبرين في فلسطين قامت فيها معركة بين المسلمين والروم في ٦ جمادى الأولى ١٣هـ/تموز ٦٣٤م عرفت باسمها، كان قائد الروم تذارق أخ هرقل وقائد المسلمين عمرو بن العاص وكانت المعركة على أراضي خربتي جنابة الفوقا وجنابة التحتا، الطبري: ٤١٧/٣ استشهد فيها عبد الله بن الزبير وقتل تذارق. ينظر: البلاذري: ١٢-١٢٢.

(٢) الطبري: ٥٩/٤-٦٠.

** فحل: اسم موقع بالشام من الأردن، ومعركة فحل وقعت بين المسلمين والروم. ينظر: الذهبي: تاريخ، ٨٥.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ١٤٠/٤. وينظر: ابن الأثير: الكامل ٤٣١/٢.

*** شرحبيل بن حسنة: هو شرحبيل بن عبد الله، وحسنة هي أمه أسلم بمكة افتتح الأردن عدا طبرية، عزله أبو عبيدة واستعمل مكانه معاونه توفي بطاعون عمواس سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م. ينظر: ابن عساكر: تهذيب ٢٩٧/٦-٢٩٩.

(٤) اليعقوبي: تاريخ ٤٢/٢؛ ابن الجوزي: المنتظم ١٢٠/٤. وينظر: ابن الأثير: الكامل ٤٣١/٢؛ ابن خلدون: العبر ١٠٥/٢.

(٥) فوزي وحسين: ٤٤-٤٥. Beyer,G.,Das Gebiet 70

(٦) كانت الإمبراطورية الرومانية، تتكون من أربعة أقسام إدارية زمن الإمبراطور ثيودوسيوس(٣٧٩-٣٩٥ م) وكان يطلق على كل لواء (Prafectura) وتنقسم هذه الوحدات الإدارية إلى عدد آخر من الوحدات Ibceses يشرف على كل منها نائب أمير اللواء Vicarius، وكل قسم من ال Dioceses . ينقسم إلى عدد من المقاطعات Provinces على كل منها وال يخضع لنائب أمير اللواء. ينظر: بينز: ١٤٦.

مقاطعة عربية، وأصبح يطلق على فلسطين الثانية Palestina Secunda في النظام الروماني(١)، اسم جند الأردن(٢).

وتم تقسيم الجند إلى وحدات إدارية أصغر أطلق على كل منها اسم كورة* مثل كورة السامرة، وكورة بيسان، وكورة فحل، وكورة جرش وكورة بيت راس وكورة طبرية(٣).

وهكذا أصبحت بيسان تحمل اسم كورة بيسان، ومركزها مدينة بيسان بعد أن كانت عاصمة لفلسطين الثانية(٤)، وعين على جند الأردن معاذ بن جبل(٥).

شاركت بيسان في العصر الأموي في رسم سياسة الدولة وخاصة زمن حكم الخليفة سليمان بن عبد الملك**، الذي استشار أحد فقهاء مدينة بيسان المشهورين وهو رجاء بن حيوة الكندي***، فيمن يستخلف من بعده، فأشار عليه باستخلاف عمر بن عبد العزيز(٦)، كما لعب رجاء دوراً هاماً في أخذ البيعة لعمر****، عندما رفض هشام المبايعة له، وكان رجاء قد هدده بالقتل ومساندة عمر بن عبد العزيز وفي ذلك يقول اليعقوبي: " فلما بلغ إلى اسم عمر بن عبد العزيز قال هشام:لا والله لا أبايع! فقال رجاء بن حيوة: إذاً أضرب عنقك، وأخذ عمر فأجلسه على المنبر(٧)، وكان ملازماً

---

(١) Beyer, G. Das Gebiet 215

(٢) ابن رستة: ٣٢٨. وينظر:الإصطخري: ٤٣؛ ابن حوقل: ١٥٧-١٥٨؛ علي: خطط الشام ٢٢٦/٣؛ عراف :١١٩.

* كورة: لغة هي المدينة والصقع، والمدينة والفسطاط لها دلالة واحدة، فالمدينة مكان الاستقرار، والصقع ما يحيط بالمدينة من نواح، تكون المدينة مركزاً لها. ابن منظور: ١٨٥/١٢ ويرى البيشاوي: أن كورة مأخوذة من اللفظة اليونانية (khora) وتعني الزمام أو الظهير الزراعي للمدينة (أي المنطقة الريفية المحيطة بالمدينة)، البيشاوي: نابلس ٦٠.

(٣) ابن خرداذبة: ٧٧. وينظر: فوزي وحسين : ٥٧.

(٤) البلاذري: ١٤٤؛اليعقوبي : البلدان ٣٢٨؛ ابن الفقيه: ١٥٢؛الحياري: جندا فلسطين والأردن ٩.

(٥) اليعقوبي : تاريخ ٤٢/٢.

** سليمان بن عبد الملك: هو سليمان بن عبد الملك بن مروان وأمه ولادة بنت العباس، ولد في دمشق سنة ٥٤هـ وتولى الخلافة وهو في الرملة سنة ٩٦هـ/م كان عاقلاً وطموحاً إلى الفتح، توفي سنة ٩٩هـ.ينظر: اليعقوبي : تاريخ٢١٦/١؛ الطبري: ١٢٦/٨؛ المسعودي:١٢٧/٧؛ ابن خلكان : ٤٢٠/٢-٤٢٣.

*** رجاء بن حيوة: بن جرول الكندي أبو المقدام، شيخ أهل الشام في عصره. كان من الوعاظ الفصحاء العلماء، واستكتبه الخليفة سليمان بن عبد الملك، وكان ملازماً لعمر بن عبد العزيز، وكان الآخر يحترمه لعلمه وثقافته. ينظر: ابن سعد: ٣٣٨/٥. ٣٩٠-٤٠٧ ؛ ابن خلكان : ٣٠١/٢-٣٠٣؛ ابن حجر: ٢٢٩/٣-٢٣٠ .

(٦) اليعقوبي: تاريخ ٢٢٤/٢ ؛ ابن سعد: ٣٣٦/٥-٣٣٩.

(٧) اليعقوبي : تاريخ ٢٢٤/٢-٢٢٥.

**** عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، عرف بالخليفة الصالح والملك العادل، وقيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم، ولي الخلافة في صفر سنة ٩٦ هـ/٧١٤م ولم تطل مدته، قيل: دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة، فتوفي به سنة ١٠١ هـ/٧١٩م، وكانت مدة خلافته سنتين ونصف . ينظر اليعقوبي : تاريخ ٢٢٦/٢؛الكتبي: ١٠٥/٢.

لعمر بن عبد العزيز في عهدي الإمارة والخلافة(١). ولعل هذا يشير إلى أن كبار الشخصيات البيسانية لعبت دوراً مهماً في رسم سياسة الدولة الأموية. وكان لرجاء عظيم الأثر في هذه السياسة، إذ اهتم بالقدس اهتماماً كبيراً، وبذل جهده في تعميرها(٢).

نزل عبد الله بن علي* في مدينة بيسان أثناء ملاحقته لمروان بن محمد ** سنة ١٣٢هـ/٧٤٩-٧٥٠م، وتمكن عبد الله من القضاء على مجموعة من الأمراء الأمويين عند نهر أبي فطرس*** وبذلك خضعت المنطقة للدولة العباسية(٣).

ومع قيام الدولة العباسية شهدت بلاد الشام كثيراً من الأحداث منها ما حدث عام ٢٤٩ هـ/٨٦٣م في أثناء خلافة المستعين أحمد بن محمد المعتصم**** من خروج رجل بالأردن على الدولة فطلبه صاحب الأردن فهرب، وقام مكانه رجل يعرف بالقطامي كشف جمعه وجبر الخراج، وكسر جيشاً بعد جيش أنفدهم إليه صاحب فلسطين، ولم تزل هذه الحالة حتى قدم مزاحم بن خاقان***** التركي في جمع من الأتراك ففرق جمعهم ونفاهم عن البلاد(٤).

لقد أتاح ضعف الخلفاء العباسيين الفرصة للمتنفذين الاستقلال بولاياتهم عن الدولة العباسية،وفي هذا الإطار خضعت بلاد الشام ومن ضمنها بيسان لحكم الدولة الطولونية بإمرة أحمد بن طولون******

---

(١) اليعقوبي: تاريخ ٢٢٥/٢؛ ابن سعد: ٣٩٥/٥-٣٩٦؛ فوزي وحسين : ٦٣.

(٢) اليعقوبي : تاريخ ٢٢٤/٢-٢٢٥؛ ابن سعد: ٣٩٥/٥

* عبد الله بن علي:هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم أبي العباس السفاح،أوكل إليه السفاح محاربة مروان بن محمد في الشام حيث تمكن من هزيمته في معركة ألزاب،وفتح دمشق،وأجبره على الهرب إلى مصر.ينظر:اليعقوبي: تاريخ ٢٧٨/٢.

** مروان بن محمد : هو أبو عبد الملك بن محمد بن مروان بن الحكم ويلقب الجعدى نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم، وهي أخر خلفاء بني أمية. ينظر: السيوطي: تاريخ ٢٥٤-٢٥٥.

*** نهر أبي فطرس: نهر العوجا اسم نهر قرب الرملة بأرض فلسطين ويذكر في التاريخ الوسيط (نهر أبي فطرس)، بسبب المجزرة التي قتل فيها عبد الله عم السفاح مجموعة من الأمويين في قلعة رومانية قديمة على شواطئ هذا النهر كان اسمها انتيباتريس فنسب إلى أبي فطرس، ويعرف هذا النهر حاليا باسم نهر جريشة أو نهر اليركون. ينظر : البغدادي: ١٠٣٨؛ الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٢٦٧/٤ .

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ٢٩١/٢-٢٩٢.

**** المستعين أحمد بن محمد المعتصم، ويكنى أبا عبد الله وأمه أم ولد يقال لها مخارق بويع بالخلافة في الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨ هـ/٨٦٢م وبقي فيها إلى أن خلع نفسه في محرم سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م فكانت مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر، المسعودي: التنبيه والإشراف ٢٣١.

***** مزاحم بن خاقان: تركي الأصل، ولد ببغداد ونشأ فيها ، تولى إمارة مصر فتتابعت في أيامه الفتن. كان شديداً صلباً، وقد أبطل كثيراً من البدع وعاقب عليها، توفي بمصر سنة ٢٥٤ هـ/٨٦٨م . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣١٤/٢.

(٤) اليعقوبي: تاريخ ٤٦٠/٢.

****** توفي أحمد بن طولون سنة٢٧٠ هـ/٨٨٤م "وكانت إمارته نحو ست وعشرين سنة، وكان حازماً عاقلاً".أبو الفداء:المختصر ٥٣/٢.

عام ٢٦٤ هـ/٨٧٧م الذي كان محبوبا لحسن سياسته(١)، وقد عانت البلاد في هذه الحقبة من فساد القرامطة* إذ هاجموا القرى والمدن سنة ٢٩٣ هـ /٩٠٥م ومن ضمنها بيسان فقتلوا خلقا كثيرا من السكان، وسبوا النساء، وأخذوا كثيرا من الأموال(٢)، وتمكن العباسيون من استعادة بلاد الشام وفلسطين، بما فيها بيسان سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٥م(٣)، وشهدت بلاد الشام صراعا بين محمد بن رائق وبين الإخشيد، انتهى بالاتفاق على أن يحكم ابن رائق البلاد الواقعة شمالي الرملة**، على أن يكون للإخشيد من الرملة إلى مصر(٤)، وبهذا تكون بيسان قد خضعت لحكم ابن رائق بناء على ما تضمنته الاتفاقية، غير أن الإخشيد لم يلبث أن ضم أملاك ابن رائق بعد وفاته، وبقيت بيسان خاضعة لحكم الإخشيديين حتى سنة ٣٥٩ هـ/٩٧٠م(٥)، وفي السنة نفسها توجه الفاطميون إلى بلاد الشام بما فيها فلسطين، وانتزعوها من الإخشيديين، وبهذا تكون بيسان قد خضعت لسلطة الدولة الفاطمية عام ٣٥٩ هـ /٩٧٠م(٦).

استطاع الفاطميون فرض سيطرتهم على بلاد الشام وفلسطين بما فيها مدينة بيسان(٧) وقطعت الخطبة العباسية في تلك البلاد، وأقيمت للخليفة الفاطمي، وأصبح الفاطميون خلفاء مصر والشام، وبلاد المغرب(٨).

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣١٦/٧. وينظر: ابن العديم: ٧٧/١.

(٢) الطبري: ٣٩٣/١١-٣٩٤، وينظر: ابن كثير: ١٠٠/١١. ابن خلدون: العبر ٣٠٩/٤.

* القرامطة: هي فرقة من الفرق الإسلامية ظهرت في سواد الكوفة أواخر أيام الخليفة العباسي المعتمد كانت تدعو إلى أن يكون الإمام من أهل بيت النبي عليه السلام وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها قرمطة وهو رجل فقير قدم من نواحي خوزستان إلى سواد الكوفة ودعا إلى أن تكون الإمامة من آل النبي عليه السلام واستجاب له قوم كثير فاتخذ منهم اثني عشر نقيبا على عدد الحواريين ثم خرج إلى بلاد الشام وأخذ ينشر مبادئه هناك. ينظر: ابن العبري: تاريخ ١٤٩-١٥٤، وقد دخلت في صراع مع السنة واحتلوا الحرمين الشريفيين وسرقوا الحجر الأسود، ثم تحالفوا مع الدولة الفاطمية وانقلبوا عليها وبدأت حركتهم تخبوا تدريجيا أواخر القرن ٤هـ/١٠م.ينظر:القرطبي ٢١٧،٢٠٤؛ابن الأثير: الكامل ٥٣٠/٧-٥٣٥؛ابن العبري:تاريخ ١٤٩-١٥٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل ٥٣٥/٧-٥٣٦ . وينظر: أبو الفداء : المختصر ٦٠/٢.

** الرملة: مدينة قديمة وجدت في العصر البيزنطي، جدد بناءها سليمان بن عبد الملك، عندما كان أميرا على فلسطين، وقيل إنه سماها بهذا الاسم لكثرة الرمال، وقيل إنها سميت نسبة إلى امرأة تدعى رمله واعتقد أن الرأي الأول هو الصحيح، وصفها الجغرافيون بالحسن والجمال واتساع المساجد وهي ذات تجارة رائجة، وتعد الممر الذي يصل مدينة يافا الساحلية بالقدس كما تصل شمال السهل الساحلي بجنوبه، وكان يحيط بالمدينة سور متين ولها قلعة حصينة هدمها السلطان صلاح الدين بعد أن حررها من الفرنج. ينظر:اليعقوبي: البلدان ٨٩؛ابن الفقيه ٩٨،٨٩؛ابن رستة:٣٢٨؛الإدريسي:٣٥٦/١،٣٦٥؛القلقشندي: ٩٩/٤.

(٤) أبو الفداء: المختصر ٨٢/٢-٨٣.

(٥) ابن الأثير : الكامل ٣٦٤/٨. وينظر: ابن خلدون: العبر ٣١/٣-٣٢؛ سالم: طرابلس الشام ٤٤.

(٦) ابن الأثير : الكامل ٥٩١/٨؛ وينظر: أبو الفداء: المختصر ١٠٩/٢؛النخيلي: ٢٤٩.

(٧) النخيلي : ٢٤٩.

(٨) ابن الأثير : الكامل ٥٩١/٨.وينظر: ابن خلدون: العبر ٥٨/٤.

خضعت مدينة بيسان للحكم الفاطمي دون مقاومة، أسوة بمدينة طبرية، وأقام أهلها الخطبة للخليفة الفاطمي قبل وصول القوات الفاطمية للمدينة، وذلك خوفاً مما فعله جوهر الصقلي* من القتل الكثير من أهل مدينة الرملة عندما دخلها عنوة(١)، وبالقرب من بيسان وعند جسر الصنبرة** شيد القائد جعفر بن فلاح *** قصراً لمقاتلة الخارجين عن سلطان الدولة الفاطمية(٢)، وقد شاركت بيسان إلى جانب دمشق، وباقي فلسطين في الحملة التي أرسلها جعفر ابن فلاح بقيادة غلامه فتوح سنة ٣٦٠ هـ/٩٧٠م لاستعادة أنطاكية التي كانت قد وقعت في أيدي الروم البيزنطيين قبل ثلاث سنوات من دخول الفاطميين للشام(٣).

وقعت بيسان تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية في الحملة التي شنها الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزمسكس**** Jeant Zimisecces سنة ٣٦١-٣٦٦هـ/٩٧١-٩٧٦م على بلاد الشام مستغلِ ضعف الدولة الإسلامية الناتج عن الصراع المذهبي بين القوتين السنية في بغداد، والشيعية في القاهرة، ووجه عنايته للسيطرة على الأماكن المقدسة في الجليل فاخضع بيسان وعين

---

* جوهر الصقلي: هو أبو الحسن (حسين) جوهر بن عبد الله، ويلقب بالكاتب، وهو قائد فاطمي ولد في أرض الروم، ثم أحضر إلى القيروان بين من أحضر من العبيد، اعتقه المعز ولد المنصور وخليفته وسرعان ما ارتقى جوهر من منصب الكتابة إلى الوزارة ثم أميراً لأمراء الجيش وبرز في القيادة في عهد المعز، وعندما لمع اسمه أخذ المعز بتجريده من صلاحياته وبعد وفاة الأخير سنة ٣٥٦ هـ /٩٧٦م استخدمه العزيز قائداً للجيش وتوفي سنة ٣٨١ هـ /٩٩٢ م. ينظر: ابن الأثير ٩/٩٤؛ ابن خلكان ١/١٤٧-١٤٩؛ المقريزي: أتعاظ الحنفا ١/٣٥٢؛ ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة ٢/٤٠٤.

(١) ابن الأثير: الكامل ٨/٥٩١. أبو الفداء: المختصر ٢/١٠٩.

** جسر الصنبرة: يقع على نهر الأردن أسفل بحيرة طبرية على طريق دمشق وسمي بهذا الاسم نسبة إلى قرية الصنبرة التي يقع عليها، وقد وقعت بالقرب منه معركة بين المسلمين بقيادة طغتكين والفرنج سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، وكان النصر حليف المسلمين. ينظر: ابن القلانسي : ذيل ١٨٥؛ المقدسي البشاري ١٦١؛ الدباغ: بلادنا ٢:٦/٤٣٦.

*** جعفر بن فلاح:هو القائد الفاطمي الذي أوكل إليه جوهر سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٨م،ضم الشام وفلسطين وقد تمكن من ذلك وأصبح جعفر قائداً للجيش الفاطمي بالشام في الوقت الذي كان فيه جوهر بمصر والمعز لدين الله الفاطمي بالقيروان،وقد قتل على أيدي القرامطة في الدكة بدمشق سنة ٣٦٠ هـ وبقي في الطريق لا يعرفه أحد حتى شاهده أحد المارة فعرفه فجاء أبي عصودا فاخذ رأسه وصلبه على حائط في داره وبذلك اخذ الثار لأخيه الذي قتله جعفر. ينظر: ابن أيبك الدوادري:٦/١٢١-١٣٥.

(٢) ابن أيبك الدواداري : ٦/١٢٥.

(٣) ابن أيبك الدواداري: ٦/١٢٧. وينظر: المقريزي : اتعاظ الحنفاء ١/١٢٣.

**** يوحنا تزيمسكس (يوحنا الشمشيق): اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية من سنة ٣٥٩-٣٦٦هـ/٩٦٩-٩٧٦م بعد قتله الإمبراطور نقفور فوقاس بمؤامرة مع زوجة الإمبراطور نقفور (فوقاس) نفذاها ليلة ٢٦ محرم ٣٥٩هـ/١٠ كانون الأول سنة ٩٦٩م اللذين جمعتهما المصلحة المشتركة في قتله وهو كرههما لنقفور ولحب جمع بينهما علماً بأن يوحنا لم يكن من الأسر المقدونية صاحبة الحق الشرعي في حكم الإمبراطورية وإنما كان من القادة العسكريين ويعود في نسبه إلى أكبر البيوت الأرستقراطية في الإمبراطورية البيزنطية حيث ينتمي من جهة أبيه إلى أسرة كوركواز Cureuas ومن جهة أمه إلى أسرة فوقاس. ينظر: ابن القلانسي:ذيل ١٢٠؛ ابن الأثير: الكامل ٨/٢٣٩،٢٨٠؛ربيع: دراسات ١٥٧؛ توفيق : مقدمات ٢٣-٢٤.

حكاماً عسكريين عليها وعلى عكا *(١). ثم سار إلى قيسارية على الساحل،وهناك قدمت الوفود من القدس تطلب منه تجنيب المدينة مخاطر النهب(٢) ومع بداية فصل الشتاء قرر الإمبراطور تأجيل مشروعه وعاد إلى القسطنطينية، إلا أنه توفي في ٣٦٦هـ/٩٧٦م وبهذا لم يكتمل مشروعه الذي قدم إلى بلاد الشام من أجله(٣).

وفي أواسط القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بدأت قوة الأتراك السلاجقة** في الظهور على مسرح الأحداث، وفرضت حمايتها على الخلافة العباسية في بغداد،بعد أن حققوا انتصارهم على الروم البيزنطيين في معركة ملاذكرد*** ٤٦٤هـ/١٠٧١م،مما شجعهم من فرض سيطرتهم على بلاد الشام وفلسطين فتمكن اتسز بن أوق الخوارزمي****، أحد قادة ألب

---

* عكا: تقع مدينة عكا على الساحل الشرقي للبحر الشام (المتوسط) وفي اقصر شمال الخليج الذي حمل اسم المدينة. ينظر: الحموي،ياقوت: معجم البلدان ٤/١٦٣؛ الخال:١٣٧.

(١) توفيق : مقدمات ١٦٣.

(٢) ربيع : دراسات ١٥٧-١٥٨. وينظر: توفيق : مقدمات ١٦٣.

(٣) يعد هذا المشروع هو تكميل لمشروع الإمبراطور نقفور فوقاس بالسيطرة على بلاد الشام والأماكن المقدسة وإعادة بسط نفوذ الإمبراطورية البيزنطية في حوض البحر المتوسط والذي بدأ بإعادة جزيرة كريت من المسلمين سنة٣٥٠هـ/٩٦١م ثم أنطاكية سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، ثم فرض سيطرته على إمارة حلب سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م.ينظر ربيع: دراسات ١٥٧؛ رنسيمان: تاريخ ١/٥٤-٥٥.

**السلاجقة: مجموعة من القبائل التركية التي أطلق عليهم اسم (الغز) هجروا من تركستان خلال ق ٤،٣،٢ للهجرة تحت ظروف قاهرة، وهم ينتسبون إلى قائدهم سلجوق بن دقاق وكان لا يعرف لهم اسم خاص قبل توليه أمرهم، ويبدو أنه هو الذي جمع شملهم تحت زعامته، وقد حكمت أقاليم مترامية الأطراف في آسيا الوسطى والدنيا من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي، ومن أهم هذه الأسر السلاجقة العظام وسلاجقة العراق، وسلاجقة كرمان، وسلاجقة الشام وسلاجقة آسيا الصغرى (الروم). ينظر:الحسيني: ٢٣-٣٧؛البنداري:تاريخ ،٧-١١؛هوارت:دائرة المعارف الإسلامية ١٢/ ٢٤-٣٨.

*** معركة ملاذكرد أو مانزكرتManzikert: حصلت هذه المعركة في أوائل صيف سنة ٤١٤هـ/ ١٠٧١م على أراضي مدينة مانزكرت قرب خلاط بين السلاجقة بقيادة ألب أرسلان والبيزنطيين بقيادة رومانوس الرابع، وانتهت بهزيمة الجيش البيزنطي نتيجة لخيانة الضابط أندرونيكوس دركاس قائد القوة الاحتياطية ووقوع رومانوس بالأسر بعد أن سقط عن حصانه، وقد عومل رومانوس من قبل ألب أرسلان معاملة حسنة، وأطلق سراحه بعد عدة شهور بافتداء نفسه. ينظر: البنداري : تاريخ ٤٠-٤٤؛ ابن الأثير: الكامل ١/٦٥-٦٧؛ابن أيبك الدواداري: ٦/٣٩٢-٣٩٦؛ اومان: الإمبراطورية البيزنطية ١٩٧-١٩٨.

**** اتسز بن أوق الخوارزمي:هو أحد قادة السلطان ألب أرسلان، وكان يعرف باسم الاقسيس أو اقس، وهو مقدم الأتراك الغز في بلاد الشام، وكان اتسز قد استولى على معظم فلسطين سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، كما استولى على دمشق سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، وقد قتل في دمشق على يد تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م .البنداري :تاريخ ٧٠. وينظر الحسيني: ١٤٩؛المقريزي: المقفى الكبير ٢/٢٢٠.

أرسلان* من الاستيلاء على مدينة الرملة، وطبرية، وبيت المقدس، والمناطـق المحيطة بها في سنة ٤٦٢-٤٦٣ هـ/١٠٦٩-١٠٧٠م(١)، وفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م حاصر شكلي التركي** ثـغر عكا، وكان فيها أولاد أمير الجيوش بـدر الجمالي*** وأهلـه وحرمـه، فأحسن إليهم، وأكرمـهم، وأخذ البلد بالسيف، وقتل الوالي، ثم سار إلى طبرية، فسارت إليه عساكر دمشق، وحـاربوه علـى طبرية(٢). وفي النهاية تمكن أتسز من قتل شكلي بطبرية عام ٤٦٧هـ/١٠٧٤م، ونهبـها طبريـة، وقتل أهلها(٣)، ومن المحتمل أن تكون بيسان قد سقطت بيد أتسز مع طبرية لأنها قريبة منها، وفـي النهاية فرض سيطرته على دمشق سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، تنفيذاً للسياسة العامة بطرد الفاطميين مـن بلاد الشام(٤).

استـعاد الفاطميون القدس سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م،وتمكن القـائد الفـاطمي نـاصر الدولـة الجيوشـي**** من الإستيلاء على أعمال فلسطين ودمشق(٥)،وفي مقدمتها بيسان التي كانت مـن أعمال دمشق فإنّ عملية إعادة السيطرة الفاطمية قد شملتها،وفي نهاية عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م امتلـك السـلاجقة بـلاد الشـام الداخلـيـة في حين امتلك الـفـاطميون الموانئ الساحلية،مثل:عكـا،

---

*ألب أرسـلان: هو السلطان السلجوقي ألب أرسـلان بن داود بن مكائيل بن سلجوق، واسمه في اللغة التركية يعنـي الأسـد الهمام أو الباسـل، ملك البلاد بعد أبيه جغري بك، وانتزع العراق من ابن عمه قلطمش بن إسـرائيل سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م استقر في السـلطنة حين توفي عمه عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٢م، وهو أول من ذكر على منابر بغداد بعـد السـلطان، حـاصر حـلـب عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م إلى أن ملكهـا، وقد اتصف بالعـدل وحسـن السـيرة، توفي يوم السـبت أواخـر ربيـع الأول ٤٦٥هـ/١٤ كانون الأول ١٠٧٢م . ينظر: ابن الأثـيـر: الكامل: ١٠/٦٥-٦٧؛ ابن خلكـان: ٥/٦٩-٧١؛البنـداري: تاريخ ٤٧-٤٩.

(١) ابن القلانسـي:ذيـل ٩٨-٩٩. وينظـر:أبو الفـداء: المختصـر ١٨٧/٢؛ ابن تغـري بـردي: النجـوم الـزاهـرة ٨٧/٥.

** شكلي التركي: أحد القادة الأتراك القادمين إلى الشام من العراق. ينظـر ابـن القلانسـي: ذيـل٩٨-٩٩؛ أبـو الفـداء: المختصر١٨٧/٢.

*** وكان بدر الجمالي مملوكاً أرمنيا لأحد أمراء الشام، وأخذ يترقى في المناصب، ثم ولي إمارة دمشق مـن قبـل الخليفـة المستنصر سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، ثم تقلد نيابة عكا سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م، ثم وزارة مصر سنة ٤٦٦ هـ/١٠٧٤م، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٤م. ينظر:ابن القلانسي: ذيل ٩٣،١٥٤؛ابن أيبك الدواداري: ٣٩٩/٦،٤٣٩.

(٢) ابن ميسر : ٤١.

(٣) ابن الأثير: الكامل ٦٨/١٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل١٠/٦٨ . وينظر :ابن العبري: تاريخ ١٩٢؛ الذهبي: العبر ٢٦٦/٣.

**** ناصر الدولة الجيوشي: ذكره ابن الأثير باسم نصر •وهو أحد القادة الفاطميين أرسله بدر الجمال لقتال اتسـز بـن أوق. وينظر: ابن الأثير: الكامل ١١١/١٠.

(٥) علي: خطط الشام ٢٣٨/١.

وصور*، وصيدا** وبذلك ضم السلاجقة بيسان مرة أخرى إليهم(١).

مما لا شك فيه بأن هذا الصراع الدائم بين القوة السلجوقية السنية والقوة الفاطمية الشيعية أدى إلى ضعف واضمحلال الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في القاهرة، في الوقت الذي كان أولى بالخلافة الإسلامية أن تلقى ظلها الروحي لجمع الكلمة وتوحيد القوى ورص الصف بدلا من الفرقة والتنافر(٢).

وبالإضافة إلى ذلك انقسم السلاجقة على أنفسهم وقتذاك وقامت الحروب بينهم واندلع الصراع بين سليمان بن قتلمش*** وتاج الدولة تتش****، وانتهى بقتل سليمان في صفر ٤٧٩هـ/ أيار ١٠٨٦م(٣)، ثم نشب صراع بين بركياروق بن ملكشاه وبين عمه تاج الدولة تتش بعد وفاة ملكشاه*****، وكانت النتيجة أن قتل تاج الدولة في المعارك التي دارت بين الطرفين سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م(٤). لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل نشب صراع بين الأخوين رضوان ودقاق ابني تتش بعد مقتل والدهما(٥).

لقد كان لهذه الحروب أثر كبير في الشرق الإسلامي، إذ ألقته في محنة كبيرة، أدت إلى تفكك القوى الإسلامية وضعفها من الناحية الاقتصادية والعسكرية ، فأصبحت سهلة على الغزاة الفرنجيين فدخلوا البلاد الإسلامية دون أي مقاومة تذكر(٦).

---

* صور: وصفها ابن شداد بأنها مدينة حصينة يحف بها البحر ثلاث جهات ولها ربض يعمل فيه الزجاج المحكم استولى عليها الفرنجة سنة ٥١٨ هـ/١١٢٤م . ينظر : ابن شداد: الأعلاق ١٦٣.

** صيدا :مدينة على ساحل البحر وعليها سور من حجارة كبيرة، ولها أربعة أقاليم متصلة بجبل لبنان تشتمل على نيف وستمائة ضيعة سقطت بيد الفرنجة سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م.ينظر:ابن شداد:الأعلاق ٩٨؛ أسامة: صيدا ٨٠.

(١) ابن الأثير: الكامل ١٥٠/٨.

(٢) الشيخ : الجهاد المقدس ٣٧.

*** سليمان بن قتلمش هو ابن عم السلطان ألب أرسلان السلجوقي، عهد إليه السلطان بالاستيلاء على آسيا الصغرى، وقد قتل في معركة جرت بينه وبين تاج الدولة تتش ٤٧٩هـ/١٠٨٦م. ينظر: ابن الأثير: الكامل ١٤٧/١٠.

**** تاج الدولة: هو أبو سعيد تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ولد سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م ، كان حاكم على الشام وجزء من فلسطين. ينظر: الحسيني: ١٧٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل ١٤٧/١٠.

***** بركيارق: هو ركن الدين أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان أمه زبيدة ابنة ياقوتي وهي ابنة عم ملكشاه ولد سنة ٤٤٧هـ/١٠٨١م، وكانت مدة سلطنته اثنتي عشرة سنة وأربعة اشهر وعمره خمس وعشرين سنة توفي في الثاني من ربيع الأخر ٤٩٨هـ/ ٢٣ كانون الثاني١١٠٤م.ينظر:الحسيني: زبدة ١٥٣،١٥٤،١٦٤.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ٧٦/٩-٧٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل ٢٦٩/١٠.

(٦) التميمي : الحروب الصليبية ١٧.

استيلاء الفرنجة على الجليل وبيسان

وجدت الجيوش الفرنجية الفرصة سانحة لها للنزول على الساحل الشامي، حيث مروا بظهير المدن الساحلية، مثل: بيروت*، وجبيل**، وصيدا، واحتفلوا قرب قيسارية بعيد العنصرة*** في ٦ رجب ٤٩٢هـ/٢٩ أيار ١٠٩٩م(١)، ثم تحركوا نحو أرسوف****، ومنها انطلقوا لتحقيق هدفهم الرئيس، وهو الاستيلاء على مدينة القدس، حيث تمكنوا في طريقهم من الاستيلاء على الرملة التي أخلاها ساكنوها خوفا من الفرنجة، ومنها إلى بيت المقدس التي أصبحت الطريق إليها مفتوحة بعد سقوط الرملة، وكانت مدينة القدس مدينة قوية التحصين بموقعها ذي الانحدارات، إذ لم يكن من السهل مهاجمتها إلا من الشمال والجنوب الغربي(٢).

وصلت طلائع الجيوش الفرنجية وعلى رأسهم تانكرد Tancerd وبلدوين دي بورج Baldwin de Bourg ***** أمام أسوار المدينة في ١٥رجب ٤٩٢هـ/٧حزيران ١٠٩٩م بينما كان والي المدينة افتخار الدولة* استعد للدفاع عنها(٣).

---

* بيروت: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام، وتعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ وعليها سور من حجارة استولى عليها الفرنجة سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م. ينظر : ابن شداد: الأعلاق ١٠٢.

** جبيل: تقع على الساحل اللبناني بين بيروت وطرابلس وتبعد عن بيروت نحو ثمانية فراسخ، وتقع في الإقليم الرابع وهي من فتوحات يزيد بن أبي سفيان، سقطت سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م بفضل المساعدة التي قدمها الجنويون، وحصلوا مقابل ذلك على ثلث المدينة، فتحها السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ثم عادت للحكم الفرنجي بموجب صلح الرملة. ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ١٢٧/٢؛عوض: الرحالة ٦٠.

*** عيد العنصرة: من أعياد النصارى يحتفل به بذكرى حلول الروح القدس على الرسل، ويأتي بعد خمسين يوما من عيد القيامة.ينظر: أعمال الرسل،٢:٢؛ توديبود: ٢٩٤.

(١) الصوري: ٤٠٠/١. وينظر : مجهول: أعمال ١١٤.

**** أرسوف: مدينة عريقة في فلسطين تقع على بعد ثلاثة فراسخ(٣ أميال=١٦,٧٧٢سم) جنوب قيسارية وكانت تدعى ابولونيا(Opollania) في العهد اليوناني، أما الاسم أرسوف فيرجع في اصله إلى الإله السامي (رسف) الذي كان نظير للإله اليوناني (ابوللو) وهو اله الخير والخصب، سقطت بيد الفرنجة بعد محاولات عدة سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م وأصبحت إمارة إقطاعية دمرها الظاهر بيبرس وفتحها سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م وعادت قرية بعد أن كانت إقطاعية. ينظر بورشارد: ٩٤؛ ابن القلانسي: ذيل ١٣٩؛ جونز: ١٤٠/٢-١٥٠؛ سترنج: فلسطين في العهد الإسلامي ٣١٨؛ العقاد : ١١٨،١٩،١٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٢٧٩/١٠-٢٨٣. وينظر: مجهول: أعمال ١١٤ ؛ الصوري : ٤٠٠/١؛ الشارتري: ٧٠.

***** بلدوين: هو بلدوين دي بورج وهو قريب بلدوين الأول، وخلفه أولا في ولاية الرها عام ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م، ثم عندما اصبح ملكا لمملكة بيت المقدس اللاتينية عام ٥١٢هـ/ ١١١٨م وحمل اسم بلدوين الثاني وأنجب ابنة عرفت بالتاريخ باسم الملكة ميلسنة التي تزوجت من فولك الاغوي وأنجبت منه بلدوين الثالث وعموري الأول. ينظر الشارتري: ٧٠-٩٦.

****** افتخار الدولة: هو الوالي الفاطمي على مدينة القدس عين عليها من قبل الأفضل بن بدر الجمالي بعد أن استرجعها من السلاجقة سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م، وبقي عليها حتى استيلاء الفرنجة عليها. ينظر: ابن الأثير: الكامل ٢٨٣/١٠؛ ابن العبري: تاريخ ١٩٧.

(٣) الصوري ٤٠١/١.

بادرت الجيوش الفرنجية إلى فرض الحصار على بيت المقدس فور وصولها في ١٤ من شهر رجب ٤٩٢هـ/ ٦ من حزيران سنة ١٠٩٩م(١)، وشرع قادة الجيوش بتضييق الخناق على المدينة. فحاصرها روبرت النورمندي* (Robert de Normandie)، وروبرت كونت فلاندرز** (Robert Cont Flanders) من الشمال، ومن الغرب جودفري البويوني*** Godfry Bouillen، وتانكرد Tancerd ومن الجنوب ريموند دي سانت جيل**** Rymondde Saint- Gilles(٢).

تمكنت الجيوش الفرنجية من دخول مدينة القدس يوم الجمعة الموافق ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ/١٥ تموز ١٠٩٩م(٣)، وقد اقترفوا مذبحة وحشية ذهب ضحيتها سكان المدينة(٤)، ويصف ابن الأثير ما قام به الفرنج من مجازر مشيراً إلى كثرة القتلى، بقوله: " وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعا يقتلون فيه المسلمين"(٥) ويقول ريموند أجيل "دعوني أخبركم بأن هذه الأشياء تافهة ولو أننا أخبرناكم لما صدقتمونا ففي معبد سليمان (المسجد الأقصى) خاض الصليبيون بخيولهم في الدم الذي وصل إلى ركبهم وسروج خيولهم، وفي رأيي أن هذا عدالة إلهية في أن يتلقى معبد سليمان دم المسلمين"(٦).

---

(١)مجهول: أعمال ١١٤. وينظر :الصوري: ١/٤٠٤، ٤٠٥؛ الشارتري: ١١٩.

* روبرت النورمندي: هو ابن وليم الفاتح ملك انجلترا، شارك في الحملة الفرنجية الأولى بجيش كبير من النورمان والإنجليز. ينظر: الشارتري: ٤١.

** روبرت كونت فلاندرز: هو روبرت كونت فلاندرز خلف روبرت الأول الفريزي سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م، وكان الأخير قد حج إلى القدس تكفيراً عن آثامه في وقت ما من العقد الذي انقضى قبل وفاته، وكان قد زار ألكسيوس في رحلة عودته، ووعده بإرسال الجنود لمساعدته ضد الأتراك، وأتم وعده سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠ م، وكان لابنه روبرت الثاني المشهور بشجاعته وورعه ايضاً اهتمام تقليدي في الصراع ضد المسلمين واسترداد الأرض المقدسة، وكان ابن عم روبرت اوف النورماندي.ينظر: الصوري: ١/٢١٦.

*** جودفري: كان يعرف بدوق اللورين السفلى، ولد في شهر جمادى الأولى سنة ٤٠٥ هـ/تموز ١٠١٤م، وهو ابن الكونت يوستاش، وكانت والدته إدا ida تتمتع بشخصية بارزة، وتنتمي لعائلة عريقة النسب في الغرب الأوروبي. وكان دوق اللورين دون أولاد، فتبنى ابن أخته جودفري ليكون ابناً له، وفي حالة وفاته فإن جودفري يتولى عرش الدوقية، وكانت ماتلدا (Matilda) أخت جودفري متزوجة من الملك ستيفن(Stephen) ملك إنجلترا الشهير . ينظر :الصوري: ١/٣٨٥-٣٨٦؛ توديبود: ٦٨؛ فورزبورغ : ٧٤-٧٥.

(٢) مجهول : أعمال ١١٤.

**** ريموند سانت جيل : هو الابن الأصغر لريموند الثالث، وهو كونت رورغو وتميز وتاربون، ولد ريموند سنة ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م وهو أحد القادة الكبار في الحملة الأولى والأكثر ثراء حسب جميع الروايات. ينظر:الصوري: ١/٢١٧.

(٣)ابن القلانسي : ذيل ١٣٧.ينظر: ابن خلكان: ١/١٩٧ ؛ مجهول: أعمال ١١٧؛ باركر: ٣٦.

(٤) زكار : مدخل ٢٤٤.

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٧/٤٧؛ ابن الأثير: الكامل ٨/١٨٩.

(٦) ريموند اجيل: تاريخ الفرنجة ٢٣٨. وينظر: توديبود: ٣١٨-٣١٩.

بلغ عدد قتلى المسلمين استناداً إلى رأي مؤرخيهم اكثر من سبعين ألف(١)، في حين أن المؤرخ السرياني المجهول قدرهم بثلاثين ألف(٢)، وترجح بعض الدراسات الرأي الثاني بسبب الروح العسكرية والتضحيات التي تمتع بها افتخار الدولة والي المدينة وانعكاس ذلك على أهالي المدينة الذين تفاعلوا مع الوالي واستجابوا لندائه بتحصين المدينة، ومن هنا يتبين لنا أن السكان لو كانوا بهذا العدد لما استطاع الفرنجة من دخولها وخصوصاً أنهم عانوا خارج أسوار المدينة من نقص الماء والطعام وأدوات الحصار(٣).

لم تشر المصادر العربية والأجنبية إلى موقف باقي المدن الفلسطينية ومن ضمنها بيسان في أثناء حصار الفرنجة لبيت المقدس باستثناء مدينة نابلس التي أسرع أهلها بإرسال وفد لتسليمها عندما سمعوا بما يرتكبه الفرنجة من المجازر في المناطق التي يعبرون منها(٤).

بدأ تانكرد Tancerd بعد معركة عسقلان في ٢١ رمضان ٤٩٢هـ/١١ أيلول ١٠٩٩م(٥) بالتفكير في إقامة إمارة له في إقليم الجليل، الذي كان يغرق في هذا الوقت بالنزاع ما بين الفاطميين وأمير دمشق (دقاق)* على السيادة فيه والتي انتهت لصالح دقاق على إثر هزيمة الأفضل في عسقلان(٦)، ولكن لم يدم هذا الإقليم لدقاق، إذ أن تانكرد Tancerd الذي يطمح بإقامة إمارة له في الإقليم، تحرك من نابلس بعد أن اعد العدة نحو مدن الجليل المهمة(٧) وطرد المسلمين من هذا الإقليم تمهيداً لتكوين الإمارة، حيث استولى على بيسان ثم تحرك نحو طبرية ومنها توجه إلى الناصرة وجبل طابور(٨).

سقطت مدينة بيسان كباقي مدن الجليل دون أي مقاومة تذكر، ولربما يعود ذلك إلى أن سكانها المسلمين قد هربوا منها قبل وصول تانكرد Tancerd إليها، بسبب الحروب الداخلية بين السنة

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ١٠٨/٩؛ ابن الأثير: ١٨٩/٨؛ابن خلدون : العبر ٢١/٥.

(٢) مجهول : الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، يقع ضمن كتاب الحروب الصليبية ٤٠٩/١-٤١٠.

(٣) عوض : الرحالة ٩٩.

(٤) البيشاوي: نابلس ٤٦٠.

(٥) مجهول: أعمال ١٢٥. ابن القلانسي: ذيل ١٣٧. غوانمة: الأفضل بن بدر الجمالي ١٢٦.

* دقاق: هو شمس الملوك دقاق ابن السلطان تاج الدولة تولى دمشق بمساعدة من ساوتكين الخادم بعد استشهاد والده تاج الدولة سنة ٤٨٨هـ/١٠٥٦م وتوفي سنة ٤٩٧هـ /١١١٣م اثر مرض أصابه. ينظر: ابن القلانسي: ذيل ١٣٠،١٤٥.

(٦) Raoul : 703 . وينظر: الصوري: ٥/١، ١٢٤.

(٧)رنسيمان: تاريخ ٤٢٦/١؛ حبشي: الحروب الصليبية الأولى ١٩٤.

(٨) Raoul : 703 . c f. also: Albert d'Aix . 517-518

والشيعة، وهناك تعليل أخر بأن نسبة كبيرة من سكانها كانوا نصارى وخاصةً أنها كانت عاصمة للمطرانية المسيحية في الجليل، قبيل استيلاء الفرنجة عليها(١).

ساعدت الظروف الموضوعية في الجليل تانكرد على الاستيلاء عليه وإقامة إمارته المرتقبة فيما بين أشهر آب وبداية شهر شوال ٤٩٢هـ / أيلول سنة ١٠٩٩م(٢). حيث اشتملت هذه الإمارة على طبرية والناصرة وبيسان ونابلس، إلا أن تانكرد Tancerd لم يكتف بهذه المدن وما حولها من الأراضي الزراعية، فبدأ يبحث عن منفذ لإمارته على الساحل، فتطلع إلى حيفا لتكون ميناء لإمارته ومنفذاً بحرياً لها(٣).

إلا أن جودفري Godfry عارضه بذلك بأن وعد بإعطائها إلى جلديمار كاربنيل Geldcmar Carpenel في ٩ رمضان سنة ٤٩٢/ ١٨ تموز سنة ١١٠٠م(٤).

ولهذا تردد تانكرد Tancerd في حصار حيفا بداية ولكن دايمبرت البيزي Daimbert * بطريرك بيت المقدس، أقنعه بالمبادرة بحصارها وحثه على مواصلة الحرب لإسقاطها،وفي أواخر آب سنة ١١٠٠م،شوال سنة ٤٩٣هـ استولى الفرنجة على حيفا(٥)، وكان ذلك بعد وفاة جودفري Godfry بأيام، وبهذا انتهى وعده لجلديمار بإعطائه المدينة،وضمها تانكرد Tancerd لإمارته وأصبحت منفذاً مهماً على البحر ليرضي ما يطمح إليه، وبذلك اكتملت الإمارة وجعل الأمير تانكرد Tancerd مدينة طبرية عاصمة لها(٦).

---

(١) الصوري: ٩٧٣/٢.

(٢) البيشاوي: نابلس ٥٠.

(٣) حبشي: الحروب الصليبية الأولى ١٩٤ Richard , vol .v. 73, Mayer: The Crusades 65

(٤) Albert'Aix: 521-523.cf . also Stevenson : The Crusaders 40-41

* دايمبرت البيزي: كان رئيسا لأساقفة بيزا، وحضر مع مجموعة من المرافقين إلى ميناء اللاذقية وقد اختير بطريركا على بيت المقدس في كانون الأول سنة صفر سنة ٤٩٣ هـ/١٠٩٩م. ينظر: الصوري: ٩٩/١؛ الشارتري: ١٣٢، ١٤٠.
Albert d'Aix : 531-32

(٥) الشارتري : ١٣٢، ١٤٠.

(٦) حبشي: الحروب الصليبية ١٩٤. Mayer: The Crusades 64-66

الفصل الثاني

تأسيس إقطاعية بيسان الفرنجية ونظام الحكم والإدارة فيها

٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م

٢-١ جهود الأمير تانكرد في الاستيلاء على إقليم الجليل وعلاقته بالقوى الإسلامية المجاورة

من الواضح أن أبرز نتائج وآثار انتصار الفرنجة على المسلمين في معركة عسقلان في رمضان سنة ٤٩٢هـ/آب سنة ١٠٩٩م كان تثبيت دعائم الفرنجة في الأراضي المقدسة، إذ منحهم الانتصار مزيداً من القوة والثقة بالنفس(١)، كانوا في أمس الحاجة إليها، هذا إلى جانب أن المناطق الداخلية مفتوحة أمامهم(٢).الأمر الذي دفعهم إلى التفكير في توسيع الاستيطان الفرنجي على هذه الأرض؛ لتوفير الحماية لمدينة بيت المقدس التي أصبحت في مهب الريح لا يفصل بينها وبين دمشق أي مانع أو تخوم، ولذلك أصبح من الضرورة أن تمتد حدود المملكة بهذا الاتجاه لتشمل المنطقة الواقعة في شمال فلسطين، وهي إقليم الجليل ويشير ميشو Michaud أحد المؤرخين الحديثين إلى أن التفكير في غزو الجليل لم يأت إلا نتيجة مباشرة لانتصار الفرنجة في عسقلان(٣).

كان الدافع وراء اختيار الفرنجة بقيادة جودفري Godfry وتانكرد Tancerd التوسع في إقليم الجليل لما يمثله هذا الإقليم من عمق استراتيجي للكيان الفرنجي الناشئ في بيت المقدس،إضافة إلى ما يتمتع به الإقليم من ثروة اقتصادية وموارد طبيعية(٤) فإن الفرنجة كانوا بأمس الحاجة إليها لترسيخ ودعم كيانهم الناشئ،حيث يحتوي الإقليم على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، وغابات،وموارد خام متنوعة،وإلى جانب ذلك الطموح الشخصي لتانكرد Tancerd كعامل له أهمية في القيام بالاستيلاء على الجليل(٥).لهذا كله عهد الأمير جودفري البويوني إلى تانكرد Tancerd مهمة الاستيلاء على إقليم الجليل على أن يكون أميراً عليه مكافأة له على ما بذله تانكرد من جهود في الحملة الفرنجية الأولى٤٨٩-٤٩٢هـ/١٠٩٦-١٠٩٩م(٦)،وذلك إذا ما نجح في المهمة الموكلة إليه.

بادر تانكرد Tancerd إلى تجهيز قواته في مدينة نابلس، وعندما اكمل استعداداته تحرك منها صوب إقليم الجليل للاستيلاء على مدنه الهامة(٧)، وقد بلغ تعداد قواته نحو ثمانين فارساً، منهم أربعة وعشرون كانوا يشكلون القوة الخاصة التي يعتمد عليها في المهمات الصعبة كما ذكر المؤرخ الفرنجي راؤول دي كاين Raoul de Cain(٨)

---

(١) مونروند:٢١٤/١. Michaud: 145.

(٢) Grousset : Histoire des Croisade 1 / 1 15.

(٣) Michaud : 3.

(٤) Beyer:Akko und Galileae 184.

(٥) Prawer: The Latin Kingdom 17.

(٦) Raoul : 703. cf.also:William of Tyre :399 ; Grousset:179.

(٧) Richard: The Latin 21. cf.also : Mayer: The Crusades 1/64.
البيشاوي: نابلس ٨٣.

(٨) Raoul : 703.

بينما أشار ألبرت دكس Albert d'Aix إلى أن عدد الفرسان بلغ الستين فارساً(١)، وعلى أي حال فإن عدد الفرسان الذين تم إعدادهم من قبل الأمير تانكرد Tancerd من أجل الإستيلاء على إقليم الجليل كان أقل من حجم المشروع المستهدف، وإن دل ذلك فإنما يدل على معرفة القادة الفرنجة بالوضع الذي عاناه الإقليم من ضعف عسكري ناتج عن انشغال السلاجقة بخلافاتهم الداخلية بدلاً من تعزيز قوتهم في الإقليم.

انطلق تانكرد Tancerd على رأس جيشه نحو الجليل، وتمكن من الاستيلاء على مدينة بيسان بسهولة لعدم وجود دفاعات قوية بها(٢). خاصة وأن حصانة المدينة الطبيعية لم تقف حائلاً أمام تانكرد الذي يعتقد أنه هاجم المدينة من ناحية الغرب لافتقارها من التحصينات بينما كانت الجهة الشرقية تمتاز بحصانتها الطبيعية المتمثلة في نهر الأردن ومستنقعات بيسان الجنوبية، وفضلاً عن ذلك لم يحاول الدماشقة إنقاذها، وهذا يتبين من عدم ذكر المصادر الإسلامية أو الفرنجية لأية أحداث وقعت بين تانكرد والسلاجقة على أبوابها وخصوصاً أن السلاجقة كانوا قد غرقوا في خلافاتهم الداخلية دائرين ظهورهم للعدو المشترك الذي حل في أراضيهم.

ويعد استيلاء تانكرد Tancerd على بيسان التي عدت مفتاح الجليل الجنوبي خطوة مهمة على طريق غزو إقليم الجليل إذ تشرف المدينة على الجانب الشرقي لنهر الأردن حيث جبل عوف (عجلون) والجولان(٣)، مما جعل منها موقعاً استراتيجياً مهماً.

اتخذ تانكرد Tancerd من بيسان بعد احتلالها قاعدة للانطلاق منها لاستكمال مشروعه الذي خرج من أجله،ولذلك قام ببناء استحكامات وتحصينات(٤) داخل المدينة، وحولها بأن شيد سوراً دائرياً حول المدينة، وأقام عليه عدداً من البوابات(٥) تتحكم في الدخول إليها. إلا أنه لم يكمل أعمال البناء المشار إليها،وذلك لأنه أيقن أن الفرصة مؤاتية تماماً أمامه للزحف نحو الشمال وأن مدن الجليل سوف تتهاوى الواحدة تلو الأخرى في يديه(٦).

انطلق تانكرد Tancerd من بيسان إلى طبرية فتمكن من الاستيلاء عليها، وعمل على تحصينها بعد أن أسقط قلعتها(٧) كما فعل في بيسان، ثم توجه إلى الناصرة التي خضعت

---

(١) Albert d'Aix : 517 .

(٢) Raoul : 703 . cf.also :Stevenson: The Crusaders 40-41;Richard: The Latin 21

(٣) Conder: The Latin Kingdom 89

(٤) رنسيمان: تاريخ ٤٢٩/١؛السيد :إمارة الجليل ٩٤. Albert d'Aix:517. cf.also :Prawer:The Latin 17

(٥) Raoul : 703-704 . cf.also :Prawer:The Latin 18

(٦) Raoul : 704. cf.also Albert d'Aix 518

(٧) Albert d'Aix 517-518

للاحتلال دون مقاومة لكون معظم سكانها من النصارى، ثم تحرك صوب جبل طابور، وبضمه اكمل تانكرد المهمة الموكلة إليه بنجاح والتي كلفه بها جودفري البويوني(١)، وهي الإستيلاء على الأجزاء الشمالية من فلسطين مكونا بذلك ما عرف بإسم إمارة الجليل الفرنجية.

لم تشر المصادر الإسلامية والفرنجية الأولية إلى خطوات تانكرد Tancerd لإنشاء إمارة الجليل وإنما أشارت إلى خروجه إلى الجليل بعد معركة عسقلان بفترة وجيزة(٢)، كذلك أشارت المصادر إلى تاريخ عودة الفرنجة من معركة عسقلان إلى القدس بعد أن فشلوا في حصار المدينة في يوم الأربعاء ٢٢ رمضان ٤٩٢هـ/ ١٣ آب ١٠٩٩م (٣)، وبعد وصول القوات الفرنجية إلى بيت المقدس، عرج تانكرد على مدينة نابلس، حيث انطلق منها إلى إقليم الجليل(٤).

من الواضح أن هذه الأعمال قد استغرقت وقتا لإنجازها، نظرا لبعد المسافة نسبيا التي كان على تانكرد أن يقطعها ما بين عسقلان في جنوبي فلسطين وإقليم الجليل في الشمال، والتي تقدر بحوالي مائتي كيلو متر(٥) كذلك فإن اجتماعه مع جودفري في بيت المقدس، ثم تواجده في نابلس لإعداد جيشه وتنظيمه لا بد وأنه احتاج منه بعض الوقت، فضلا عما بذله من جهد وما صرفه من وقت للاستيلاء على بيسان وقيامه ببناء الأسوار والاستحكامات، ثم متابعة سيره إلى مدينتي طبرية والناصرة.

وعلى هذا يمكنني أن ارجح ما رآه البيشاوي بأن قيام تانكرد بالاستيلاء على الجليل وإنشاء الإمارة المرتقبة قد تم في الفترة الواقعة في شهر شوال سنة ٤٩٢هـ/ الفترة الواقعة بين أواخر آب وأوائل أيلول سنة ١٠٩٩م(٦).

لقد استمر تانكرد بالعمل على ترسيخ أقدامه في إقليم الجليل فقام بغارات سريعة متكررة اتبع فيها أسلوب العرب البدو في الحرب (الكر والفر) فنفذ غارة على منطقة صفد(٧)،وأخرى على البدو المتواجدين بالقرب من نهر الأردن إذ أن هؤلاء برعوا في شن الغارات السريعة على القوافل التجارية(٨)، وهذا يعني بأن الأهالي قد أبدوا مقاومة ضد جيش تانكرد ولكنها لم تكن مقاومة نظامية

---

(١) البيشاوي: الممتلكات ٦٨-٦٩.

(٢) Raoul :703-704. cf.also:Deschamps:124

(٣) ابن القلانسي: ذيل ١٣٧.وينظر: ابن الأثير ٢٨٦/١٠ ؛ ابن ميسر ٣٩/٢؛ مجهول :أعمال ١٢٣. Benvenisti: 3

(٤) ابن الأثير: الكامل٢٨٥/١٠-٤١٩؛ ابن ميسر: ٣٩/٢.

(٥) Richard: The Latin 21

(٦) البيشاوي: نابلس ٥٠.

(٧) ابن شداد: الأعلاق ١٤٦. وينظر: السيد : إمارة الجليل ٩٧.

(٨) Raoul : 704. cf.also : Prawer : The Latin 25

جديرة بالذكر. ثم أخذ يتطلع لتوسيع حدود إمارته خارج إقليم الجليل فقام بغزو الأراضـي الواقعـة شرقي نهر الأردن والمعروفة بإسم إقليم السواد ، التي يسميها ابـن القلانسـي سـواد طبريـة(١) ، وكان يخضع هذا الإقليم لحاكم دمشـق ويديـره شـخص أطلـق عليـه الفرنجـة لقـب الفـلاح السمين Groussus Rusticus(٢).

جاء هذا العمل بناء على أوامر من جودفري البويوني(٣)، وذلك لتحقيق أهـداف اقتصاديـة وعسكرية وسياسية، أما عن الأهداف السياسية فإن جودفري كان يطمح إلى تحقيق الأمـان لحـدود مملكته في حين أن تانكرد القائد كان يرغب في توسيع نفوذ إمارته توسيعا يرضي طموحه، أما عـن الأهداف العسكرية فإن كلا منهما رأى بأن إقليم السواد يشكل المعبر الطبيعي الذي يمكن أن تعبر منه الغزوات القادمة من دمشق(٤).

أما عن الأهداف الاقتصادية فتبدو على درجة عالية من الأهمية، حيث رغب تـانكرد فـي تحويل تجارة الجولان المربحة إلى موانئ فلسطين إضافة إلى ما تشتهر به المنطقة مـن خصوبـة عالية. فقد ذكر السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م) بأن منطقة حوران منطقة كثيرة الخير ومنها يحصل أهل دمشق على غلاتهم وطعامهم(٥). فأراد تانكرد أن يحصل من ذلك الإقليم على إمدادات كبيرة من الحبوب الذي تحتاجه إمارته والاحتفاظ به كاحتياطي استراتيجي للمستقبل(٦).

كل هذه الأهداف شكلت عند تانكرد حافزا لإعطاء اهتمام كبير للسيطرة على السواد، فقـام بشن سلسـلة من الغارات على الإقليم، وكان من نتائجها أن اعترف حاكم السواد بسيادة إمارة الجليل على بلاده، وبادر إلى عقد معاهدة معه اعترف له بموجبها بالتبعية، وقام بدفع الجزية له كدليل علـى ذلك(٦)، وعاد تـانكرد بعدهـا إلى إمارتـه . إلا أن سرعان ما نقض حاكم الإقليم المعاهدة لوصول الإمـدادات من دقاق أمير دمشق، مما دفع بتانكرد بأن طلب المساعدة من جودفري، فحرك الأخير

---

(١) ابن القلانسي : ذيل ١٤٩.

(٢) Albert d'Aix : 517

(٣) Albert d'Aix 517

(٤) Raoul : 705; Prawer : The Latin 31.

(٥) السمعاني: ٣٠٣/٤.

(٦) ينظر: عاشور : الحركة الصليبية ٢٥٧/١. Albert d'Aix : 517-518

قواته في عام ٤٩٣هـ/أوائل أيار ١١٠٠م لتشارك قوات تانكرد في الإغارة على السواد، وقد مكثت تلك الحملة ثمانية أيام تقريباً، فقتلت، وأسرت، واستولت على كميات كبيرة من الأسلاب، ولكن هذه القوات تعرضت في طريق عودتها إلى مملكة بيت المقدس لهجوم قوات دمشق بقيادة دقاق والفلاح السمين التي هاجمت مؤخرة قوات تانكرد(١)، وكبدتها خسائر فادحة إذ تمكنت من قتل وجرح عدد كبير من أفراد القوى الفرنجية، التي كانت تحمل غنائم كثيرة، وقد استطاعت القوات الإسلامية استرداد ما استولى عليه تانكرد من غنائم، ولم يعلم جودفري بما حل بتانكرد. أما دقاق فقد عاد إلى دمشق بعد أن اطمأن على انسحاب الفرنجة من بلاده(٢).

وجد تانكرد الفرصة مواتية للانتقام من الدماشقة، فشن هجوماً على إقليم السواد حقق به نجاحاً كبيراً دفع بدقاق لطلب عقد الهدنة، فاغتر تانكرد بانتصاره، وأرسل إلى دقاق ستة رجال من قواته تدعوه لاعتناق المسيحية أو مغادرة دمشق، مما أثار غضب حاكم دمشق الذي رد عليهم بدعوتهم للإسلام أو القضاء عليهم فاستجاب أحدهم، ورفض الخمسة الباقون ذلك، فما كان منه إلا أن قتلهم، ولما فشلت تلك المحاولة من جانب تانكرد لحث دقاق على اعتناق المسيحية أو مغادرة دمشق، طلب تانكرد مساعدة الأمير جودفري مرة أخرى للقيام بحملة جديدة على السواد، وبالفعل استجاب له جودفري، وجهزا حملة مكثت أسبوعين، عاثت خلالها فساداً في الإقليم، ولما أدرك حاكم السواد عجز إمارة دمشق عن حماية أراضيه من الغارات الفرنجية المتكررة، وافق مرة أخرى على عقد معاهدة يعترف فيها لتانكرد بالسيادة ويؤدي له الجزية بانتظام(٣).

هذا عن جهود تانكرد في توسيع إمارته في منطقة السواد أما عن جهوده الحربية في منطقة الساحل، ففي صفر سنة ٤٩٣هـ /كانون الاول ١٠٩٩م شارك تانكرد ببعض قواته بالحصار الذي فرضته القوات الفرنجية على أرسوف والذي باء بالفشل(٤). كما شارك إلى جانب جودفري في حصاره لحيفا والتي وعد بها جودفري صديقه جالديمار كاربنيل (Geldemar Carpenel) بمنحه إياها حال الاستيلاء عليها مباشرة(٥)، وقد ثارت ثائرة تانكرد، ورفض المشاركة بالحصار عندما علم بذلك، لأنه أدعى حسبما يذكر الصوري بأن جودفري قد منحها له(٦)، كما أنه كان يطمح

---

(١) الصوري: ٤٧٤/١ – ٤٧٥ Albert d'Aix 517

(٢) وينظر: رنسيمان: تاريخ ٤٥٩/١ – ٤٦٠

(٣) Albert d'Aix 518

(٤)الصوري: تاريخ ٤٧٢/١ Albert d'Aix 516-517

(٥) Albert d'Aix 521

(٦) الصوري: ٤٦٣/١

بأن تكون منفذا بحريا لإمارته خاصة، كما أوضحنا بأن من بين دوافع الاستيلاء على إقليم السواد كان تحويل الخط التجاري الذي يمر من هناك إلى المدن الساحلية، ولذا أخذ يضغط في اتجاه عدم المشاركة في الحصار ليحصل عليها، غير أن بطريرك بيت المقدس دايمبرت البيزي أقنعه بضرورة الاشتراك في الحرب، ومواصلة الحصار، وبعد سقوط حيفا أواخر شوال ٤٩٣هـ/آب ١١٠٠م قام تانكرد بضم المدينة لإمارته(١) بعد أن كان جودفري قد توفي في ٩ رمضان ٤٩٣هـ/١٨ تموز ١١٠٠م وبضم حيفا لإمارة الجليل أصبحت الإمارة مكونة من "طبرية، ونابلس، والناصرة، وبيسان، وجبل الطور، وحيفا"(٢).

ولكن موت جودفري جعل أحلام تانكرد تكبر إذ بادر بالاجتماع بالبطريرك دايمبرت البيزي للتشاور حول مستقبل حكومة بيت المقدس إذ التقت مصالح كل منهما في أن يكون بوهيمند ملك بيت المقدس(٣) في الوقت الذي ذهب به جماعة آخرين إلى الرها لعرض المملكة على الأمير بلدوين البويوني شقيق جودفري الذي أوصى بأن تكون المملكة لأخيه بلدوين من بعده، فوافق بلدوين Baldwin على قبول العرش،وقام بالتنازل عن الرها لبلدوين دي بورج-ابن عمه- Baldwin de Bourg وغادرها في ٢٤ ذي القعدة سنة ٤٩٣هـ/٣٠ أيلول ١١٠٠م، ثم شق طريقه إلى بيت المقدس على الساحل(٤) في الوقت الذي وقع فيه بوهيمند في الأسر، وبهذا كانت لطمة لتانكرد إذ فقد مساندته مما حدا به إلى التفكير بالسيطرة على بيت المقدس بمساعدة دايمبرت.

وصل بلدوين حيفا في ٢٠ ذي الحجة ٤٩٣هـ/نهاية تشرين الأول ١١٠٠م، وفتح له أهلها الأبواب، ولكنه لم يدخلها لأنه تشكك في نواياهم، وفضل أن يعسكر خارج الأسوار-رغم أن تانكرد لم يكن بداخلها- وبعد أن استراحت عساكره بضعة أيام(٥)، واصل السير متجها إلى بيت المقدس في الوقت الذي كان فيه تانكرد يحاصر برج داود، وعندما علم تانكرد بوصوله حيفا أسرع عائدا إلى الساحل لمنعه من دخول يافا*(٦) إلا أن سكانها طردوه، ومنعوه من الدخول، وفتحوا

---

(١) العظيمي : ٣٧٤. Albert d' Aix 21-23

(٢) البيشاوي: الممتلكات ٧٢-٧٣. وينظر: رنسيمان: تاريخ ١٧/٢-١٨ Mayer: 64

(٣) Stevenson: 42

(٤) Meyer 36-362

(٥) الشارتري: ١٤٢. وينظر: رنسيمان: تاريخ ٤٥٨/١.

* يافا: مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب من مصب نهر العوجا واسمها تحريف لكلمة "يافي" الكنعانية بمعنى جميل، وهي من اقدم موانئ العالم، وقد بناها الكنعانيون ، فتحها عمرو بن العاص، ووصفها المقدسي البشاري"بأنها تقع على ساحل البحر ولكنها بلدة صغيرة، أما أبو الفداء فقد وصفها بأنها بلدة جميلة ولها ميناء وهي محصنة جدا وأسواقها مكتظة بالتجار، أما الإدريسي فقد وصفها بأنها نزهة بيت المقدس وتحيط بها الأشجار والكروم وخاصة أشجار البرتقال والليمون. ينظر: المقدسي البشاري: ١٧٤؛الإدريسي: ٣٦٤/١؛ شراب: ٧٢٦.

(٦) Gordon: The Reigning Princes of Galilee,vol.xxvi,446

أبوابها فدخل بلدوين يافا وسط حماس السكان، غير أنه لم يمكث بها، ففي تشرين الثاني من السنة نفسها اجتاز التلال ودخل إلى بيت المقدس(١)، وفي ٢١ صفر/٢٥ كانون الأول من هذا العام، تم تتويج بلدوين ملكا على بيت المقدس في موكب مهيب، بينما رفض تانكرد أن يؤدي يمين الولاء لبلدوين (٢) وباعتلائه العرش تبددت آمال كل من تانكرد ودايمبرت في تحقيق أهدافهما.

على أية حال كان وصول بلدوين إلى العرش طالع سيئ بالنسبة إلى تانكرد ، إذ أول ما برز على السطح مشكلة إقطاع حيفا لجالديمار والتي استولى عليها تانكرد بالقوة حيث عقد لها بلدوين المحكمة العليا (Caurt le Roi = Curia Regilis) التي أقرت بأحقية جالديمار في امتلاك المدينة، إلا أن تانكرد رفض بداية الحكم، ولكنه اضطر في نهاية المطاف إلى الموافقة عليه، مستغلا عرض أهالي أنطاكية بتولي الأمور فيها بعد أسر خاله بوهيمند(٣).

اجتمع بلدوين وتانكرد في حيفا في اليوم الخامس من جمادى الأولى سنة ٤٩٤هـ/الثامن من آذار سنة ١١٠١م، وبعد الاجتماع أعلن تانكرد قبوله لحكم المحكمة العليا، وتنازل عن حيفا لجالديمار، بل تنازل عن حكم إمارة الجليل نفسها(٤)، وضحى بالآمال التي كان يترقبها بعد وفاة جودفري Godfry(٥).

وبهذا تكون إمارة الجليل قد خسرت ميناءها الوحيد كما خسرت قائدها الذي حافظ على وحدة أراضيها،إذ ما لبثت أطراف الإمارة أن انسلخت عنها الواحدة تلو الأخرى، كما حدثت تغييرات إدارية مهمة(٦).

٢-٢ قيام إقطاعية بيسان سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م

أسرع بلدوين البويوني إلى العمل على أحكام قبضته على إمارة الجليل بعد وصوله إلى عرش مملكة بيت المقدس الفرنجية، إذ قام بمنح الجليل لسيد إقطاعي مناسب يثق به ويأمن جانبه هيو دي سانت أومر* Hugh de sainte Omer ، ولكن لم تكن الثقة تكفي فكان لا بد أن يضيق مساحات

---

(١) الشارتري: ١٤٣. وينظر : رنسيمان: تاريخ ١/ ٥٤٨.

(٢) William of Tyre 400.cf.also.Stevenson 43-44

(٣) Albert d'Aix 537

(٤) Ibid 537-538. cf.also . William of Tyre: 428

(٥) الشارتري : ١٤٤. Cf.also :Stevenson 74

(٦) Beyer : Akko und Galilaea 249

* هيو دي سانت أومر Hugh de St. Omer: ينتسب هذا الأمير لمنطقة فولكنبورغ في فرنسا وذلك لأنه من مواليد تلك البلد، وكان هيو قد حكم مدينة سانت أومر Saint Omer في ظل السيادة الإقطاعية لأسرته وهي أسرة Des Chastellains de Sainr Omer منذ القرن السابع الميلادي، ومن هنا جاء ارتباط اسم الأسرة بالمدينة، وكان يعد من اعظم نبلاء الملك بلدوين الأول. ينظر: الشارتري ١٢٧؛ الصوري : ٤٨٩/١؛ دويكات : ٥٠-٥٢.

إمارته من أجل إضعافها اقتصاديا وعسكريا وبالمقابل تقوية نفوذ التاج بربط الإقطاعيات الصغيرة معه وهذا ما فعله إذ قام على اقتطاع نابلس عن إمارة الجليل وأصبحت من ضمن الأملاك الملكية لملك بيت المقدس(١) تبعها فيما بعد بيسان التي غدت تشكل إقطاعية تعتمد على التاج مباشرة(٢).

على أية حال تم إقطاع بيسان لآدم Adam حاكم بيثون Bethune في جمادى الأولى ٤٩٤هـ/آذار ١١٠١م(٣)، وبذلك غدت منذ هذا التاريخ إقطاعية قائمة بذاتها تتبع التاج مباشرة واشتملت إقطاعية بيسان على المناطق الواقعة بين جبال السامرة (جبال نابلس) جنوبا وحتى التقاء نهر اليرموك مع نهر الأردن شمالا ومنابع نهر جالوت وخربة طبعون غربا ونهر الأردن شرقا، وبناء على ذلك تكون مساحة الإقطاعية قد بلغت حوالي ٢٥٠ كم٢(٤) ثم اتسعت الإقطاعية فيما بعد لتشمل المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن وجنوبي نهر اليرموك، وتم بناء حصن حبيس جلدك في هذه المنطقة(٥)، ولعل السبب الذي جعل بلدوين Baldwin يسلخ إقطاعية بيسان عن إمارة الجليل وربطها مباشرة بالتاج يعود إلى أهمية هذه المنطقة من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية إذ أنها اشتهرت بخصوبة أراضيها ووفرة المياه فيها، كذلك كانت المفتاح الرئيس لدخول إقليم الجليل من الجنوب وللدخول إلى فلسطين من الشرق، وبهذا يكون قد حقق هدفين وهما توفير المواد الغذائية لمملكة بيت المقدس منها وبالمقابل إضعاف أمير الجليل كذلك يكون سيد بيسان العين الساهرة للملك في إقليم الجليل وللدفاع عن المملكة من أي خطر خارجي، وعليه فإن السادس من جمادى الأولى ٤٩٤هـ/التاسع من آذار ١١٠١م هو التاريخ الأكثر قبولا لقيام إقطاعية بيسان.

٢-٣ بيسان وحكامها الفرنجة

حكم إقطاعية بيسان سلسلة من السادة الإقطاعيين كانت علاقتهم مع التاج مباشرة، يقومون بالواجبات الملقى على عاتقهم، ويؤدون ما عليهم من خدمات عسكرية، ويأخذون ما لهم من حقوق على الملك، وهنا يستعرض الباحث السادة الإقطاعيين الذين تولوا حكم الإقطاعية، وأول ما يصادفنا في هذا الإطار الأمير الفرنجي آدم Adam، وقد ظهر اسم آدم حاكم بيسان في أحداث حملة الرملة الثانية سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م(٦)، كما ظهر في حصار عكا سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م(٧).

---

(١) Richard: The Latin 85

(٢) البيشاوي: الممتلكات ٧٥،١٨. Richard: The Latin 85-86

(٣) Albert d'Aix :537-538 . c.f.also:La Monte and Norton .The Lords of Medievalia 6 /13

(٤) Beyer : Akko und Galilaea 240-241

(٥) Beyer :243

(٦) الشارتري: ١٢٧. Albert d'Aix: 580-582

(٧) الصوري: ٥١٢/١ Albert d'Aix:601

ويأتي بعد آدم حاكم هيو Hugh الذي ظهر اسمه في وثيقة ترجع بتاريخها إلى سنة ٥٠٤هـ/أيلول سنة ١١١٠م يؤكد على منحه فرسان الاسبتارية أرض وحدائق من بيسان وطاحونة وخندق(١)، وهذا ربما يشير إلى وجود هيو Hugh في بيسان قبل ذلك التاريخ حسب بعض الفرضيات وعلى كل حال فإن هيو Hugh الذي أشرنا إليه ربما كان هيو بوزيه Hugh le Puiset أو هيو دي سانت أومر Hugh de sainte Omer من طبرية وكلاهما تم منحه أرض في عسقلان وطبرية بالترتيب(٢)، وكما كانت بيسان تحت سيادة طبرية في ذلك الوقت فإن هيو Hugh الطبري ربما تم منحه أراضي بيسان أو ربما كان هيو البيساني، وقد شارك هيو إلى جانب بلدوين Baldwin في حصاره لمدينة صور سنة ٥٠٥هـ/١١١١م(٣).

وأما جون John البيساني فقد ظهر مع أخيه هيو عام ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م في وثيقة منح بها أراضي في قيسارية لفرسان الاسبتارية(٤) المصادقة عليها من قبل المحكمة العليا في بيسان وشهد عليها جوتيه سيد قيسارية في السنة نفسها(٥)، وبعد ذلك لم يظهر على مسرح الأحداث أو في الوثائق ولكن هيو Hugh ورد ذكره كشاهد على وثيقة رئاسية لـ بلدوين الثاني (Baldwin II) في ٢صفر ٥٤٢هـ/٤ تموز ١١٤٧م(٦)، وفي سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م شارك هيو سيد بيسان في اجتماع هيئة المحكمة العليا ومجلس عرش بيت المقدس لاتخاذ قرار بمهاجمة دمشق(٧).

---

(١) Rohricht:Rgesta 58.cf.also: Genevieve ; Cartulaire 1/20/21

(٢) La Monte and Nortot:The Lords, Medievalia 6/ 59

(٣) Richard :The Latin 35-36.

ومن المرجح أن هيو حاكم بيسان يختلف عن هيو دي بوزيه وهيو دي سانت أومر من خلال المنطلقات التالية: وهي أن هيو دي سانت أومر كان أميرا لإمارة الجليل فلا يعقل أن يقوم الملك بلدوين الأول باقتطاع نابلس وبيسان عن إمارة الجليل، وتمنح الإمارة لهيو دي سانت أومر ثم يعود ويأخذ إمارة الجليل من هيو دي سانت أومر ويمنحه إقطاعية بيسان، هذا إلى جانب أن هيو دي بوزيه كان من سادة إقطاعية يافا والأمر المعقول أن الملك بلدوين منح الإقطاعية لإحدى الشخصيات التي حملت اسم هيو، ومن المحتمل أن هيو كان ينتمي إلى منطقة دي سانت أومر التي كان ينتمي إليها سيد إمارة الجليل وإن الشخصيتين حملتا اسم هيو.

(٤) Rohricht : Regesta 130. cf.also :Genevieve:Cartulaire 84/78

(٥) Rohricht : Regesta 97.

(٦) Rohricht:Regesta 45. cf.also : Genevieve ; Cartulaire I.175/136

(٧) الصوري: ٧٧٨،٧٧٧/٢. وينظر: ماير : ١٥٦. Rohricht: Regesta 47

وفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م ظهر حاكم أخر لبيسان وهو توماس Thomas البيساني الذي شهد على فرمان وليم دي بور William de Bur* الطبري كونه من محيط منطقة طبرية(١)، وبعدها فإن توماس وزوجته قد شهدا على بيع جون حاكم بيسان لقرية الزراعة** Casale of Assera لفرسان الاسبتارية والتي كانوا يملكونها(٢)، ولكننا لسنا متأكدين من التاريخ بالتحديد لأن ذلك تم معرفته سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م والسبب الوحيد الذي يجعلنا نعتقد أن توماس Thomas هو نفسه توماس المذكور في لائحة حكام بيسان مع بعض أفراد العائلة وإن لم نكن نستطيع أن نجزم صلة القرابة فإننا نفترض أن يكون أخاه لأن جميع صلات القربى غير واضحة(٣).

ورغم أن وثيقة سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م هي الأكثر معلومات إلا أنها تزيدنا حيرة إذ أنها تضمن على تأكيد الملكة ميليسند Melisende *** على بيع جون سيد إقطاعية بيسان لقرية الزراعة Assera لـ ريموند وقد شهد على هذه الوثيقة كل من هيو عم جون البيساني، وتوماس وزوجته(٤).

لقد افترضنا أن هذه الوثيقة تعود إلى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وبحضور جميع الشهود، ولكن لغة الوثيقة تترك مجالا للشك فيما إذا كانوا حاضرين وقت البيع أم وقت تحرير العقد الذي تم تأكيده فيما بعد، وعلى كل حال ليس هناك سبب يدعونا لذلك إذ أن الملكة ميليسند قد أكدت البيع سنة ٥٤٤هـ /١١٤٩م بخلاف ذلك التاريخ وسوف نبقى نتعامل على أن سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م هي السنة نفسها للبيع الأصلي بوجود جميع الأشخاص الذين تم ذكرهم آنفا(٥).

---

* وليم دي بور: هو فارس نورماندي الأصل كان يقيم في فلسطين منذ وقت مبكر وقد ظهر كأحد الشخصيات البارزة في إقطاعية طبرية، شارك إلى جانب جوسلين أمير طبرية في معاركه ٥١٣هـ/١١١٩م ضد قبائل شرق الأردن العربية، كان على درجة عالية من الثراء، ومنحه بلدوين الثاني إقطاعية طبرية ٥١٣هـ/١١١٩م، انتخب وليا للعهد من قبل المحكمة العليا بعد وفاة يوستاش غارينه سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م وحتى سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م. ينظر: الشارتري٢٠٠؛الصوري: ١/٥٦٧
Albert d'Aix : 710-712

(١) Rohricht: Regesta 142.cf.also Genevieve :Cartulaire 74/148-150

** الزراعة Casale of Assera: تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من بيسان وتنخفض ٢٧٠م عن سطح البحر، ذكرها الجغرافيون والرحالة العرب بقولهم: "أنها من أجل قرى الغور وقد ازدهرت الزراعة فيها في العهد الأموي" أوقفها الظاهر للمدرسة الظاهرية بدمشق. ينظر: ابن تغري: النجوم الزاهرة ٧/٢٦٣؛ الدباغ: بلادنا ٢:٦/٥٢٨؛ عرفات: ٦١؛خارطة(١).

(٢) Rohricht: Regesta 256.cf.also Delaville : Cartulaire 1/180/140

(٣) La Monte and Norton : The Lords, Medievalia 6/60

*** ميليسند: هي أكبر بنات الملك بلدوين الثاني ووريثة عرشه، تزوجت من فولك الانجوي سنة ٥٢٢هـ/١٢٢٨م، وتولت حكم المملكة بعد وفاة زوجها سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م،وقد دخلت في نزاع على العرش مع ابنها بلدوين الثالث حينما حاولت الاستئثار بالسلطة،ولكنها اضطرت في النهاية إلى التنازل عن العرش والإقامة في مدينة نابلس.ينظر:الصوري٢/٧٣٦-٧٣٧.

(٤) Ray : 615

(٥) Rohricht: Regesta 245

والحاكم الخامس لمدينة بيسان هيو الثاني Hugh II الذي ظهر سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م كعدو ومقاوم لـ كونفراتيه سلفادور Confrater Slvador من جبل طابور(١)، كما ظهر هيو Hugh ضمن رجال الملك بلدوين الثالث Baldwin III في وثيقة سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م(٢)، وكذلك ظهر في وثيقتين أخريين في السنة نفسها واللتين صدرتا عن اجتماع المحكمة العليا في عكا(٣)، وكان آخر ظهور له سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م وهو يهب قرية لوبيا* (Casale of Bugola) إلى فرسان الاسبتارية(٤).

هذا عن المجموعة الأولى أو العائلة الأولى من حكام بيسان والتي انتهت في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م وحلت محلها عائلة أخرى عرف من ملوكها جرمون الأول Gremont I وهو ابن آدم، وقد ظهر جرمون الأول في الوثائق خلال الفترة ٥٤٩-٥٦٩هـ/١١٥٤-1173م(٥)،وكان أول ظهور له في وثيقة صدرت عن بلدوين الثالث Baldwin III في عكا سنة٥٤٩هـ /١١٥٤م(٦)،وبعدها بدأ يظهر جرمون الأول بانتظام شاهداً على الوثائق بين سنتي ٥٥٢-٥٥٥هـ/١١٥٧-١١٦٠م(٧).

وفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م تقلد جرمون الحكم بقرار من الملك بلدوين الثالث** (٨)، وقد ظهر لأول مرة يوقع باسم حاكم بيسان في وثيقة صدرت في يوم الثلاثاء ١٥ شعبان ٥٥٧هـ/٣١ تموز ١١٦١م،ولم يوقع بهذا بعد تلك الوثيقة خلال الفترة التي ظهر بها من ٥٥٧-٥٦٩هـ/١١٦١-١١٧٤م(٩)، وقد ورد ذكره من ضمن المجموعة التي رافقت الملك عموري الأول Amalric I ***

---

(١) Rohricht: Regesta 277. cf.also : Delaville :Cartulaire II/903

(٢) Rohricht: Regesta, 299. cf.also :Rey 249

(٣) Rohricht: Regesta 300-301. Genevieve :Carulaire 15/814

(٤) Delaborde:de Notre dam dele vallee de Josaphat 93

* قرية لوبيا: تقع إلى الغرب من طبرية على طريق الناصرة وترتفع ٣٢٥م تقريباً عن سطح البحر، أقيمت على قرية يونانية كانت تحمل نفس الاسم بمعناه اليوناني. ينظر: الدباغ: بلادنا ٢: ٦/٤٢٤

(٥) Strehlke :Tabulae Ordinis 313

(٦) Rohricht: Regesta 293; Delaville: 1/225/175

(٧) Rohricht: Regesta 325 . Genevieve : Carulaire 80/915,921.

(٨) Rohricht: Regesta 366

** بلدوين الثالث ٥٣٧-٥٦٨هـ/١١٤٢-١١٧٢م حكم حوالي عشرين عاماً بعد بلدوين الثاني، كانت شخصيته قوية قام بتحصين بعض القلاع وخاصة قلعة غزة، تميز عصره بالأحداث وخاصة احتلال عسقلان وتحرير الرها والحملة الفرنجية الثانية على دمشق. ينظر : Fabri :324

(٩) Rohricht: Regesta 368

** الملك عموري الأول امليك Amalric I:هو الملك الرابع لمملكة بيت المقدس تولى الحكم في سنة ٥٥٨-٥٦٩هـ/١١٦٣-١١٧٤م وكان قبل ذلك كونت يافا وعسقلان. وقد امتاز بالخبرة بالحرب والمكر والخداع. ينظر: الصوري:٢/٨٧٨-٨٨٤

إلى القسطنطينية في الفترة الواقعة بين ١٣رجب-٢٧شوال ٥٦٧هـ/١٠آذار -١٥حزيران ١١٧١م، وهذا يقودنا إلى أن جرمون كان أحد أهم الشخصيات المحيطة بالملك،وكان أكثر أهمية ممن سبقوه من حكام بيسان(١).

جاء بعد جرمون كحاكم لمدينة بيسان ابنه الأكبر آدم الثاني Adam II والذي ظهر لأول مرة في ١ ذو الحجة٥٧٠هـ/ ٣ تموز١١٧٤م عندما تزوج هلفيز Helvis كبرى بنات هنري Henry le Buffle من قيسارية، وقد أنجب منها طفلاً اسمه جرمون Gremont(٢)،لكن هذا لا يعني أنه لم ينجب غيره إذ أن إحدى الوثائق التي كتبت بتاريخ ٢٢جمادى الآخر٥٧٥هـ/٢٤تشرين الثاني١١٧٩م تشير إلى أن آدم قد مات في سن مبكرة تاركاً خلفه عدد قليل من الأطفال(٣)، ويعتبر جرمون Gremont هو الحاكم الفعلي الأخير لبيسان، أما من جاءوا بعده فهم سادة اسميين ولم يكن لهم أي قرار عليها إذ أنها انتقلت إلى الدولة الإسلامية.

إلا أن ذلك لا يعني عدم مشاركتهم في الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها الدولة الفرنجية في فلسطين ومن هؤلاء الحكام جوتيه Gautier وهو الابن الأصغر لـ جرمون الأولGremont I ، وكان أول ظهور له في معركة أرسوف سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م(٤).

أما بلدوين Baldwin سيد بيسان فقد ظهر في مناسبتين لهنري دي شمبانيا ملك مملكة القدس الثانية سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م(٥)، وقد شهد بلدوين Baldwin في سنة ٥٩٢هـ/٢٩ أيلول ١١٩٥م مع عموري ملك قبرص توقيع إحدى الوثائق(٦)، ثم ظهر مرة أخرى كشاهد على إحدى وثائق هنري ملك المملكة الثانية في قصره بمدينة عكا(٧)، وقد كان نشيطاً في توقيع وثائق بين عامي ٥٩٥-٥٩٧هـ/١١٩٨-١٢٠٠م حيث كان أخر ظهور له في شهر آب سنة ١٢٠٠م(٨).

جرمون الثاني Gremont II وهو ابن آدم الذي كان قد مات قبل سنة٥٧٥هـ/ ١١٧٩م(٩) ظهر اسمه كحاكم لبيسان في شهر ذي القعدة ٥٩٧هـ/آب ١١٩٨م شاهداً على وثيقة للملك مع عمه

---

(١) William of Tyre 2/980
(٢) Rohricht: Regesta 518. cf.also :Strehlke : 8
(٣) Rey : 253
(٤) Eracles 184
(٥) Rohricht: Regesta 709; Strehlke, 20/25
(٦) Rohricht: Regesta 720. cf.also :Strehlke 30/26
(٧) Rohricht: Regesta 723,735
(٨) Rohricht: Regesta 740
(٩) Lignages : XXVII/463 .cf:also :Rey : 253

بلدوين وثاني ظهور له في الأول من شوال ٦٠٣هـ/الأول من أيار ١٢٠٦م(١) فقد تزوج جرمون الثاني للمرة الأولى من Julianne de Soissons وهي ابنة Renaud مارشال قبرص(٢)،وقد انجب منها بلدوين ملك بيسان والذي خلف والده على الحكم بعد سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م ولم يظهر اسمه على الوثائق(٣).

٢-٤ الإدارة ونظم الحكم في الإقطاعية

مارس الفرنجة في حكمهم لمملكة بيت المقدس وإقطاعيتها نظام الحكم الإقطاعي الغربي(٤)، إذ كان ملك بيت المقدس يحتل قمة الهرم في المملكة، ويليه أربعة من كبار السادة الإقطاعيين(٥)، ثم يليه سادة الإقطاعيات الصغار(٦) الذين كان يعهد إليهم إدارة شؤون الإقطاعية والإشراف على مختلف جوانب الحياة فيها(٧)، وكانت علاقة الملك الفرنجي بأتباعه تحكمها حدود وأبعاد العلاقات والروابط الإقطاعية، التي عرفها الغرب الأوروبي في العصور الوسطى ونقلها الفرنجة معهم إلى بلاد الشام وما على كلا منهم من واجبات وماله من حقوق، وكان السادة الإقطاعيون يقدمون يمين الولاء والطاعة إلى الملك الفرنجي في مملكة بيت المقدس إلى جانب الالتزامات الإقطاعية الواجبة عليهم وخاصة الخدمة العسكرية(٨) فضلاً عن تزويده للخزانة الملكية بجزء من واردات الإقطاعية المالية، إذ كان الدخل الملكي يعتمد في جانب منه على الأراضي المقطعة(٩).

أما عن واجبات الملك تجاه السادة الإقطاعيين فقد كان من واجبه حماية الإقطاعيات ضد الغارات الخارجية، وإقامة التحصينات والقلاع اللازمة لحمايتها، ولهذا قام الملك جودفري بالمشاركة

---

(١) Rohricht: Regesta 812; Strehlke : 41/33

(٢) Lignages : XXVII / 463

(٣) Rey : 25

(٤) سميث: الاسبتارية ٢١.

(٥) عاشور: الحركة ٤٦٦/١. وينظر: براور: عالم الصليبيين ١٣٠؛ باركر: الحروب ٥٥. "وهم :سيد بارونية صيدا، أمير الجليل، أمير كونتية يافا وأمير الكرك والشوبك". ينظر: رنسيمان: تاريخ ٢٩٧/١.
Richard : The Latin 87

(٦) وعددها اثنا عشر إقطاعية الصغيرة وهي اللد والرملة، ونابلس، والخليل، وحيفا، وبيسان،وأرسوف، وقيسارية، والقيمون، وتبنين، وبانياس، واسكندرونة، وطبرية ، وبيروت.
ينظر: Archer and Kings : The Crusades 116 ؛ عاشور: الحركة ٤٦٦/١.

(٧) Prawer: Crusader 15

(٨) الفيتري: ٢٧. وينظر: عاشور ٤٦٦. Cf.also :Mayer : The Crusades 155

(٩) Prawer : The Latin 119

في تحصينات طبرية(١) وإمارة الجليل كما قام الملك فولك* ببناء قلعة كوكب الهوا(٢)، وكان على ملك بيت المقدس الفرنجي تعويض السادة الإقطاعيين عن خسائرهم في الحروب(٣) كذلك كان مقيداً في كثير من المسائل المهمة برأي أمرائه وأفصاله ورأي المحكمة العليا، فلم يكن بوسعه أن يعزل أي أمير عن إقطاعه إلا بموافقة المحكمة العليا(٤).

وامتاز السيد الإقطاعي الفرنجي عن نظيره في الشرق بأن كل الإدارة الخاصة بميدانه كانت تأتمر بأوامره بما فيها القضاء باستثناء ما يتصل بالقانون الكنسي بينما كان الثاني يهتم بإدارة شؤون أراضيه ولا سيما من الناحية المالية، وكانت العدالة من اختصاص القاضي(٥)، وكان سيد الإقطاعية يقيم في القلعة حيث تدار من هناك شؤون الإقطاعية الإدارية(٦).

ويلي السيد الإقطاعي في الهرم الوظيفي الفيسكونت وهو ممثل الملك في المدينة وكان يتسلم مهام منصبه بعد أن يؤدي يمين الولاء والإخلاص والأمانة وتعتبر هذه الوظيفة من أكثر وظائف المملكة أهمية إذ يوكل إليهم المحافظة على الأمن والنظام في المدينة ورئاسة المحكمة البرجوازية(٧)، وجباية الضرائب والأجور، والرسوم، والغرامات، ووضع اليد على الأملاك التي ليس لها وريث (المواريث الحشرية)(٨)، ونفقات الحكم المحلي والأمن واعتقال المجرمين وتنفيذ الأحكام التي تصدرها المحكمة، وكان يقيم في قلعة بيسان(٩).

ومن الوظائف التي عرفتها الإقطاعية المحتسب Mathessep(١٠) وهي وظيفة نقلها الفرنجيون عن العرب، وبقيت محتفظة باسمها العربي الإسلامي ، وكان يشترط فيمن يتولى الحسبة

---

(١) Albert d'Aix, 517

* فولك الانجوي حكم من ٥٢٥-٥٣٨هـ/١١٣١-١١٤٢م هو ابن فولك الرابع لورشن كونت انجو ولد حوالي ٤٨٤هـ/١٠٩١م تولى الحكم بعد بلدوين الثاني، وكان قد تزوج من ابنه بلدوين الثاني ميلسند، كانت كونت انجو في فرنسا، وكان رجلا قويا وديبلوماسيا نشيطا، قام بتحصين المملكة وبناء الكثير من القلاع والحصون. ينظر: Fabri 324

(٢) Richard :The Latin 150

(٣) Anonymous :Gesta Francorum 543.cf.also : Benvenisti: 225

(٤) ماير: تاريخ ٣٥٨. Cf.also : Barker: The Crusades 38

(٥) كاهن: الشرق ٢٠١.

(٦) وينظر: سميل: الحروب ٣٠. Albert d'Aix: 15

(٧) La Mont : Feudal 135-136

(٨) عن المواريث الحشرية. ينظر: القلقشندي: ٤٦٠/٣؛ المقريزي: الخطط ١١١/١.

(٩) Benvenisti: 163-164

(١٠) Beyer : Akko und Galilaea 245

أن يكون من أهل العلم والمعرفة(١)، كان يساعد الفيسكونت في عمله، وينوب عنه في حالة غيابه وكان يشرف على آداب الطريق وأخلاق المارة، ونظافة الأسواق وصحة الأوزان والمكاييل والمقاييس، وسلامة البضائع ومنع الغش وخصوصاً الخبز، واللحم، والسمك، ويراقب الأسعار وبائعي الشراب ونظافة بضائعهم، وأصحاب الحرف، مثل: الأطباء، والصاغة، والحدادين، وصانعي الأحذية، وكان يساعده في عمله اثنان من الموظفين(٢).

ومن الوظائف الأخرى التي عرفتها إقطاعية بيسان كغيرها من الإقطاعيات البالي وأطلق على الموظف القدير في المدينة، ويعني الشريف وكان يؤكل إليه رئاسة محكمة المدينة أو أمين الصندوق أو وظائف أخرى في المدينة(٣).

وكان لكل قرية رئيس خاص بها احتفظ في بعض الأحوال باسمه العربي Rais وفي بعض الأحيان كان يوجد رئيسين للقرية في حالة وجود حمولتين كبار في القرية(٤)، وعرف باسم المختار وأطلق عليه الفرنجة اسم الوسيط (Regulus) وذلك لأن علاقة أهل القرى بالسيد الإقطاعي تتم عن طريقه، وكان يقوم على حل مشاكل السكان عن طريق رئاسة محكمة القرية، كما كان يجمع الضرائب من السكان ويرسلها إلى السيد الإقطاعي المسيطر على الأرض(٥)، وكان رئيس القرية أو الضيعة ملزم بأداء قسم الولاء للسيد الإقطاعي(٦).

لقد أوجد الفرنجة في مملكة بيت المقدس نظاماً قضائياً مرتبطاً بالنظام الإقطاعي ارتباطاً وثيقاً، ولهذا قاموا على تأسيس مجموعة من المحاكم اختلفت في اختصاصها وصلاحيتها، وأبرز هذه المحاكم المحكمة العليا أو محكمة الملك " Curia Regilis= Cour Le Roi= HighCourt "، وتتألف هذه المحكمة من الملك وكبار السادة الإقطاعيين(٧) وتمثل فيها الكنيسة وجماعات الفرسان الرهبانية مثل: الداوية والاسبتارية(٨) وممثلون لرعايا المدن التجارية باعتبارهم كياناً مهماً في المملكة ولهم مصالح

---

(١) للمزيد عن المحتسب . ينظر: الشيزري: ١٢٧-١٢٨؛ ابن تيمية: الحسبة ١٧-٥١.

(٢) الشيزري: ١٢٧-١٢٨. Benevenisti: 28

(٣) ابن الطوير:١١٥-١١٦.ينظر:كاهن:٢١٠. Cf.also: Le Monte: Feudal,36. Conder : The Latin 173

(٤) رنسيمان: ٤٧٢/٢-٤٧٥. Prawer:The Latin 371-72, Beyer:Akko und Galilaea 247

(٥) كاهن: ٢٠٧. Richard: The Latin 1/39.cf.also: Prawer:The Latin 372

(٦) Prawer: The Latin 368; cf.also: Smile : The Crusaders 40

(٧) La Monte: Feudal 87-88

كان ملك بيت المقدس يترأس جلسات المحكمة العليا، وفي حالة غيابه كان ينوب عنه اكبر الشخصيات في المملكة وهو الصنجيل Senechel (وكيل الملك أو السيد الإقطاعي)، وكان يساعد الملك مجموعة من القضاة يتم اختيارهم من الفرسان الذين يدينون بالولاء الإقطاعي للملك. ينظر: براور : عالم الصليبين ١٣١. Conder: The Latin 172

البيشاوي: الممتلكات ٩٩ هامش (١).

(٨) رنسيمان : تاريخ ٣١٣/١

مهمة في كثير من مدنها(١)، وكانت هذه المحكمة في الأصل محكمة قانونية لهيئة قضائية ثم تطـور اختصاصها لتصبح بمثابة هيئة تشريعية تحدد سياسة المملكة(٢)، فضلا عن الفصل فيما ينشـأ بيـن الأمراء من خلافات، وكانت المحكمة العليا تنعقد في أي مكان على أرض المملكة وحسب الظـروف المحيطة بها(٣)، وقـد عقـدت في بيسـان سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وذلك لمحـاكمة جون سيد بيسان وبحضور الملك وجوتييه سيد قيسارية ويوستاش راهب جماعة القديس ليعازر(٤).

كان يوجد في إقطاعية بيسان المحكمة الوطنية(Civil Courts)(٥)، وقد وجدت هذه المحكمـة قبل الاحتلال الفرنجي، وكانت تنظر في قضايا السكان المحليين وترأسها قضاة من سـكان البـلاد الوطنيين وساعده اثنا عشر محلفا ونظرت هذه المحكمة في القضايا الصغرى التي لا تشمل الجنايات إلا أن هذه المحاكم لم تستمر إذ اندمجت بمحاكم المدن(٦)، التي عرفـت باسـم Courde La Fonde يرأسها موظف فرنجي يدعى بالي Bailli يختاره فيسكونت المدينة من بين طبقة الفرسـان أو مـن الطبقة البرجوازية يساعده ستة محلفين Jures أربعة من السكان الوطنيين واثنان من الفرنجة، وكـان لمحكمة المدينة سلطة قضائية على جميع الطوائف والفئات المتواجدة في المدينة(٧).

وكذلك المحكمة البرجوازية Courts of the Burgesses(٨)، وكانت هذه المحكمة تعقد تحـت رئاسة الفيسكونت ويساعده اثنا عشر محلفا، يختارهم من بين أتباعه اللاتين(٩)، وكانت تنعقد ثلاثـة أيام في الأسبوع، الاثنين، الأربعاء والجمعة فيما عدا أيام المواسم والأعياد الدينية(١٠)، وتنظر فـي القضـايا التي لم يكن النبـلاء طرفـا فيها(١١)، وتبحث في الأمـور المدنية، مثل: التعدي على

---

(١) رنسيمان: تاريخ ٢/٣٠١. La Mounte :Feudal 90-91

(٢) براور: عالم الصليبيين ١٣١. La Monte: Feudal 92-93

(٣) La Monte : Feudal 90

(٤) Rohricht:Regesta 256. cf.also: La Monte : Lords of Caesarea 148-49

(٥) Beyer : Akko und Galilaea 241

(٦)رنسيمان: تاريخ ٢/٣٠٢-٣٠٣ Cf.also : Conder: The Latin 172-173

(٧)البيشاوي: الممتلكات ١٠٠-١٠١. Richard: The Latin 1/139. c.f.also:Conder: The Latin 173

(٨) Jean de Iblin 1/410; Beyer: Akko und Galilaea 241

(٩) La Monte:Feudal 106-107: cf.also:Conder: The Latin172;Richard:The Latin 1/127
براور: ١٣٦
وقد بلغ عدد المحاكم البرجوازية في مملكة بيت المقدس سبع وثلاثين محكمة. ينظـر البيشـاوي: الممتلكـات ١٠١. Barker: 44

(١١) رنسيمان: تاريخ ٢/٣٠٢-٣٠٣.وينظر:براور،عالم الصليبيين ١٣٦.
La Monte: Feudal 107; Prawer:The Latin 146-149

(١١) اليوسف: العلاقات ٨٨. Conder:172

الأراضي(١)، وتقوم بالفصل في جميع القضايا المتعلقة بأفراد الطبقة البرجوازية، كذلك تفصل في قضايا الفرسان، إذا اختاروا المثول أمامها(٢)، وللمحكمة البرجوازية ما للمحكمة العليا من قوانين وإن كانت في مجموعها تستند إلى العرف والتقاليد المرعية أكثر من كونها قوانين مدونة(٣).

لقد أوجد الفرنج محكمة الريس القرية والتي كانت تنعقد تحت رئاسة أكبر شخصية في القرية وهو الريس Rayis يساعده اثنا عشر محلفاً من سكان القرية، وكانت محاكم القرى تعتمد في أحكامها على العرف والتقاليد المرعية، إذ سمح الفرنجيون لأهالي القرى بالتقاضي أمام محاكمهم الخاصة(٤).

وكذلك وجدت إلى جانب هذه المحاكم المحكمة الكنسية والتي كانت تختص بمجالات محددة وخصوصية إذ كان اختصاصها يتضمن كل رجال الدين، وقد توسعت حقوق المحاكم الكنسية إلى أبعد الحدود وأصبحت تطالب بحق الحكم في جميع الروابط بين الرجل وزوجته وتعاملت أيضاً بجمع الحالات الشرعية وغير الشرعية وفي حالات النزاع بين رجال الدين وعامة الناس، وكان الفيسكونت وأعضاء هيئة المحكمين في المحكمة البرجوازية مضطرين لحضور جلساتها ليشهدوا الحكم(٥).

أما عن السلطة الدينية في إقطاعية بيسان، كانت تحتل كنيسة بيسان رئاسة أسقفية(٦) إلا أن هذه المكانة تراجعت إلى أن أصبحت أسقفية، ويعود ذلك إلى السياسة التي مارسها تانكرد Tancerd من الاهتمام بكنيسة جبل طابور والناصرة على حساب كنيسة بيسان، إذ أسس مطرانية جبل طابور وعهد إلى جيرارد Gerard رئيس رهبان دير جبل الطور(دير القديس سلفادورSelvaire)(٧) بأسقفية الجليل حيث أن تانكرد Tancerd أبدى امتعاضاً بوجود مركز إمارته الديني في مكان مبهم غامض،مثل: بيسان على حد وصفه، ومنح رئيس الرهبان سلطة رئيس الأساقفة في الإمارة(٨) ويرى

---

(١) اليوسف: العلاقات ٨٨ Archer and Kingsford:The Crusades 126

(٢) وينظر: البيشاوي: الممتلكات ١٠٢ Conder:The Latin 172

(٣) LaMonte:107. cf.also:Benvenisti:20-28; Conder: The Latin 172-173

(٤) Richard: The Latin 1/130.Benvenisti,20;Parwer:The Latin 156

(٥) LaMonte:Feudal 109-110

(٦)الفيتري: ٧٠. William of Tyre; 2/473-393

(٧) في أعقاب وفاة البابا أجابات Agapat ثار الخلاف بين الإمبراطورة ثيودورة زوجة جستنيان ومجمع خلقدونية الديني حول تنصيب خلف له، وإزاء اختيار المجمع في تنصيب القديس سلفادور عهدت الإمبراطورة إلى نفيه إلى الشرق، وكلفت البابا الذي اختارته بإنزال كافة ألوان العذاب به حتى أدى به الأمر إلى وفاته في العشرين من حزيران سنة ٥٤٠م Giry : viedes Saint Nouvella 538-39

(٨) الفيتري: ٧٠. ويوضح هاملتون أن الدير الذي أنشأه تانكرد فوق جبل الطور كان دير بندكيتا. Cf.also . Hamilton; The Latin 91.

صاحب كتاب حملة ريتشارد أن رئاسة الأسقفية في الجليل عادت إلى كنيسة بيسان(١) إلا أنه انفرد بهذا الرأي عن غيره من المراجع والأرجح أن كنيسة بيسان بقيت أسقفية ولم ترجع إلى مكانتها إلى رئاسة الأسقفية.

٢-٥ الاستيطان الفرنجي في بيسان

اعتمد الفرنجة في مملكة بيت المقدس على نظام الإقطاع الذي عرفوه في أوروبا، ولذلك نراهم يوزعون الأرض التي خضعت لسيطرتهم على كبار الشخصيات الفرنجية والكنائس والبطريرك وغيرهم، وقام رجال الدين وكبار الشخصيات بإنشاء مجموعة من المستوطنات والقلاع على الأراضي التي حازوها من الملك الفرنجي، وقد توافرت مجموعة من العناصر أسهمت في إنجاح عملية الاستيطان الفرنجي ويأتي في طليعة هذه العناصر:القوة العسكرية يليها القوة الاقتصادية والمالية، وتوافر العنصر البشري، ومن ثم الأرض فضلاً عن التخلص من سكان البلاد الأصليين(٢).

وفيما يتعلق بالقوة العسكرية، فقد كانت ضرورية لغرض السيطرة وحماية المستوطنين وبالمقابل طرد السكان الأصليين، وقد أسهمت تلك القوة في تهيئة الظروف المناسبة لبدء عملية الاستيطان وقدوم المستوطنين مستخدمة في ذلك أساليب عدة: منها إبادة أعداد كبيرة من السكان الأصليين، وتشريد الباقي. ولعل في ارتكاب الفرنج لمذبحة القدس، ما يؤكد على صحة ما ذهبنا إليه، حيث أبيد معظم سكان المدينة، كما قام الفرنج بتهجير أهالي بيسان(٣)، وقد عمدوا إلى هذه الإجراءات لتحقيق هدف مزدوج وهو تأمين الحماية للموقع بإزالة العناصر القابلة للتحالف مع المهاجم المحتمل، ثم تخليص المدن الفلسطينية مما اعتبره دنس الذي يمثله وجود الكفرة(المسلمين) فيها(٤)، وفي مقابل ذلك لم تكن أعداد المسيحيين تكفي لملء شارع واحد من شوارع القدس على حد تعبير وليم الصوري(٥). وقد سارع الفرنجة بعد ذلك إلى وقف سياسة الإبادة ليس بدافع إنساني بل بسبب نقص العنصر الفرنجي الديموغرافي نقصاً خطيراً وحاجتهم لأهل المدن وما يمتلكون من مقدرات مختلفة في التجارة، والحرف، والزراعة، والصناعة وغيرها(٦).

---

(١) Ambroise: 230

(٢) البيشاوي:" دراسة مقارنة بين الاستيطان الصليبي والاستيطان الصهيوني" .المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية،عدد١، رام الله ١٩٩٨، ٩٣.

(٣) ريموندا جيل: ٢٣٨؛ مجهول: أعمال ١١٦؛ ابن القلانسي: ذيل ١٣٧.

(٤) ريشار: تكوين مملكة القدس ١٤٨.

(٥) الصوري: ١/٥٦٠-٥٦١.

(٦) العسلي: الدراسات الصهيونية ١٢١.

ولتعويض النقص الحاد الذي تعانيه المملكة من السكان، لجأ الفرنجة إلى استقدام أعداد كبيرة من المسيحيين الشرقيين المقيمين في المناطق الواقعة فيما وراء الأردن، مثل:نصارى عجلون، على يد الملك بلدوين الأول Baldwin I حيث قام الملك بلدوين الأول باستقبالهم مع زوجاتهم وأطفالهم ومنحهم قطاعات كبيرة من مدينة بيسان، ووفر لهم المساكن للإقامة بها للحاجة الماسة إليهم(١).

وقد أدت أخبار النجاح الذي حققته الحملة الفرنجية الأولى إلى تشجيع العناصر الأوروبية الجديدة على القدوم إلى الشرق رغبة في الحصول على نصيب وافر من الغنائم(٢). وأسهم نظام الإقطاع الفرنجي في زيادة الرقعة الاستيطانية في فلسطين،واستغل رجال الدين أيضا المنح والهبات التي قدمت لهم لإقامة المستوطنات الفرنجية الدينية في بعض القرى،ولقيت عملية استيطان الأراضي البور تشجيعا من البابوية، بحيث سمحت سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م لفرقة الاسبتارية بإقامة الكنائس والمقابر في الأراضي البور، وكان هذا امتيازا ذو قيمة كبيرة بالنسبة للمستوطنين في المستقبل، وفيما بعد سمح لهم ببناء المدن والقرى والمقابر على حدود التجمعات الإسلامية رغم أنه لم يكن هناك أي مجمع ديني بالقرب منهم(٣).

وقبل سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م تدفق المهاجرون الأوروبيون بشكل كبير على فلسطين وأشار الفيتري (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) إلى ازدهار فلسطين سكانيا(٤)، وتعاونت المملكة مع الكنيسة في بناء المستوطنات لهم، وقد حصل كل مستوطن على ٢٤٠ فدانا من الأرض ليبني على جزء من الأرض ويزرع الباقي، وبالمقابل يتوجب عليه دفع ضريبة سنوية(٥).

ويبدو أن ما يسمى بـ Cuira قد شكل المركز الإداري للمستوطنات حيث أن فيه المسؤول عن شؤون المستوطنة، وأدير منه أراضي ومزارع المستوطنة مما تجعلنا نرجح أن يكون بناء لـ Cuira هذا قد أقيم في وسط المستوطنة لإقامة المسؤول وتخزين المحاصيل التي تنتجها المستوطنة(٦).

---

(١) الصوري : ١/٥٦٠-٥٦١.
(٢) ريشار: تكوين مملكة القدس ١٥٧.
(٣) سميث: الاسبتارية ٤٣٣-٤٣٤.
(٤) الفيتري: ٥٦-٥٧.
(٥) سميث: الاسبتارية ٤٣٣-٤٣٤.
(٦) Benvenisti:226

٢-٦ القلاع والحصون الفرنجية في إقطاعية بيسان

قبل الحديث عن أهم القلاع والحصون في إقطاعية بيسان لا بد من التعريف بـــهما فالقلعـــة Castle لغة بتحريك القاف واللام والعين: هي الحصن الممتنع في جبل وجمعها قلاع وقلع وقلوع(١). والقلعة بسكون اللام: هي الحصن المشرف(٢). أما الحصن Fortress فهو ليس فقط القلاع الشـــامخة فحسب بل أيضا المطامير، والجبال، والمدن، والخنادق، وكل ما يشابهها من حصون ومعاقل(٣).

وقد ورد تعريف القلعة Castle في الموسوعة الأمريكيـــة American Encyclopedia بأنـــها: قرى محصنة المباني ويعود أصلها إلى الكلمـــة اللاتينيـــة Castellum(٤) بينمـــا ورد تعريفـــها فـــي الموسوعة الإســـلامية بأنها الحصن Fortress وهي مشتقة من الكلمة الإسبانية (Alcala-Cala) التي أطلقت على شـــبه الجزيرة الأيبيرية والتي تضم إســـبانيا والبرتغال وعرفت لدى المســـلمين باســـم القلاع (Al-kila)(٥).

والكلمة الفرنسية المرادفة لكلمة Castle بالإنجليزية هي Chateau والتي تعني بيتا كبيرا أو قصرا في القرية وليس قلعة فقط(٦) وقد فسرت القلعة أو الحصن على أساســـيين: الأول عســـكري بمعنى المكان المحصن المعد للدفاع عن منطقة ما وحمايتها من الأعداء والثاني مدنـــي باعتبارهـــا المكان المخصص للسكن(٧).

ومن هذا المفهوم يتبين بأن الفرنجة في إقطاعية بيسان قد اهتموا بالنواحي الدفاعيـــة وذلـــك عبر تشييد سلسلة من الحصون والقلاع، تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم، ولعبـــت القـــلاع وخاصـــة المقام منها قرب الأقاليم الحدودية دورا مهما في منع تقلص المنطقة الواقعة تحت الحكـــم الفرنجـــي خاصة في ضوء تعرض تلك المناطق لهجمات مفاجئة ومتكررة، كذلك مكنت هذه القلاع من مواجهة القوات الإسلامية قبل تغلغلها في أعماق الأراضي الفرنجية لكون الجيش كان يحتشد في نقطة خلـــف الحدود حيث تنضم إليه فرق من الأماكن المحصنة(٨)، كذلك أمكن للحصن الحـــدودي أن يكـــون ذو أهميـــة فائقة لكونـــه وفـــر المأوى والماء والمـــؤن نظرا لوجوده في منطقة زراعية، ومما تجدر

---

(١) ابن منظور: ٢٩٠/٨؛ الفيروز أبادي: ١/ ٩٧٥.

(٢) المقريزي: الخطط ٢٥/٣.

(٣) ابن منكلي: الأدلة الرسمية في التعابير الحربية ٢٠٦؛ تيراسي: الحصن، دائرة المعارف الإسلامية ٤٧٥/٣-٤٧٨

(٤) John : Castles The Encyclopedia of Americana . E/A 786

(٥) Terrasse : Fortress, The Encyclopedia of Eslam. 1/ 670

(٦) Enc. of Americana : 786

(٧) Benvenisiti :277

(٨) مولر: القلاع ٨٥. وينظر: رنسيمان : تاريخ ٦٢٣/٣.

الإشارة إليه أن الحصون والقلاع الفرنجية لم تشيد كلها لغرض الدفاع عن المملكة، وإنما هناك حصون تم تشييدها بغية الهجوم المتواصل المتميز بالتصميم كحصن حبيس جلدك(١).

إضافة إلى ذلك فقد حققت تلك القلاع مهاماً عديدة فقد كانت سلاحاً لنشر النفوذ الفرنجي فوق المناطق التي لم يتم الاستيلاء عليها(٢)، وكانت أيضاً مراكز إدارية لضمان الحكم السلمي والفعال وجمع الرسوم الجمركية والضرائب من المنطقة التي تسيطر عليها(٣)، وهناك نوع من القلاع التي شيدت في المناطق الريفية لحماية الاستيطان وغالباً ما كان ينشأ حول تلك القلاع ضواحي تحوي نسبة من المستوطنين الفرنجيين وفي مثل تلك الحالات كان من الطبيعي بناء كنائس منفصلة لتلك الضواحي رغم السماح لسكانها بحضور الصلوات التي تقام في كنيسة القلعة الصغيرة(٤).

وكان يتولى مسؤولية القلاع حاكم القلعة (الكند سطبل)*، والذي يشترط فيه أن يكون من ذوي الخبرة العسكرية حتى يتمكن من تحقيق الهدف من بناء القلاع(٥) ومن أهم القلاع التي وجدت ضمن إقطاعية بيسان:-

١-قلعة بيسان

أشرت في الفصل الأول من هذه الدراسة إلى أهمية بيسان العسكرية والاستراتيجية وما اكتسبته من أهمية لطبيعة موقعها الجغرافي وكيف تراجعت هذه الأهمية بعد الفتح الإسلامي نتيجة لنقل العاصمة منها إلى طبرية وهذا أدى إلى التقليل من أهميتها والعناية بتحصينها، والركون إلى التحصينات الطبيعية والتي منحتها التضاريس الجغرافية لها، والتي لم تسعفها في الدفاع والصمود أمام تانكرد سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م والذي قام بتحصينها فور الاستيلاء عليها(٦).

---

(١) الصوري: ١/١٣١. وينظر: سميث: الاسبتارية ١٣٨؛ سميل: ٢١٢-٢١٣.

(٢) سميث: الاسبتارية ١٣٨. Benvensiti : The Crusaders 277

(٣) سميل: الحروب الصليبية ٢١٠-٢١٦. Hamilton : The Latin Church 93.

(٤) Raoul : 703.cf.also : Rey : 403

* الكند سطبل Constable: إحدى الوظائف الهامة في إدارة القلعة، واصل الكلمة لاتيني مأخوذة من الكلمة (Coselanus)أو (Comesabuli) والتي تعني في العصور الوسطى حاكم القلعة وحاميها، وهو ضابط الأمن في مملكة بيت المقدس الفرنجية، والقائد الحربي الرئيس للملك يقوم بتوجيه الجنود والقادة أثناء المعارك الحربية. ينظر: ماير: الحروب ٢٤١؛ البيشاوي: الممتلكات ١٩٤؛ريشار: تكوين ١٥٣.

(٥) سميل: ٢١٠؛ الصوافي:١٢٣ Patterson :474-477

(٦) ٣٢-٣٣، ٥٠.

لم تعط المصادر وصفا دقيقا للقلعة وإنما اختصر ذلك على ما أشار إليه راوول (ت بعد عام ٥٢٦هـ/١١٣١م) عن قيام تانكرد Tancerd ببناء أسوار دائرية حول المدينة(١)، وعلى الأرجح فإن تانكرد لم يكمل هذه التحصينات إذ سارع إلى الاستيلاء على باقي مدن الجليل، وأن عملية بناء القلعة تمت فيما بعد إذ أن وليم الصوري (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) الذي عاصر قيام دولة الفرنج، وجاء بعد راوول (ت بعد عام ٥٢٦هـ/١١٣١م) يتحدث عن بيسان بأنها كانت صغيرة الحجم(٢)، وبقيت كذلك على الأقل حتى العام ٥٧٨هـ/١١٨٢م لأنها لم تبد أي مقاومة خلال الهجوم عليها في تلك السنة(٣).

على أية حال أظهرت بعض المصادر التاريخية أن القلعة كانت موجودة داخل الأسوار وكانت على الأقل مكونة من طابقين ولها برجان في الزاويتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية، ومن المنطقي بأن هذه القلعة كانت أيضا مقرا للسيد الإقطاعي(٤).

وهناك قاسم مشترك بين المصادر الإسلامية والمصادر الفرنجية حول المعلومات عن القلعة ذلك أن المصادر الإسلامية أيضا تتحدث عن صغر حجمها إلا أنها لم تحدد زمانا لبنائها(٥).

كانت القلعة دفاعية لا هجومية، دافعت عن الطرق المؤدية إلى سهل جزريل (زرعين)(٦) الأمر الذي أدى إلى تعرضها دائما لسلسة من الغارات من قبل القوات الإسلامية بدءا بالهجوم الذي قام به مودود* سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، ومرورا بالهجوم الذي قام به فروخشاه ابن أخ صلاح

---

(١) ينظر ملحق (١).

(٢) الصوري: ٢/٣٢٠

(٣) الصوري: ٢/٢٩٠-٣٢٠.

(٤) رنسيمان: تاريخ ٣/٦٢٨. وينظر: زكي: فن ١٢٤.

(٥) ابن شداد: الأعلاق ١٣٦؛ العمري: ١٨٧؛ مولر: القلاع ١٨٨.

(٦) Prawer: The Latin 293-294

* مودود: هو الأمير بن التونكين صاحب الموصل، وكان أول ظهوره على مسرح الأحداث بعد سلطنة محمد بن ملكشاه السلجوقي بقليل، حيث ورد اسمه كأحد رجاله، ولقد برز بين قواده مظهراً شجاعه استرعت انتباه السلطان محمد فقربه إليه واختاره لبعض المهام الكبيرة ، وكان أبرزها الاستيلاء على إمارة الموصل سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م، وصفه ابن الأثير بأنه كان خيراً عادلاً كثير الخير تلقى امراً من السلطان محمد ببدء حركة الجهاد ضد الفرنج وفعلاً شارك إلى جانب طغتكين في قتال الفرنجة في معركة جسر الصنبرة ١١ محرم ٥٠٧هـ/٢٨ حزيران ١١١٣م، قتل على يد الباطنية بعد هذه المعركة بقليل أثناء دخوله المسجد الأموي لأداء صلاة الجمعة. ينظر: ابن الأثير: الكامل ٨/٢٥٢-٢٦٦؛ الشيخ: الجهاد المقدس ٢١٣-٢١٦.

الدين سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م(١) إلى أن أعيد فتحها على يد صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وفي سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م تعرضت المدينة لهجوم فرنجي ولم يستولي عليها بل نهبها(٢). وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت القلعة مهدمة ومهجورة دون أن يعيد المسلمون تحصينها وفي سنة ٦٣٨-٦٣٩هـ/١٢٤٠-١٢٤١م وصلت حملة فرنجية جديدة كان من نتائجها حصول الفرنج على معظم قلاع فلسطين الشمالية ومنها قلعة بيسان إلا أن الفرنج لم يعيدوا تحصينها لعدم أهميتها بل حصنوا القلاع المجاورة لها كصفد وكوكب الهوا.

٢- قلعة كوكب الهوا Belvoir

أطلقت عليها المصادر الفرنجية واللاتينية اسم "بلفوار" Belvoir ومعناه المشهد الجميل، وأما اسم كوكيت (Coquet) فهو تحريف فرنسي لاسم القلعة كوكب(٣).

تقع القلعة في شمال فلسطين في إقليم الجليل إلى الشمال الشرقي من إقطاعية بيسان على تل بارز يطل على وادي الأردن بين السهول الواقعة بين طبرية وبيسان على ارتفاع حوالي ٥٠٠ متر فوق سطح البحر(٤). وهي تشرف على وادي الأردن الشمالي والطرق الواقعة إلى الجنوب من بحيرة طبرية حتى بيسان(٥).

وقد هدف الفرنج من بنائها السيطرة على الطريق القادمة من دمشق باتجاه فلسطين الذي يسير عبر شمال الأردن الحالي فالأغوار جنوب بحيرة طبرية وشمال كوكب الهوا حتى ينتهي إلى عكا(٦). وقد منحها موقعها الاستراتيجي هذه الميزات المهمة حتى وصفها بعض المؤرخين المسلمين بأنها "راسية، شماء، شامخة"(٧).

بنيت قلعة كوكب الهوا في عهد جون سيد بيسان زمن الملك الفرنجي فولك الأنجوي سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م ضمن سياسته في تحصين شمال مملكة بيت المقدس، وذلك لتثبيت السيطرة الفرنجية على الطرق المؤدية إليها، وجعلها نقطة حماية وقاعدة للجيوش الفرنجية التي تهاجم

---

(١) ابن شاهنشاه: ٩٥؛ الصوري : ٢/٣٢٠.

(٢) ابن العديم: ٣/٧٢.

(٣) بورشارد:٩٥ Rey: 436.cf.also : Prawer : The Latin 358

(٤) الفيتري: ٢٦. وينظر: الصوري: ١/٣٢٨-٣٢٩.

(٥) سميث: الاسبتارية ١١٨.

(٦) غوانمة : إمارة الكرك ٣٤٤. Cf.also: Benvenisti : 295

(٧) الأصفهاني: الفتح القسي ٢٧٠-٢٧١.

أتابكية دمشق ويعتبر بناء القلعة من أهم الإنجازات الفرنجية في تلك الفترة إذ تبلـــغ مســاحتها ١٤ دونم(١)، وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب حوالي ١٣٠م ومن الشـــمال إلـــى الجنوب حوالي ٢٠٠م ومحيطها حوالي ٤٨٠م وثلاثة أمتار سمك جدرانـــها(٢)، ويرتفـــع جدارهـــا الحجري حوالي ٢٠م، وشيد الفرنجة على أسوارها أبراجاً مربعة الشكل كما أحاطوها بخندق علـــى عمق ١٠-١٢م تقريباً(٣).

كان البناء الأول لهذه القلعة صغيراً، وكان يمتلكه سيد ونبيل فرنسي اسمه ايفو فيلوس تـــابع للملك(٤)، وبقيت تابعة له حتى اشتراها منه فرسان الاسبتارية(٥) ســـنة ٥٦٤هـــ/١١٦٨م بمبلـــغ مقداره ١٤٠٠ بيزنط* لأنه لم يعد قادراً على تحمـــل نفقاتـــها(٦)، وبقيـــت بأيديـــهم حتـــى فتحـــها صلاح الدين سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م(٧).

٣- حصن عفربلا

أطلق على هذا الحصن في المصادر العربية عفربلا وكفربلا أما في المصـــادر اللاتينيـــة فقـــد أطلقت عليه فوربلت (Forbelt)(٨)، يقع في غـــور الأردن إلى الشمال من بيسان وإلى الجنوب مـــن بحيرة طبرية(٩)، كما أنه يتوسط قلعتي كوكب الهوا في الشرق وقلعة الفولة في الغرب. وهذا الموقـــع جعله يشكل مع قلعتي كوكب الهوا وبيسان حاجزاً أمام أي تقدم للقوات الإسلامية إلى عمق منطقـــة الجليل من جهة الغور.

---

(١) بورشارد: ٩٥.

(٢) Prawer : The Latin 304-305

(٣) Benvenisti: 287

(٤) سميث:الاسبتارية ٧٢. Cf.also. Smail : The Crusaders Syria 102

(٥) الصوري: ٢/٢٤٢-٢٤٥.

* البيزنط: Bezant هي عملة ذهبية كانت متداولة في العصور الوسطى وتعادل ٣,٥غم من الذهب وأول من ثبته الإمـــبراطور قسطنطين الكبير. ينظر: البيشاوي: الممتلكات ١١٨، هامش ٤.

(٦) سميث: الاسبتارية ٧٢.

(٧) الأصفهاني : الفتح القسي٢٧٠-٢٧١. وينظر:ابن شداد : الأعلاق ١٦١؛ العمري: ٢٠٨؛ الحنبلي: الأنس الجليل ١/٣٥٦.

(٨) الحموي ياقوت: معجم البلدان ٤/١٤٨. وينظر: أبو شامة: الروضتين ٢/٢٩؛خارطة (١).

(٩) الصوري: ٢/١٠٤١-١٠٤٥ Rey : 440

لا يتوافر لدينا الكثير من المعلومات عن هذا الحصن، إلا أنه حصن صغير تم بناؤه في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلاد من قبل فرسان الاسبتارية، ولم يشكل هذا الحصن خطراً على المسلمين في صراعهم مع الفرنج لأن حصن كوكب الهوا المجاور له هو الذي تحمل كافة الأعباء في مواجهة المسلمين(١).

٤- قلعة الفولة

وردت في المصادر العربية باسم الفولة(٢)،إلا أن الفرنج عندما احتلوا فلسطين ترجموا الاسم العربي إلى اللغة اللاتينية وسموها لافيف Lafeve(٣). كما وردت باسم كاستيلوم فابى Castelum Faba وفابا (Faba) وفين (Fene) وفيف (Feve)(٤).

تقع قلعة الفولة في أراضي قرية الفولة على بعد فرسخ واحد جنوب قرية المزرعة* فتتوسط مرج ابن عامر إلى الجنوب من الناصرة والجنوب الغربي من جبل الطور والشمال الغربي من بيسان، وتتحكم هذه القلعة مع قلعتي كوكب الهوا وبيسان في العيون والينابيع المنتشرة حولها التي تستخدم في ري المزروعات والحقول المنتشرة في السهول المحيطة بها والتي تزود القلاع بما تحتاج إليه الموارد الاقتصادية(٥)، كما أنها تحتل موقعاً استراتيجياً عند تقاطع طريق الوادي من عكا إلى بيسان مع الطريق القادمة من الجنوب الغربي وتستمر شمالاً إلى الناصرة وطبرية الأمر الذي يبين أهمية المكان الذي احتلته في التاريخ العسكري للفرنج(٦).

تعتبر هذه القلعة حسبما جاء في المصادر الإسلامية من أكثر القلاع حصانة واملأها بالرجال والعتاد ويصفها الأصفهاني،فيقول: "وهي حصنهم الحصين ومكان مكين وركن ركين ومجمع إخوانهم ومجمع شيطانهم" وكانت تدار من قبل فرسان الداوية(٧)،ولما سقطت بأيدي المسلمين سقطت جميع المعاقل الأخرى المحيطة بها،مثل:دبورية،وزرعين،وعفربلا،والطور، واللجون، وبيسان(٨).مما يدل على أن القلعة كانت من أهم المراكز العسكرية لفرسان الداوية في إقطاعية بيسان.

---

(١) الصوافي: ١٩٦ Keadar and Pringle: Survey of Castles 90

(٢) الأصفهاني: الفتح القسي ٩٧. وينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٣١٨/٤.

(٣) Benvensiti : 323

(٤) Rey: 439

* المزرعة Mesrha: أطلال قرية تقع قرب الفولة على ضفاف نهر المقطع (نهر قيشون) وعلى بعد فرسخ واحد (ثلاثة أميال=٥٥٤٤م) من سفح جبل حرمون (الشيخ). ينظر: بورشارد: ٩٩.

(٥) بورشارد: ٩٩. وينظر: الصوافي: ١٧٩؛ خارطة (١).

(٦) Keadar and Pringle: La Five Acrusader Castle I/35

(٧) الأصفهاني: الفتح القسي ٩٣-٩٨.

(٨) البنداري: سنا البرق ٣٠٢. وينظر: الحنبلي: الأنس الجليل ٣٢٤.

أما المصادر اللاتينية فيظهر أول ذكر لهذه القلعة في رحلة الحاج الألماني ثيودوريك والذي ذكر بأنه عند الحافة الغربية لجبل حرمون (الشيخ) بنى فرسان المعبد (الداوية) قلعة ذات أهمية وبنو في ساحتها بئر كبير مزود بمحرك عجلي لسحب المياه، ولم يحدد ثيودوريك اسم هذه القلعة غير أن وصفه يظهر أنها المقصودة بذلك(١). أما وليم الصوري فلم يتعرض لذكر هذه القلعة بالشيء الكثير بل ذكر كاستيلوم Castelum وهو أحد أسماء الفولة ضمن حديثه عن الصراع بين الفرنج وقوات صلاح الدين في الأعوام (٥٧٨-٥٧٩هـ/١١٨٢-١١٨٣م)(٢).

٥- حصن حبيس جلدك

بني هذا الحصن من قبل ملك بيت المقدس بلدوين Baldwin بعد الاتفاقية التي عقدت بين مملكة بيت المقدس وظهير الدين طغتكين في ١٩ ذي القعدة ٥٠١هـ - ١ محرم ٥٠٢هـ/٣٠ تموز ١١٠٧- ١١ آب إلى ٣٠ تموز ١١٠٨م(٣) في موقع قريب من عين الحبيس الحالية* إلى الجنوب من نهر اليرموك، وهو عبارة عن كهف مكون من ثلاث طبقات الواحدة منها فوق الأخرى، ويصل بينها درج خشبي، يمر بفتحات ضيقة في الصخر، تصل بين الطبقة والتي تليها(٤) يبلغ ارتفاعه حوالي ٤٥ مترا، وقد نحتت داخل القلعة بعض المغاور، وشيدت فيه غرف للنوم(٥).

لقد اهتم المؤرخ الفرنجي وليم الصوري، الذي عاصر معظم الفترة المتعلقة بأخبار حصن الحبيس بأخبار هذا الحصن ووصفه بدقة، إذ ذكره في اكثر من موضع من تاريخه مضيفا تفاصيل جديدة في كل مرة فأول ما ذكره بأنه كهف حصين جدا في الجانب الأخر (الشرقي) من نهر الأردن(٦)، وفي المرة التالية، قال: أن الحصن هو كهف أو شق كبير في منطقة السواد،وأنه يقع على

---

(١) Theodrich : 63-64

(٢) الصوري: ٣٠٧/٢.

(٣) نصت هذه الاتفاقية على اقتسام غلات أرض السواد وجبل عوف(عجلون) وناتجهما بينهما وبين الفلاحين في هاتين المنطقتين بحيث يكون للأتراك الثلث وللإفرنج والفلاحين الثلثين، وكتبت الشروط بين الطرفين. ينظر: ابن القلانسي: ذيل ١٤٦، يلاحظ من نص ابن القلانسي أن حصة الفلاحين ربطت بحصة الفرنجة مما يشير إلى نفوذهم فيهما كان الأقوى.

* عين الحبيس تقع في موقع متوسط من حوض نهر اليرموك الجنوبي إلى الغرب من وادي الشلالة، والى الشمال من بلدة حرثا الحالية والشمال الشرقي من بلدة الرفيد، وترتفع حوالي ٤٠٠متر عن سطح البحر. ينظر: الصوري: ٢٦٩. عبيدات : التطور الحضاري ٣٣؛ الحياري: حصن حبيس جلدك ١٥٠.

(٤) الصوري: ٤٧٠/٢، ٤٨١-٤٨٣. وينظر : أبو شامة : الروضتين ١٠٦/٣.

(٥) عبيدات : التطور الحضاري ٤٨٢-٤٨٣.

(٦) الصوري: ٢٦٩/٢.

إحدى التلال الشديدة الانحدار، وأن لا سبيل للوصول إليه من أي جهة إلا من خلال ممر ضيق خطر جداً على جانب المنحدر(١)، وأنه كان فيه غرف للنوم كما كان عنده نبع دائم لا ينضب(٢).

ويكرر وليم الصوري الأوصاف السابقة مرة ثالثة(٣) ويضيف في أخرى أن عرض الممر الموصل إلى الحصن لا يزيد عن قدم واحد تحته منحدر سحيق جداً يمتد إلى اسفل الوادي، وأن الكهف يتكون من ثلاث طبقات الواحدة منها فوق الأخرى ويصل بينهما درج خشبي يمر بفتحات ضيقة في الصخر تصل بين الطبقة والتي تليها(٤).

أما أبو شامة فقد ذكرها في أحداث سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م ضمن البلاد التي فتحها الملك المنصور عز الدين فرخشاه ابن أخ صلاح الدين، فيقول : "وجاء إلى حبيس جلدك بالسواد، وهو شقيف* يشرف على بلاد المسلمين ففتحه"(٥).

---

(١) الصوري: ٢/٣٧٠.

(٢) عبيدات : التطور الحضاري ٣٣. وينظر: الحياري: حصن حبيس جلدك ١٤٩-١٥٠.

(٣) الصوري: ٢/٤٧٠-٤٨١-٤٨٣.

(٤) الصوري: ٢/٤٨٢-٤٨٣.

(٥) أبو شامة: الروضتين ٣/١٠٦-١١٨.

* الشقيف: كلمة آرامية سريانية، تعني المغارة والكهف والصخر الشاهق المشرف. ينظر: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، ٩٧.

الفصل الثالث

دور إقطاعية بيسان العسكري في محاربة المسلمين

٤٩٤-٥٨٣هـ /١١٠١-١١٨٧م

٣-١ إسهام إقطاعية بيسان في خدمة المجهود العسكري لمملكة بيت المقدس الفرنجية:

برزت أهمية بيسان الاستراتيجية بمجرد وصول الفرنجة إليها، إذ كانت مفتاحاً لإقليم الجليل، ونقطة الانطلاق للاستيلاء عليه، وجعلها تانكرد منطقة محصّنة للدفاع عن مملكة بيت المقدس بشكل عام وإقليم الجليل بشكل خاص، وكان الهدف الرئيس من تحصينها حتى تتمكن من تهديد دمشق مستقبلاً(١). ولما كانت الحملة الفرنجية الأولى التي قدمت إلى بلاد الشام قد ارتكبت الكثير من الفظائع والجرائم ضد السكان الأبرياء وفقاً لما أشارت إليه المصادر المختلفة(٢)، كان من الطبيعي أن تكون العلاقة بين الفرنجة والمسلمين قائمة على أساس من العداء.

ووسط هذه الظروف والروح العدائية التي غمرت الشام، أدرك جودفري حاكم مملكة بيت المقدس أنّ دولته يجب أن تكون دولة عسكرية من الطراز الأول، وقد انعكس ذلك على إقطاعية بيسان التي كان عليها أن تشارك باقي الإقطاعيات الفرنجية في الجهود الحربية بعد أن أصبحت كياناً له مقدرته العسكرية التي تمكنه من الصمود في وجه المسلمين المتحفزين للقضاء عليه.

ولهذا كان على إقطاعية بيسان أن تقدم إسهاماتها في الخدمات العسكرية للمملكة وفقاً لما هو متعارف عليه في العرف الإقطاعي، إذ كان على سيد كل إقطاعية فرنجية تقديم عدد من الفرسان والجند للخدمة في جيش ملك بيت المقدس(٣) .

---

(١) ريشار : تكوين مملكة بيت المقدس ١٤٩.

(٢) ابن القلانسي: ذيل ١٣٦-١٣٧؛ ابن الجوزي: المنتظم ٤٧/١٧؛ ابن الأثير: الكامل ١٨٩/٨؛ ريموندا جيل: ٢٣٨؛الشارتري: ٧٤-٧٥.

(٣) La Monte: Feudal 215-216

لم تكن تلك الخدمة محددة بفترة زمنية من السنة على غرار ما كان سائداً في أوروبا، حيث كانت الخدمة تحدد بأربعين يوماً في السنة، وإذا زادت عن ذلك تكفل السيد الإقطاعي بنفقات التابع ومؤنته. ويرجع السبب في عدم تحديد هذه المدة في مملكة بيت المقدس اللاتينية، وغيرها من الإمارات التي تم إنشاؤها في المشرق الإسلامي؛ أن الفرنجة كانوا عرضة لغارات المسلمين الذين كانوا يتحفزون دائماً لاسترداد بلادهم من قبضة المعتدي، لذلك اقتضت الظروف أن تكون الخدمة العسكرية غير مشروطة إلا من ناحية عدد الفرسان فقط. وهذا يعني أن التابع الإقطاعي كان ملزماً بتقديم الخدمة العسكرية ما لم يتقاض عليها أجراً. وليس ثمة ما يعفي الملك من الالتزام بدفع الأجور لرجاله سوى

تعتبر الخدمة العسكرية التي كان يقدمها سيد بيسان وغيره من الأمراء الإقطاعيين والسادة النبلاء لملك بيت المقدس، من أهم واجبات التبعية نظراً لأهميتها(١)، وبناء عليه فقد تم تحديد الخدمات الحربية التي كان يقدمها الأمراء الإقطاعيون في مملكة بيت المقدس طبقاً لحجم الإمارة أو الإقطاعية ومنزلة صاحبها، وقد أشار كتاب قوانين بيت المقدس Assises de Jerusalem إلى حجم قوة الفرسان التي تقدمها إقطاعية بيسان والبالغة خمسة عشر فارساً(٢).

وعلاوة على الفرسان أسهمت إقطاعية بيسان وغيرها من الإمارات والإقطاعيات والمدن المختلفة في المملكة بتقديم خدمات السرجندية Sergeants لجيش المملكة، وكانت إقطاعية بيسان ملزمة بتقديم مائة سرجندي(٣)، فضلاً عن خمسة وعشرين سرجندياً كان يقدمها أسقف بيسان(٤).

٣-٢ دور بيسان العسكري في حملات الرملة الثلاث:

شاركت إقطاعية بيسان في التصدي للحملة الفاطمية على المملكة اللاتينية، إلى جانب باقي جيوش المملكة والمعروفة بحملة الرملة الأولى، التي وصلت إلى عسقلان في يوم الأحد الأول من رمضان سنة ٤٩٤ هـ/٣٠ حزيران ١١٠١م(٥) بقيادة سعد الدولة القواسي*، وقد تجمعت هذه الحملة في عسقلان، وقدر وليم الصوري (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) أعداد المشاركين

- حدوث مجاعة، أو قيام المسلمين بغارات تخريبية على البلاد، لذلك عمد الفرنجة أثناء التحضير لحصار مدينة صور إلى جمع الأموال ورهن زخارف كنيسة القيامة لدفع نفقات الفرسان والمشاة المشاركين في الحصار. ينظر: الشارتري:٢٠٦؛ باركر: الحروب ٥٧؛ La Monte:Feudal 215-216

(١) Richard : The Latin 1/89

(٢) Jean d'Iblin : 1/423. cf.also .Beyer : Akku und Galilaea 201.Smith:The Feudal 110.

(٣) Jean d'Iblin : 1/428. cf. also Beyer: Akku und Galilaea 202

(٤) Jean d'Iblin : 1/426.

(٥) ابن القلانسي : ذيل ٢٢٧.

* سعد الدولة القواسي: كان حاكماً لبيروت، وعرف باسم الطواشي اسند إليه الأفضل بن بدر الجمالي المتجه إلى فلسطين لمحاربة الفرنجة.ينظر: ابن القلانسي: ٢٢٦-٢٢٧.

باثني عشر ألف فارس وعشرين ألفا من الرجالة(١)، وقد وصلت أنباء هذه التحركات إلى الملك بلدوين الأول Baldwin I أثناء وجوده في يافا، فأسرع بالسير إلى الرملة لمواجهة الفاطميين،وانتظر هناك ما يزيد عن ثلاثة أسابيع، ولما لم يقم المسلمون بأي هجوم عاد إلى يافا فبقي بها حوالي سبعين يوما.وعندما سمع بتحرك الجيش الفاطمي من عسقلان تجاه الرملة جمع قواته بسرعة من مدن المملكة ومن ضمنها مدينة بيسان،وكانت تتألف من حوالي مائتين وستين فارسا ونحو تسعمائة راجل وقسمهم إلى خمس أو ست فرق على اختلاف الروايات، ثم قصد الرملة لقتال الفاطميين في يوم الجمعة ١٠ذي القعدة ٤٩٥هـ/٦ أيلول ١١٠١م(٢).

ومهما يكن من أمر، فقد دارت المعركة بين الفريقين في السهل الواقع جنوب غرب مدينة الرملة بسبب كثرتهم العددية،وتمكنوا من إبادة ثلاث من الفرق الفرنجية،ولكن لم تلبث الكفة أن تحولت لصالح الفرنجة، فألحقوا الهزيمة بالمسلمين،وقتلوا قائدهم سعد الدولة،وأجبروهم على الفرار إلى عسقلان(٣)،وبينما المعركة دائرة اتجهت إلى يافا فرقة قوامها خمسمائة رجل من الجناح الأيسر لجيش المسلمين بعد تفوقهم في بداية المعركة حيث قاموا بمحاصرة المدينة(٤) ولإلقاء الرعب في قلوب حاميتها جمعوا أسلحة الجند الفرنجة الذين قتلوا ولوحوا بها لرجال المدينة صائحين أن الملك وكل رجاله ذبحوا في المعركة.وعندما رأى المواطنون والملكة* ذلك لم يشكوا في الأمر لا سيما أن اثنين من فرسان بيسان كانا قد فرا من المعركة إلى يافا عرف منهم سيمون باليان(٥)،وأكدا لهم أن الملك ورجاله قد قتلوا، فساد الخوف والاضطراب بينهم،وقرروا إرسال رسالة إلى تانكرد Tancerd الوصي على أنطاكية لدعوته إلى

---

(١) الصوري:٤٩٨/١ وعلى ما يبدو بأنه رقم عالي جداً ومبالغ فيه، ورغم وصف ابن القلانسي للجيش الفاطمي بأنه جيش كثيف إلا أنه لم يحدد عدده.في الوقت الذي حدد فيه الجيش الفرنجي بألف فارس وعشرة آلاف راجل وهو أيضاً عدد مبالغ فيه،في وقت كان بلدوين في أمس الحاجة إلى القوة البشرية بعد أن فضل الكثير من رجال الحملة الفرنجية الأولى العودة إلى بلادهم.وعموماً فقد بالغ المؤرخون الفرنجيون والمسلمون على حد سواء في تقدير أعداد جيش الفريق الأخر أو في عدد القتلى،أو الأسرى في تلك المعركة والمعارك التالية لها، ينظر:ابن القلانسي:ذيل٢٤٠.

(٢) الشارتري: ١١٦-١١٧. وينظر: الصوري: ٤٩٩/١؛ المسحال: ٨٦-٨٨. Albert d'Aix: 545-550

(٣) الشارتري :١١٨ . وينظر: الصوري: ٤٤٩/١ – ٤٥٠؛ابن القلانسي: ذيل ١٤٠؛ابن الأثير: الكامل ٩/ ٦٧ – ٦٨.

(٤) الشارتري :١١٩. أما ألبرت دكس فيذكر أن عددهم كان عشرون ألفاً . ينظر Albert d'Aix : 552

* الملكة: هي زوجة بلدوين الأولى،الأميرة الأرمينية ابنة تنفوز وكان قد تزوجها من أجل قهرها.ينظر:الشارتري:١٦٩ هامش٧٢.

(٥) الشارتري : ١١٦-١٢٢ . وينظر : نوار : العدوان الصليبي ١٩٠.

الإسراع إلى إنقاذ المملكة المعرضة للخطر،وقد أعلن فور تسلمه للرسالة عن استعداده لتقديم العون والمساعدة لمملكة بيت المقدس(١).

أما عن قوات الميسرة الإسلامية فقد انسحبت من حول يافا، وفي طريق عودتها إلى عسقلان التقت مع الملك بلدوين الأول Baldwin I، ودارت بينهما معركة شرسة انتهت بهزيمتهم، وفرار أكثرهم إلى عسقلان، وعندما علم الملك فور وصوله إلى يافا بأمر الخطاب أرسل إلى تانكرد Tancerd رسولا يحمل له خبر عودته إلى يافا سالما(٢).

غير أن الأفضل لم يطق صبرا على تلك الهزيمة التي لحقت بجيوشه على أيدي الفرنجة فأسرع إلى تجهيز حملة أخرى سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٢م(٣)، عرفت بحملة الرملة الثانية، وقد ضمت عشرين ألف رجل بقيادة ابنه شرف المعالي، وتجمعت هذه الحملة في عسقلان في يوم الخميس ٢٥ رجب سنة ٤٩٦ هـ / ١٥ أيار ١١٠٢م(٤)، وفي اليوم التالي أخذت بمهاجمة مدينة الرملة، وعندما اشتد حصارهم لها أرسل أسقفها روبرت النورماندي Robert de Normandie خطابا إلى الملك الذي كان موجودا آنذاك في يافا طالبا منه المساعدة في فك هذا الحصار(٥)، وعندما وصلت هذه الأنباء إلى الملك بلدوين الأول Baldwin I اندفع خارج المدينة بتهور نظرا للسرعة التي تحرك بها الفاطميون في هذه المرة قياسا بحملتهم السابقة التي أهدرت كثيرا من الوقت في عسقلان في انتظار قدوم الأسطول –

---

(١) وقد جاء في الرسالة الموجهة إلى تانكرد ما يلي " تانكرد أيها الرجل اللامع،والجندي الباسل،إليك هذه الرسالة المقتضبة من سكان يافا،أي الملكة وبعض مواطني المدينة يبعثونها إليك على عجل عن طريقي أنا،كمندوبهم الرسمي،أرجو أن تطالعها بتمعن عله يسهل أن تصدق ما كتب فيها من أن تصدق قولي.يا لفداحة المصاب أن ملك القدس الذي دخل المعركة ضد أهل مصر وعسقلان قد أصيب بهزيمة فادحة أو لعله قد قتل في المعركة مع رجاله برمتهم إذ أن أولئك الذين تجنبوا بشق النفس تعاسة هذه النكبة فروا إلى يافا وأخبرونا بما جرى.لذلك فإنني أرسل مندوبا إليك وأنت الرجل الحكيم طالبا المعونة ومتوسلا أن تطرح كل شيء آخر جانبا ،وأن تسارع بلا تمهل لمد يد العون لشعب الله الخاشعين في محنتهم الكبرى،وهم الآن على ما اعتقد أو شكوى على نهاية حياتهم.ينظر: الشارتري:١٢١؛الصوري:٥٠٠/١ إلا أن الأخير لم يشر إلى نص الرسالة كما أوردها الشارتري لكونه لم يكن معاصرا للحدث.

(٢) الشارتري: ١٢١. وينظر: الصوري : ٥٠١/١.

(٣) سبط ابن الجوزي: ٨: ٤/١. وينظر: الشيخ: الجهاد المقدس ١٦٤.

(٤) ابن القلانسي: ذيل ١٤٢. وينظر: ابن الأثير : الكامل ٦٧/٩.

(٥) الشارتري : ١٢٢. وينظر: الصوري: ٥٠٢/١٠؛ ابن الأثير: الكامل ٢١٨/٨؛عاشور: الحركة الصليبية ٢٣٤/١.

وعند بلدة يازور * فوجئ الملك ورجاله بعشرين ألف رجل من المسلمين(١)، فدارت معركة غير متكافئة يوم السبت ٢٧ رجب ٤٩٦ هـ/١٧ أيار ١١٠٢م انتهت بمقتل معظم الفرسان والجنود الفرنجة، وفرار الملك إلى الرملة التي أحاط بها الفاطميون من كل جانب، وتحت ستار الليل تمكن الملك من الفرار إلى أرسوف(٢). وفي اليوم التالي لوصوله جاءته إمدادات إمارة الجليل بقيادة هيو دي سانت أومر Hugh de Sant Omer سيد طبرية وآدم Adam سيد بيسان وبصحبتهما تسعون فارساً لتقديم المساعدة للملك(٣).

أما بالنسبة لحملة الرملة الثالثة فلم تشر المصادر الفرنجية أو العربية المعاصرة عن مشاركة بيسان، أو مدن الجليل الأخرى في حملة الرملة الثالثة سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م(٤)، وربما يعود ذلك إلى وقوف طغتكين أتابك دمشق إلى جانب القوات الفاطمية(٥)، الأمر الذي ربما جعل سيد إقطاعية بيسان يتخذ الحيطة والحذر للدفاع عن إقطاعيته ضد خطر الدماشقة المحتمل، وبالتالي فقد أمنت بيسان وغيرها من المدن الحماية لقوات المملكة الفرنجية من الخلف وهو دور لا يقل أهمية عن مشاركتها بالمعركة إلى جانب الملك.

٣-٣ دور بيسان في الاستيلاء على المدن الساحلية الفلسطينية:

أما عن دور إقطاعية بيسان في تدعيم مملكة بيت المقدس وتقوية نفوذها، فيبدو ذلك واضحاً من خلال مشاركتها ضمن قوات المملكة في إخضاع بقية المناطق والمدن الفلسطينية سواء في ذلك الداخلية أو الساحلية، وفي هذا الإطار شارك فرسان بيسان بقيادة آدم Adam إلى جانب ملك بيت المقدس في الاستيلاء على مدينة أرسوف وقيسارية، وذلك بعد أن تلقى الفرنجة

---

* يازور : قرية تقع في ظاهر مدينة يافا الشرقي وهي قرية قديمة وقد تكون في الأصل "بيت الزور" المدينة الكنعانية التي ورد ذكرها في النقوش المصرية العائدة لعصر أحمس الأول سنة ١٥٥٧ ق. م والذي ضربها وغيرها من المدن الفلسطينية انتقاماً من الهكسوس استولى عليها الفرنجة وأقاموا فيها قلعة السهول، وفي العصر المملوكي كانت من جملة البلاد التي يملكها السلطان قلاوون. وينسب إلى يازور القاضي حسن بن على الوزير الفاطمي .ينظر: بن علي الكاتب: ١٦١؛ شراب : معجم بلدان فلسطين ٧٢٤.

(١) ابن الأثير : الكامل ٢١٨/٨ . وينظر: عاشور: الحركة الصليبية ٢٣٤/١.

(٢) الشارتري : ١٢٦. وينظر: الصوري: ٥٥/١ ؛ ابن القلانسي : ذيل ٢٢٩؛ رنسيمان : تاريخ ١٢٦/٢.

(٣) الشارتري: ١٢٧ . Albert d'Aix : 580-582

(٤) ابن القلانسي: ذيل ١٤٩. وينظر: ابن الأثير: الكامل ٢٢٩/٨؛ الشارتري : ١٣٥.

(٥) ابن القلانسي: ذيل ١٤٩ . وينظر: ابن الأثير: الكامل ٢٢٩/٨. إلا أن الصوري ذكر عدد القوات الفرنجية المشاركة في هذه المعركة بخمسمائة فارس وألفين من الرجال. ينظر: الصوري: ٥٢١/١.

مساعدة قيمة من جانب الأسطول الجنوي(١).

شارك آدم Adam سيد بيسان إلى جانب قوات المملكة والأسطول الجنوي في حصار مدينة عكا الذي استمر نحو عشرين يوما، وقام واليها زهر الدولة الجيوشي* الفاطمي بتنظيم الدفاع عنها، ولكنه لم يتمكن من مقاومة الفرنجة الذين ضاعفوا من ضغطهم البري والبحري على المدينة(٢) مما اضطر أهالي المدينة والحامية الفاطمية فيها إلى تسليم المدينة لما لحق بأهلها من الجوع(٣)، وتمكن الفرنجة من دخولها في شعبان سنة ٤٩٧هـ/ أيار ١١٠٤م(٤).

كما شاركت بيسان بقيادة سيمون باليان Semon Balian في الحصار الذي فرضه بلدوين الثالث ملك بيت المقدس على عسقلان ٥٤٨هـ/١١٥٣م، والذي استمر عدة اشهر(٥).

٣-٤ الصراع بين إقطاعية بيسان الفرنجية وإمارة دمشق:

لعبت إقطاعية بيسان دورا مهما في الصراع بين مملكة بيت المقدس الفرنجية وإمارة دمشق وكانت إقطاعية بيسان وإمارة الجليل قد اعتمدتا على سياسة الهجوم، وشن الغارات على إمارة دمشق، ومحاولة إحكام السيطرة على إقليم السواد التابع لها. ويمكن اعتبار ما قام به شمس الملوك دقاق أمير دمشق عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م،وبمساعدة جناح الدولة صاحب حمص من اعتراض طريق بلدوين الأول Baldwin I أثناء رحيله إلى بيت المقدس لتسلم زمام الحكم فيها، نوعا من المناورة العسكرية التي قصد منها التعبير عن رفض دمشق للسيطرة الفرنجية التي باتت تتأكد يوما بعد يوم على إقليم السواد، حيث التقيا به قرب بيروت، وظفرا به،وقتلا بعضا ممن كانوا معه(٦).

---

(١) الشارتري: ١١٣. وينظر: الصوري: ٤٩٣/١؛ ابن القلانسي: ذيل ١٣٩؛ ابن الأثير: الكامل٢٠٤/٨.
La Monte and Nortoh : The Lords, Medievalia 6/58

* زهر الدولة الجيوشي: يعرف أيضا باسم بنا وهو أخر والي فاطمي على عكا، وقد قام بتسليم المدينة للفرنج بعد أن فشل في الدفاع عنها وسمي بالجيوشي نسبة إلى أمير الجيوش بدر الجمالي. ينظر: ابن القلانسي: ذيل ١٤٤؛ ابن الأثير: الكامل ٣٧٣/١٠؛ سبط ابن الجوزي: ١٩/٨:١.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٢٢١/٨. وينظر: الشارتري: ١٣١؛ الصوري: ٥١٢/١. Albert d'Aix: 601

(٣) ابن جبير : ٢١٣-٢١٤.

(٤) الشارتري : ١٣٢. وينظر: المغربي: ١٠٤-١٠٧.

(٥) الصوري :٨٠٨/٢-٨٠٩. Indrikis: The Teutonic Kinglits, in Setton 5/131

حاول خلالها ابن السلار إرسال المؤن والمعونات للمدينة، إلا أن ذلك لم يجد نفعا مما دفع بحامية عسقلان إلى طلب الأمان، فدخل الفرنجة المدينة في يوم الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى ٥٤٨هـ/١٩ اب١١٥٣م، بعد أن سمحوا للسكان بالخروج سالمين، وباستيلاء الفرنجة على عسقلان تمكنوا من إحكام سيطرتهم على شواطئ الشام وفلسطين من الإسكندرية حتى غزة. ينظر: ابن القلانسي :٣٢١؛ الصوري :٨٢٠/٢-٨٢٢.

(٦) ابن القلانسي : ذيل ١٣٨-١٣٩. وينظر: النويري: ٢٨ / ٢٦٠.

لقد حاول بلدوين الأول ملك بيت المقدس، وهيو دي سانت أومر Hugh de Sant Omer أمير الجليل التوسع في السواد، وإظهار القوة وإقناع أهله بأنهم لا يقلان شراسة، وتصميما في احتلال السواد عن سابقيهما، وقد سنحت الفرصة لهيو لإظهار براعته في محاربة المسلمين حيث نجح بتهديد دمشق ومصالحها بقيامه ببناء حصن علعال*عام ٤٩٩هـ/١١٠٥م فيما بين السواد والبثينية** وكانت هذه القلعة من الحصون الموصوفة بالمنعة والحصانة وقد أدرك ظهير الدين طغتكين مدى خطورة تلك القلعة، وما يمكن أن تشكله من تهديد في المستقبل على إمارته، فلم يسمح ببقائها(١).

سرعان ما تفجر الموقف العسكري من جديد بين إمارة دمشق وإمارة الجليل، وكان من الطبيعي أن تشارك إقطاعية بيسان في هذا الصراع، لأنها جزءا من إقليم الجليل، وفي سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م شاركت إقطاعية بيسان الملك بلدوين الأول Baldwin I في غاراته المتكررة على إقليم السواد، والتي انتهت ببناء بلدوين الأول Baldwin I ملك مملكة المقدس الفرنجية حصنا بينه وبين دمشق(٢) مسيرة يومين مما أثار حفيظة ظهير الدين طغتكين، فأسرع يعد العدة لمحاربة الفرنجة، وجمع عساكره، وخرج إلى مقاتلتهم، فسار بلدوين الأول Baldwin I ملك بيت المقدس لمحاربته، إلا أن هيو أمير الجليل اتخذ على عاتقه محاربة، وصد ظهير الدين طغتكين وبالفعل وقع القتال بين الطرفين، وكان النصر في بادئ الأمر لهيو إذ انهزم أميران من عسكر دمشق، ولكن ظهير الدين استطاع قلب الهزيمة إلى نصر، وانهزم الفرنج إلى حصنهم، فاحتموا به، وتبعهم ظهير الدين إليه وحاصره، وأخذ يحفز الجند ويحضهم على اقتحام الحصن وهدمه، ووعدهم من أتاه بحجر من حجاره الحصن أعطاه خمسة دنانير، وبالفعل تمكن ظهير الدين طغتكين، ورجاله من اقتحام الحصن، وهدمه، وأسر من وجدوه به، وكانوا مائتي فارس، وعاد ظهير الدين طغتكين إلى دمشق منصورا(٣).

---

* علعال:تقع قلعة علعال شمال نهر اليرموك في الهضبة المشرفة على بحيرة طبرية،ولكن الحياري يرى بأنها تقع في موقع قرية علعال (العال حاليا) الأردنية الواقعة على راس وادي الشلالة تقريبا.وتقع علعال الحالية إلى الغرب من واد قليل الانحدار يلتقي بعد مسيرة مسافة قصيرة باتجاه الشمال بوادي عين عبده،ثم وادي عاجوج لتشكل جميعا واديا واحدا يرفد وادي الشلالة.وتقع علعال بين عيني ماء أحدهما في طرفها الجنوبي،وتعرف بعين السكر والأخرى في طرفها الشمالي،وتعرف بعين شيحا.وترتفع حوالي ٤٠٠م عن سطح البحر.ينظر:الحياري:حصن حبيس جلدك١٤٧-١٤٨؛خارطة(١).

** البثينية: مدينة في جنوبي سوريا ضمن منطقة حوران تتبع دمشق من الناحية الإدارية، وتشتهر بالحبوب والقمح. ينظر المقدسي البشاري: ١٥٤،١٦٠؛ ابن القلانسي: ذيل ٢٨.

(١) ابن القلانسي : ذيل ١٤٩. Rey; Les Colonies :48.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٢٣٠. Rey: Les Colonies 48 -49.

(٣) ابن الأثير: الكامل ٨/٢٣٠

في سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م شاركت إقطاعية بيسان في الهجمات التي قام بها جيرفاس* Jerfas أمير الجليل على إقليم السواد، وحوران، وجبل عوف(١)، وكانت تلك الهجمات حافزا لظهير الدين طغتكين على العودة إلى المنطقة من جديد، عازما هذه المرة على توطيد نفوذ دمشق في المنطقة (منطقة شرق الأردن)، وعلى قطع دابر الاعتداءات الفرنجية عليها. وقد تزامن هذا التحرك مع قيام عز الملك** والي صور بالخروج في عساكره إلى حصن تبنين*** التابع للفرنجة، فهاجمه وقتل من فيه ونهب وغنم، ولما علم بلدوين بذلك تحرك إلى بيسان وجمع قواته، واتجه نحو طبرية قاصدا صور، فانتهز ظهير الدين طغتكين تلك التحركات،وتحرك باتجاه أحد الحصون بالقرب من طبرية، وكان فيه جماعة من فرسان الفرنجة، فقاتله وملكه وقتل كل من كان فيه، فعادت القوات الفرنجية التي كانت قد خرجت إلى صور، وتلاقت طلائع الفريقين، لكن الفرنجة تراجعوا إلى طبرية ومنها إلى عكا لما رأوا استعداد المسلمين وقوتهم، وبذلك عاد طغتكين ومن معه من جيوش إلى دمشق(٢).

لقد بلغت الاعتداءات والاستفزازات الفرنجية ذروتها في أحداث سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م حيث تحرك ملك بيت المقدس، وقواته ومن ضمنها قوات بيسان بقيادة آدم Adam صاحب

---

* وجيرفاس: أحد النبلاء الفرنجة وثالث حكام إمارة الجليل، أسره طغتكين ثم قتله رميا بالسهام بعد أن عرض الإسلام عليه فرفض. ينظر: السيد:الجليل ٤٤؛ البيشاوي:الممتلكات ٨٥ Albert d'Aix: 656

(١) ميسر: ٧٨؛ المقريزي: اتعاظ ٣٨/٣. Rey : Les Colonies 51

** عز الملك أنوشتكين: هو الوالي الفاطمي على صور الذي قام بتسليمها إلى ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م بعد ما اشتد الحظر الفرنجي عليها. ينظر:ابن القلانسي: ذيل ١٥١،١٨٣؛ ابن الأثير: الكامل ٤٨٩/١٠ ويعرف في بعض المصادر بسعد الدين كمشتكين. ينظر: ابن ميسر: ٧٨؛ المقريزي:اتعاظ ٣٨/٣.

*** قلعة تبنين (طورون) Toron: تقع هذه القلعة في مقابل ساحل صور، وعلى بعد سبعة عشر ميلا (نحو ثلاثة وعشرين كيلو مترا ونصف) إلى الجنوب الشرقي من مدينة بانياس. وقام ببنائها أمير طبرية والجليل المعروف باسم هيو دي سانت أومر على بعد عشر أميال من مدينة صور، وقد اختلف المؤرخون الفرنجيون حول تاريخ بناء قلعة تبنين فيشير الصوري إلى أن البناء تم سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م في حين يذكر ألبرت أن البناء كان في سنة٥٠١هـ/ ١١٠٧م، ويذكر عاشور أن تاريخ بناء القلعة كان في سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م، لان بناءها ارتبط بتشييد حصن عالي في العام نفسه. وقد سيطر جماعة فرسان الاسبتارية على القلعة سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧ م وفتحها صلاح الدين سنة ١١٨٧م /٥٨٣هـ غير أن الفرنجة عادوا وسيطروا عليها مرة أخرى، وقد دمرها الملك المعظم عيسى سنة٦١٦هـ/ ١٢١٩م، لكن الفرنجة أعادوا بناءها سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وبقيت تحت سيطرتهم حتى استرجعها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦١٣هـ/ ١٢٢٦م. ينظر الصوري: ٤٦٩/١؛ بورشارد: ٥٩ هامش١؛ عاشور : الحركة الصليبية ١١٤٦/٢؛ عوض: الرحالة ١١٦-١١٧.

(٢) ابن القلانسي: ذيل ١٥١. وينظر: سبط ابن الجوزي: ١:٨ /١٩.

الإقطاعية نحو صور، فدفع له واليها سبعة آلاف دينار، فرحل عنها إلى صيدا، ولكن حاكم دمشق طغتكين وقف إلى جانب المدينة الإسلامية المحاصرة، وساعدت إسهاماته في إنهاء الحصار عن تلك المدينة، وفي طريق عودته إلى دمشق انعطف بقواته نحو إقليم الجليل، حيث دارت معركة قوية أسفرت عن هزيمة القوات الفرنجية في الإقليم ودخول طغتكين إلى بيسان ونهب ما بها من الغلال والمواشي(١).

تعد هذه الغزوة من الغزوات المهمة التي قادها ظهير الدين طغتكين ضد إقطاعية بيسان بشكل خاص وإقليم الجليل بشكل عام، فقد أدى الانتصار الإسلامي إلى كشف المدن الفرنجية أمام المسلمين، حيث أصبحت في متناول أيديهم واضطر بلدوين Baldwin I إلى الحضور إلى إمارة الجليل، وقام على ترتيب أوضاعها بنفسه،ثم شن هجوماً على إقليم السواد، وجبل عوف شاركت فيه بيسان بشكل واضح إذ انطلق منها بعد أن جهز جيشه بالمؤن والذخائر من مخازنها(٢) واستطاع أن يحقق نجاحاً بأن عقد هدنة الدماشقة سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م لمدة أربع سنوات، لتوفير الأمن لإمارة الجليل ومن ضمنها بيسان من الهجمات الإسلامية عليها. وقد نصت تلك الإتفاقية على تقاسم أرباح السواد وجبل عوف أي قطاع عجلون حالياً مثالثة: ثلث لدمشق وثلثان للفرنجة والفلاحين(٣).

لقد علق ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) على هذه المعاهدة بقوله :" وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج قد بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتي ذكرها أمراً عظيماً"(٤)، ثم طرأ تعديل مهم على هذه الاتفاقية بعد مرور حوالي العامين على إبرامها، حيث قام بلدوين بنقض تلك الهدنة سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م وجمع قواته وقصد السواد غير مبالٍ بالمسلمين، وعلى الفور تحرك ظهير الدين طغتكين عندما علم بتحركاته، ونزل في موقع رأس الماء*، ثم رحل عنه إلى اللجاة**، فنهض الفرنجة في أثره إلى الصنمين، ففرق طغتكين عساكره عليهم من عدة جهات، وتمكن من قطع الطريق على ملك بيت المقدس بلدوين الأول، ومنع وصول التموين إليهم، وضايقهم مضايقة ألجأتهم إلى الدخول في حكم المسالمة

---

(١) ابن القلانسي: ذيل ١٦١-١٦٢. وينظر: ابن الأثير:الكامل ٢٥٥/٨-٢٥٦ ؛ سبط ابن الجوزي٨:٢٥/١؛الذهبي: العبر ٣٨٣/٢ ؛ الحريري: ١٧-١٨.

(٢) Rey: Les Colonies 55; Prawer : The Latin 23

(٣) ابن القلانسي : ذيل، ١٥١. وينظر: سبط ابن الجوزي:٢٨/١:٨؛ الصوري: ٤٦٩/١-٤٧٠؛ الحريري: ١٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٢٥٥/٨-٢٥٦.

* رأس الماء: ميدان فسيح للحروب في حوران على بعد نحو عشرين ميلاً شمالي درعا.ينظر:الأصفهاني الفتح ٥٩.

** اللجاة: اسم للحرة السوداء بحوران ينظر:الحموي، ياقوت: معجم البلدان ١٣/٥.

والموادعه، وترددت المراسلات في ذلك الوقت إلى أن عقدت الهدنة بينـــهم. ورغـم أن هــذه الحادثة لا يوجد فيها ما يجبر طغتكين على تقديم تنازلات جديدة للفرنجة، إلا أنه قد قدم تنازلات جديدة ومهمة بحيث نصت المعاهدة المعدلة للمعاهدة السابقة على أن يكون لبلدوين النصف مــن ارتفاع جبل عوف والسواد والحيانية* (جبل جرش) مضافاً إلى ما كان تحت يده. وبعد أن أقرت المعاهدة عاد كل منهما إلى بلده(١)، وهذا ما دفع الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) إلى القول: "بأنهم هادنوه على حيف عليهم وإذلال"(٢).

لقد جاء توقيع هذه الإتفاقية تتويجاً لاستراتيجية الحرب الخاطفة التي اعتمدها الفرنجة في هذه المرحلة، والتي تمكنت من خلالها إقطاعية بيسان من توسيع نفوذها شــرقي نــهر الأردن، وجنوب نهر اليرموك بإقامة حصن حبيس جلدك، والذي اتخذه الفرنجة مركزاً للإشراف علـــى جمع حصتهم من غلات المنطقة، ولمراقبة تحركات القوات الدمشقية باتجاه حدود مملكة بيــت المقدس الفرنجية(٣). واستمرت تلك المعاهدة حتى عهد صلاح الدين فقد أكد ذلــك ابــن جبــير (ت ٦١٤هـ/١٢٣٧م) الذي قال :" إنه في تلك الجهات كان بين الفرنج والمسلمين حد يعــرف بحد المقاسمة فهم يتشاطرون الغلة على استواء ومواشيهم مختلطة"(٤).

كذلك يجب أن لا ننسى أن إمارة دمشق قد حققت بعض المكاسب من جراء توقيع تلــك المعاهدة، فقد بقيت محتفظة بسهل حوران الذي يؤمن لأهل دمشق غذاءهم من القمح والعلــف، لكون أراضي الغوطة منطقة بســاتين ولا تفي بالحاجات الغذائية للسكان(٥)،وقد كان متوقــعاً لهذه الاتفاقية أن تضفي جواً من المودة والسلام بين الطرفين، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، فقد استمرت الاعتداءات الفرنجية المتكررة على أراضي السواد، ومن ذلك ما يشير إليه الحريــري (ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م)من أن قوة فرنجية هاجمت قافلة تجارية كبيرة كانت تسير من دمشق إلــى مصر، وقد تعرضت القافلة من جراء تلك الغارة للنهب،ويبدو أن تلك الاعتداءات على القوافل قد

---

* الحيانية: يرى ياقوت بأنها كورة جبل جرش قرب الغور ويرى الحياري أنه لم يعرف موقعها المحدد، ويبدو أنها منحت في زمنه -أي ياقوت- إلى ولاية عجلون وان ما يشتمل عليه جبل جرش هو ضياع وقرى لا مدينة أو قصبة ويخــالط جبل عوف.ينظر:الحموي ياقوت:معجم البلدان ٢/١٢٧،٣٢٧؛الحياري: جندا فلسطين والأردن ١٢ هامش ٢٣.

(١) ابن القلانسي: ذيل ١٧٤. وينظر: سبط ابن الجوزي: ٨:١/٣٥.

(٢) الذهبي : دول الإسلام ٢/٢٣.

(٣) وينظر : الحياري : حصن حبيس جلدك ١٤٩-١٥٠. Smail: Crusading Warfare 217

(٤) ابن جبير: ٢١١.

(٥) السمعاني: ٤/٣٣. وينظر: اليسييف: المملكة اللاتينية في القدس ٢٢٣.

تزايدت حيث يذكر الحريري في معرض تعليقه على الخبر بقوله:"وانقطعت السبل بالملاعين"(١).

بادرت القوات الفرنجية إلى مهاجمة مدينة صور الفاطمية سنة ٥٠٥هـ/١١١١م قبل أن يمض عام على توقيع المعاهدة، حيث جمع بلدوين Baldwin قواته وتوجه برفقه ابن هيو Hugh سيد بيسان نحو مدينة صور، مما اضطر الأهالي إلى طلب المساعدة من أمير دمشق ظهير الدين طغتكين، الذي استجاب لندائهم على الفور، وأرسل بقواته لمساعدتهم، ثم خرج بنفسه على رأس قواته إلى بانياس حيث خيم هناك، وبث سرايا الجند في بلاد الفرنجة لعله بذلك يدفع الفرنجة إلى تخفيف الحصار عن صور مما يمكنه من إدخال تعزيزات جديدة إلى المدينة، لكن خطته فشلت نظراً لإحكام الحصار حول صور(٢).

استغل عندها انشغال كل قوات مملكة بيت المقدس بحصار صور، وهاجم حصن حبيس جلدك بجزء من قواته، وحاصره، وقاتل من فيه حتى استولى عليه بالقوة، فقتل من كان فيه من الجند(٣).

شرع ملك بيت المقدس بشن غارات على أراضي حوران والسواد كرد انتقامي على ما حدث، وكان من الطبيعي أن تشارك إقطاعية بيسان بمثل هذه الغارات، وخصوصاً وأنها خسرت جزء من أراضيها المتمثلة بحصن حبيس جلدك سنة ٥٠٥هـ/١١١١م، وقد أسفرت تلك الغارات عن إحداث أضرار جسيمة في الإقليم، مما دفع بأمير دمشق في محاولة منه لوقف تلك الاعتداءات، إلى الاستنجاد بالقوى الإسلامية المجاورة(٤).

شاركت إقطاعية بيسان مع مجموعة من التشكيلات العسكرية من مختلف الإقطاعيات الفرنجية بقيادة ملك بيت المقدس في شن غارة واسعة النطاق رداً على غارة ظهير الدين طغتكين على مناطق طبرية وبيسان(٥)، وهنا وتجنباً للمعركة، ولأسباب غير معروفة، انسحب ظهير الدين طغتكين من وجه القوات الفرنجية، التي أخذت تلاحقه مدة يومين إلا أن انسحابه دفع بالملك بلدوين الثاني Baldwin II وأمراء الإقطاع إلى التقدم إلى قلعة حصينة كان ظهير الدين طغتكين قد أمر بتشييدها في سنة ٥١٤ هـ/١١٢٠م بقصد التصدي للقوات الفرنجية، وتعرف

---

(١) الحريري: ١٨.

(٢) Richard : The Latin 35-36

(٣) ابن القلانسي: ذيل ١٧٨؛ابن الأثير : الكامل ٨/٢٦٣-٢٦٤؛ سبط ابن الجوزي: ٣٨/١:٨-٣٩؛ الحياري: حصن حبيس جلدك ١٥٠-١٥١.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٢٦٧؛ سبط ابن الجوزي: ٤١/١:٨-٤٢.

(٥) Rey: Les Colonies 105-107; Richard : The Latin 200.

باسم قلعة جرش*، وقد حاصر الفرنجة القلعة وتمكنوا من الاستيلاء عليها بالقوة بعد أن سمحوا لحاميتها المؤلفة من أربعين رجلاً بالمغادرة، ولما كان الملك يدرك مدى المشقة التي واجهها في الاستيلاء على ذلك الموقع، ومدى صعوبة تزويدها بالرجال والمؤونة اللازمة أمر بتدميرها(١). ويتبين من تلك الحملة تراجع الموقف العسكري الإسلامي أمام الفرنجي بحيث تمكنت تلك القوة من التجول في المنطقة وتخريب تحصيناتها دون أن تلقى أي مقاومة تذكر.

على أية حال استمرت الغارات الفرنجية على منطقة حوران والسواد بهدف السلب والنهب إلى أن وصلت قوة بحرية كبيرة من البنادقة سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م شاركت إلى جانب قوات مملكة بيت المقدس الفرنجية بالإستيلاء على صور في شهر محرم/شباط من السنة نفسها(٢).

ومن الواضح أن نجاح الفرنجة في ضم صور لحوزتهم قد جعلهم يستهينون بالمسلمين فلم يعد هؤلاء يحفلون بهم أو يشعرون بأية رهبة منهم فبعد احتلال صور لوحظ أن أطماع الفرنجة قد اتسعت فأخذوا يوجهون غاراتهم نحو دمشق بغية الإستيلاء عليها.

يقع ضمن هذا التوجه، الحملة التي قام بها بلدوين الثاني Baldwin II ملك بيت المقدس يساعده فيها هيو Hugh سيد بيسان في ٢٧ ذي القعدة ٥٢٠هـ/ ١٥ كانون الثاني سنة ١١٢٦م، فحشد الملك قواته، وسلك طريق بيسان وتقدماً ناحية حوران(٣)، ثم أسرع بعد ذلك في الإغارة على الجهات القريبة من دمشق ومضايقتها، وقطعت قواته طرق الواردين عليها، وقد أثارت تلك الأعمال العدوانية نقمة أمير دمشق الذي استنجد بأمراء التركمان لمساعدته في دفع ذلك الخطر المحيق بعاصمة إمارته. وتحرك على رأس قواته بعد أن أخذت النجدات تتقاطر إليه، فاجتمع له منها خلق كثير، ولما عرف الفرنجة بتحركاته، ونزوله على مرج الصفر رحلوا إليه، وخيموا

---

* جرش: اسم لمدينة عظيمة كانت وهي الآن خراب وبها آبار عادية تدل على عظم، قال: وفي وسطها نهر جارٍ يدير عدة رحى أمره إلى هذه الغاية، وهي في شرقي جبل السواد من ارض البلقاء وحوران من عمل دمشق، وهي في جبل يشتمل على ضياع وقرى بأقل للجميع جبل جرش وتبعد قلعة جرش ١٦ ميل عن نهر الأردن أمر بتشييدها طغتكين سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، اشتهرت فيما مضى في بلاد العرب باسم جراسا وهي تقع على مقربة جبال جلعاد شيدها انطوخيوس الرابع (١٧٦-١٦٤ق.م) وسماها في بداية الأمر إنطاكية نسبة إليه، وبعد ذلك دعيت جراسا أو جرازا ومنها جاء الاسم الحالي جرش .ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٢/١٢٧،٣٢٧؛ الشارتري : ١٩١-١٩٢؛ بورشارد:٨٠.

(١) الشارتري : ١٩١. Richard: The Latin 201

(٢) ابن الأثير: الكامل ٨/٣١٥. وينظر: الصوري: ٢/٦٢١-٦٢٧.

Nicholson,R: The Growth the Latin States, in Setton,vol.1 421

(٣) الشارتري : ٢٣١. Richard: The Latin 203-204

بإزائه، وجرت في البداية مناوشات بين الطرفين، أظهرت رجحان كفة المسلمين مما حمل القوات الفرنجية على التراجع إلى الوراء، فتبعها القوات الإسلامية، وهنا قام الفرنجة بحركة التفاف على القوات الإسلامية بحيث أفقدتها توازنها، فتحول النصر إلى هزيمة، وأخذت القوات الفرنجية تطارد المسلمين حتى وصلت مشارف دمشق، لكنهم عادوا، وتراجعوا خوفاً من الوقوع في كمائن ينصبها لهم المسلمون(١).

في منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي حدثت تطورات سياسية، وعسكرية جديدة في بلاد الشام الجنوبية، أدت إلى تغيير ميزان القوى والتحالفات بين أطرافها، فحتى ذلك الوقت كان طرفا الصراع الرئيسان إمارة دمشق، ومملكة بيت المقدس اللاتينية، إلا أن ظهور عماد الدين زنكي ورغبته في مد نفوذه إلى دمشق أدى إلى عقد التحالفات بين دمشق والفرنجة ضده لأنه أصبح يشكل تهديداً لكلا الطرفين وخاصة دمشق، ذلك أنه حدث في ٥٣٤هـ/١١٣٩م أن حاول ملك القدس فولك أوف أنجو Fulk of Anjo أن يفيد من الفتن والاضطرابات التي وقعت بين أهل دمشق لتوطيد سلطاته في إقليم الأردن، فأغار الملك ومعه توماس Thomas سيد بيسان على ذلك الإقليم(٢)،واستولى على حصن صغير قرب عجلون بعد أن بذل جهداً شاقاً في الإستيلاء عليه، فأمر بقتل المدافعين عنه وهنا عرض معين الدين* أنر حاكم دمشق الفعلي دفع جزية شهرية مقدارها عشرون ألف دينار،وإعادة حصن بانياس** مقابل التحالف بين دمشق، والقدس لرد عماد الدين زنكي عن دمشق فوافقه على ذلك(٣).

في عام ٥٤٣ هـ/١١٤٨م أخذت نذر الحرب تتجمع، فقد عقد في ٤ صفر٥٤٣هـ/ ٢٤ حزيران ١١٤٨م إجماعاً قرب عكا لهيئة المحكمة العليا ومجلس عرش بيت المقدس لبحث إمكانية الاستيلاء على دمشق، وقد اشترك فيه كونراد ملك الألمان، ولويس السابع ملك فرنسا، وبلدوين الثالث Baldwin III ، ووالدته وليستر Welstr، وعدد كبير من الدوقات، والأساقفة، والأعيان، والأمراء، ومن بينهم هيو Hugh سيد بيسان، وبعد نقاش طويل توصل المجتمعون

---

(١) ابن القلانسي: ذيل ٢١-٢١٣. وينظر: الشارتري: ٢٣١-٢٣٣؛ الصوري: ٦٣١/٢-٦٣٥ .

(٢) Indrikis:The Teutonic Kinghts in the Crusader; in Setton 5/ 140-141

* معين الدين أونر:هو اتابك مجير الدين بن ابق (٥٣٤-٥٤٩هـ/١١٣٩-١١٥٤م) والحاكم الفعلي في عهده، ووالد خاتون زوجة السلطان نور الدين زنكي توفي بدمشق سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م. ينظر:ابن القلانسي: ذيل٣٠٦؛ ابن الأثير: الكامل ١٤٧/١١؛ ابن خلكان: ٢٩٧/١.

** بانياس : حصن إلى الجنوب الغربي من دمشق ويوجد بها نهر عرف باسمها . ينظر: بورشارد:٤٩؛ المقريزي: السلوك ٦٧/١:١؛ الدباغ : ٤٢/١:٦.

(٣) ابن القلانسي: ذيل ٢٧٢ . وينظر: ابن الأثير: الكامل ٣٦٧/٨؛ ابن واصل : ٨٨/١-٨٩.

إلى قرار بمهاجمة دمشق(١) رغم تجدد الهدنة بين بيت المقدس ودمشق في معظم الأحيـان، وأن هذا القرار سيدفع دمشق لتوجه بطلب المساعدة من نور الدين للوقوف في وجه هذه الحملة(٢).

على أية حال احتشدت القوات الفرنجية من مختلف إمارات وإقطاعيات ومدن المملكـة ومن ضمنها إقطاعية بيسان في طبرية، ثم زحفت منها نحو دمشق فوصلتها في السـادس مـن شهر ربيع الأول سنة ٥٤٣هـ/٢٤ تموز ١١٤٨م، وكانت أعدادهم تناهز الستين ألـف راجـل وعشرة آلاف فارس، ولم يشعر بهم أهل دمشق إلا وقد خيموا في المزة، فخرجت قوات معيـن الدين ومجير الدين للقائهم، وكانت تقدر بمائة ألف راجل سـوى الفرسـان(٣)، إلا أن القـوات الفرنجية فشلت في تحقيق هدفها ورجعت مهزومة لخلاف وقع بينهم(٤).

هذا فيما يتعلق بالدور الذي لعبته إقطاعية بيسان الفرنجية في محاربة المسـلمين، أمـا بالنسبة لدورها في الدفاع عن المملكة ضد المسلمين، فالحقيقة أن دورها في الدفاع عن مملكـة بيت المقدس لا يقل أهمية بأي حال من الأحوال عنه في محاربـة المسـلمين وخصوصـاً أن إقطاعية بيسان وما حولها من القلاع كانت تمثل خط الدفاع الأول عن مملكة بيت المقدس ضـد أي خطر قادم، بسبب وقوعها على الطريق القادم من طبرية إلى بيت المقدس، ومن نهر الأردن إلى عكا.

تعرضت إقطاعية بيسان لسلسة من الهجمات كانت في المرحلة الأولى منها عبارة عـن رد فعل لما قام به بلدوين الثاني Baldwin II ملك بيت المقدس من الاعتـداءات علـى إقليـم السواد، ثم تحولت في المرحلة الثانية إلى حرب تحريرية عندما خرج صلاح الدين من مصـر إلى بـلاد الشـام، وتمتاز هذه المرحلـة باستعادة المسلمين لزمام المبـادرة، وبـدء تحـول موازين القوى لصالحهم. وسنعرض فيما يلي عناصر رد الفعل الإسلامي تجاه إقطاعية بيسـان فقد باشر دقاق أمير دمشق بالهجوم على إقليم الجليل لوقف العدوان والتوسـع الفرنجـي فـي سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م حيث تمكن من كسر القوات الفرنجية ونهب أموالهم(٥)، وعندها استغلـت القبائل انشغال قوات إمارة الجليل بمواجهة دقاق، فبادرت من طرفها بمهاجمة بيسان، وقتل عدد من السكان الفرنجة، ونهبت الغـلال والمواشي، وغنم المسلمون غنائم كثيرة(٦)، كما كانت هذه

---

(١) الصوري : ٧٧٨،٧٧٧/٢. وينظر : ماير: تاريخ الحروب ١٥٦. Rohricht:Reyesta 47

(٢) اليسيف : المملكة اللاتينية ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) ابن قاضي شهبة : ١٢٦؛ مجهول :أخبار الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية ٥٢٢.

(٤) ابن القلانسي: ذيل ٢٩٨-٣٠٠. وينظر: ابن قاضي شهبة: ١٢٦-١٢٧؛ ابن واصل: ١١٣/١.

(٥) الفارقي : ٢١٧.

(٦) الشارتري: ١٤٨ . Cf.also : Prawer : The Latin 178

القبائل توجه هجمات خاطفة وسريعة إلى إقطاعية بيسان في كل فرصة يرونها مواتية لهم، وقد وصف الشارتري هذه الهجمات بأعمال لصوصية(١).

كما أنهم قاموا بالهجوم على إقطاعية بيسان، ويتضح هذا من خلال الهجوم الذي قام به ظهير الدين ظغتكين على قلعة علعال سنة ٤٩٩ هـ/١١٠٥م حيث انشغلت القوات الفرنجية بالتصدي له، وقد حققت هذه الهجمة من قبل القبائل والعرب المسلمين نجاحاً إذ تمكنوا من قتل عدد من المستوطنين الفرنجة، ونهب أسواق المدينة وحرق بعض المحاصيل(٢).

لقد انتهزت قوات دمشق فرصة انسحاب الملك نحو الجنوب لمواجهة الهجمات الفاطمية، وقامت بشن غارة على إقطاعية طبرية وبيسان توافقت مع غارة والي صور على حصن تبنين، فخرج جيرفاس أمير الجليل لصد تلك الغارة، والتقى مع المسلمين في معركة حامية، قتل فيها عدداً كبيراً من أتباعه،وقد أسفرت تلك المعركة أيضاً عن أسر جيرفاس، حيث اقتيد إلى دمشق ولقي حتفه هناك(٣) لكون الثمن الذي طلب من الملك لإنقاذه من الأسر التخلي عن مدن طبرية وبيسان وعكا وحيفا، فرفض الملك ذلك العرض(٤).

لقد بينت سابقاً كيف ثار ساسة بيت المقدس عندما علموا بأن والي صور سلّم المدينة إلى دمشق، مما حذا بهم إلى أن شرعوا بشن غارات انتقامية مدمرة على إقليم السواد(٥) الأمر الذي دفع بطغتكين إلى الاستنجاد بالإمارات الإسلامية لوقف تلك الاعتداءات(٦). وكان من بين الذين استجابوا لذلك النداء الأمير مودود أمير الموصل، والأمير تمرك صاحب سنجار والأمير ايـاز ابن ايلغاري(٧).

وصلت أخبار تلك التحركات إلى ساسة بيت المقدس فقلقوا منها، حيث أوعز بلدوين Baldwin ملك القدس إلى جوسلين Jousllen سيد الجليل بالاتصال مع ظهير الدين طغتكين عارضاً عليه توقيع هدنة بين الطرفين، يقوم الفرنجة بموجبها بالتنازل عن حصن تبنين وجبل عامله على أن يُعَوض عن ذلك بحصن حبيس جلدك ونصف السواد، ويضمن سيد الجليل الوفاء بالمعاهدة المقترحة، مع عدم التعرض لأراضي دمشق، وبالمقابل تلتزم دمشق بعدم

---

(١) الشارتري: ١٤٩-١٥١.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٢٣٠/٨. وينظر: العظيمي: ٣٦٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٩٢/٥.

(٣) ابن القلانسي: ذيل ١٦١-١٦٢. وينظر: ابن الأثير: الكامل ٢٥٥/٨-٢٥٦؛ سبط ابن الجوزي : ٢٥/١:٨.

(٤) Albert d'Aix : 657-658

(٥) ابن الأثير: الكامل ٢٦٦/٨.

(٦) سبط ابن الجوزي: ٤١/١/٨-٤٢.

(٧) ابن الأثير: الكامل ٢٦٦/٨ . وينظر: ابن كثير: ١٧٥/١٢-١٧٦.

التعرض للأراضي الفرنجية، فرفض طغتكين تلك العروض(١). مما يشير إلى التحسن الملحوظ في الموقف العسكري لدمشق، نتيجة للتنسيق الفعال بين القوات الإسلامية، ومما رفع من معنويات ظهير الدين طغتكين تحرك القوات الإسلامية التي كان يقودها الأمير مودود ووصولها إلى مشارف الشام، فخرج طغتكين للقائها والترحيب بها والتقى بهم على مرج سلمية، وبعد التشاور فيما بين الأمراء المسلمين اتفقوا على التوجه إلى الأراضي الفرنجية، فنزلا يوم عيد الأضحى على قدس*، ثم سارا منها إلى عين الجر** بالبقاع ومنها إلى وادي التيم ثم إلى بانياس(٢).

وفور وصول الخبر إلى بلدوين Baldwin سارع إلى الاستنجاد بالإمارات الفرنجية في بلاد الشام، فطلب النجدة من روجر دي سالرنو Roger de Salrnow أمير أنطاكية*** ، ومن بونز Bons**** كونت طرابلس، وأسرع هو من عكا إلى طبرية لمواجهة الحشود الإسلامية(٣).

لقد بذل الأمراء المسلمون جهداً كبيراً في الإعداد لهذه الحملة، ولجأوا إلى خداع القوات الفرنجية، حيث قسمت القوات الإسلامية إلى قسمين: قسم ثانوي اتجه إلى ناحية حصن ثمانين (قلعة تبنين) للتمويه على الفرنجة عن هدف الحملة الحقيقي، لكنها لم تظفر بشيء وعادت فيما بعد للانضمام إلى القوات الرئيسة(٤)، والقسم الآخر اتجه إلى شرق طبرية، حيث عسكر في

---

(١) ابن القلانسي: ذيل ١٨٤.

* قدس: بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة واليه تضاف بحيرة قدس : ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٣١١/٤.

** عين الجر: موضع بالبقاع بين بعلبك ودمشق . ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ١٧٧/٤.

(٢) ابن القلانسي: ذيل ١٨٥. وينظر: ابن الأثير: التاريخ الباهر ٦٩.

*** روجر دي سالرنو Roger de Salrnow: هو روجر بن رتشارد الأمير الوصي على الرها ٤٩٨-٥٠٢هـ/١١٠٤-١١٠٨م، وابن أخت تانكرد أمير الجليل وأنطاكية خلف تانكرد في الوصاية على أنطاكية سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م-٥١٣هـ/١١١٩م، قدم مع والده في الحملة الفرنجية الأولى. ينظر: الشارتري:١٧٨؛ الصوري:٥٤٧/١.

**** بونز Bons: هو بونز بن برترام بن ريموند قدم مع والده إلى طرابلس مع الأسطول الجنوي وتزوج، بونز من أرملة تانكرد في ١٥ آب ١١١٣م/٥٠٧هـ. ينظر: الصوري ٥٣٠/١،٥٤٧.

(٣) الشارتري: ١٥١. وينظر: الصوري : ٥٤٨/١.

(٤) ابن القلانسي: ذيل ١٨٥.

منطقة الأقحوانة*(١)، ولما علم بلدوين بهذه التحركات أثناء سيره إلى طبرية أكمل سيره إليها،ومنها توجهوا جميعاً إلى منطقة تقع إلى الغرب من نهر الأردن حيث رأس جسر الصنبرة،والذي يقع جنوب شرق قرية الصنبره** بين بيسان وطبرية حيث يبعد عن بيسان حوالي ١٢كم وعن طبرية حوالي ٣٠كم(٢).

قررت القوات الفرنجية المبادرة بإنفاذ جزء منها للقاء المسلمين، واحتفظت بالجزء الأعظم مع أثقالهم، وإمداداتهم في غربي الجسر، ولكن المحاولة فشلت بسبب تركز القوات الإسلامية في الأقحوانة، التي في المقابل قامت بتحريك فرقة استطلاع لعبور الجسر، والقيام بعمليات الاستطلاع، لتوهم الأعداء بأنها تقوم بجمع الأعلاف والزرع، فتنبه الفرنجة إلى ذلك، ونشبت معركة بين فرقة الاستطلاع الإسلامية، والقوات الفرنجية(٣) وقد أوضح الشارتري أن غرض تلك الفرقة كان إيقاع الجيش الفرنجي في كمين(٤). وبالفعل تم ذلك، واشتد القتال، وصبر الفريقان، وكانت أعداد القوات المتصارعة تبلغ من الكثافة ما جعل القتال يأخذ شكل الالتحام المباشر، وبعد ثلاث جولات ولى بلدوين هاربا، وأنزلت القوات الإسلامية بالقوات الفرنجية مذبحة مريعة وأسرت الكثير، وحتى الملك نفسه وقع بالأسر، ولم يعرفه أحد فأخذ الذي أسره سلاحه، وأطلق سراحه فنجى جريحا(٥)، وغرق من الفرنج في بحيرة طبرية، ونهر الأردن، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ووصل الفرنج إلى مضيق دون طبرية، فلقيهم عسكر

---

(١) الشارتري: ١٥١ . وينظر العسلي: فن الحرب ٥٠ .

* والأقحوانة: هي المنطقة الواقعة ما بين نهر الأردن وبين جنوب نهر الأردن، فيصف الشارتري هذا الموقع بأنه جزيرة حصينة فلا يقدر أحد أن يهاجم من اتخذ موقعا فيها بسبب ضيق مداخل الجسرين، ويرى غوانمة أن الأقحوانة تقع شمال الأردن في المنطقة المحصورة بين أم قيس إلى الشونة الشمالية مع المنطقة التي تقابلها من الأغوار. ينظر: الشارتري: ١٥٠-١٥١؛ غوانمة: إمارة الكرك ١٥٥.

(٢) الدباغ: بلادنا ٦:٢ /٤٣٦.

** قرية الصنبره: ورد الاسم بأشكال مختلفة منها سن النبرة (sinnen nabrah) أو صنبرا (senbra) وتقع قرية الصنبره جنوب بحيرة طبرية، ويحدها من الشمال الغربي قرية سرجون، ومن الغرب قرية سارونة، ويقع جسر الصنبرة جنوب غرب القرية. وكانت قرية الصنبره تزين الغور الفلسطيني بجمالها وقصورها وخصبها ففيها كان يقيم خلفاء بني أمية في فصل الشتاء ومنهم معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك وبقية الأمراء. ينظر المسعودي: مروج الذهب ٦:٢/٤٣٦ . أما جسر الصنبره الذي يحمل اسم القرية فيقع جنوب غرب بحيرة طبرية، ويعرف باسم جسر خربة الكرك أو جسر السد. ينظر: الدباغ : بلادنا ٦:٢/٤٣٦؛ عاشور: الحركة الصليبية ٣١١/١.

(١) ابن القلانسي: تاريخ ١٨٥. وينظر: ابن الأثير: التاريخ الباهر ٦٩؛ العسلي: فن الحرب ٥١.

(٢) الشارتري: ١٥١.

(٣) الحريري: ٢١. وينظر: الذهبي: دول الإسلام ٢٤/٢؛ رنسيمان: تاريخ ٥٠٥/٢-٥٠٦؛ العسلي: فن الحرب ٥١.

طرابلس، وأنطاكية، وكان ذلك في ١١ محرم سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م(١).

عادت القوات الفرنجية للحرب بعد وصول الإمدادات، فطوقهم المسلمون، وأحاطوا بهم من كل ناحية، وصعد الفرنج إلى جبل غرب طبرية، فأقاموا به ستة وعشرين يوماً، والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب، فجرح العديد منهم، ومنعوا الميرة عنهم ليجبروهم للخروج إلى القتال، فلم يخرج منهم أحد(٢)، ثم تحركت القوات الإسلامية إلى بيسان، وبثت الوحدات المقاتلة إلى المناطق الفرنجية المجاورة(٣)، وكان يشاركهم أهالي البلاد من المسلمين في أعمال النهب والتخريب، وقد وصلت هذه الوحدات إلى نابلس، وأطراف عكا حيث أوقعوا خسائر فادحة بالفرنجة، وأشعلت الحرائق ونهبت القرى، مما دفع بالفرنجة إلى التحرك نحو بيسان لمحاربة الجيوش الإسلامية هناك، إلا أنهم لم يجرءوا على الاقتراب، وبعد خمسة أيام من المصاف في بيسان دون قتال انسحبت الجيوش الإسلامية بسبب شدة الحر التي تشتهر بها منطقة الغور بوجه عام وبيسان بوجه خاص(٤).

هنا كان واضحاً وقوف أهالي منطقة بيسان إلى جانب القوات الإسلامية التي هاجمت مملكة بيت المقدس اللاتينية، حين انضم سكانها المسلمون إلى كتائب الجيوش الإسلامية، ودورهم المهم في تزويد القوات الإسلامية بالمؤن والسلاح، فضلاً عن مساعدتهم في كشف عورات الجيش الفرنجي، كما شاركوهم بأعمال التخريب والتدمير ضد المواقع والقرى الفرنجية، وقد استمرت هذه الحملة قرابة السبعين يوماً من ١١ محرم -٢١ ربيع الأول سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م(٥) بعد أن ألحقت بالفرنجة خسائر فادحة، إذ قدر عدد القتلى فيها بألفي رجل من الأعيان ووجوه الأبطال حسب تقديرات المصادر الإسلامية(٦) وبثلاثين فارساً وألف ومائتين من الرجال، حسب تقديرات المصادر اللاتينية(٧).

ولدى استعراض نتائج معركة الصنبره يتضح أنها كانت من أهم المعارك التي خاضها القادة المسلمون في هذه المرحلة من مراحل الصراع الفرنجي الإسلامي، وقد أظهرت العديد من

---

(١) الصوري: ١٨٥. وينظر: ابن القلانسي: ذيل ١٨٥؛ سبط ابن الجوزي: ٤٣/٨.

(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر ٦٩. وينظر: الشارتري: ١٥٢.

(٣) ابن الأثير:التاريخ الباهر٦٩.وينظر:الشارتري: ١٥٢؛ الصوري:٥٤٩/١؛ العسلي:فن الحرب ٥٢.

(٤) ابن الأثير:التاريخ الباهر ٧٠. وينظر:الشارتري:١٥٣. Richard :The Latin 1/31-33

(٥) ابن القلانسي : ذيل ١٨٦-١٨٧. وينظر:سبط ابن الجوزي : ٤٢/١:٨-٤٣؛براور:عالم الصليبيين ٦٨.

(٦) ابن القلانسي: ذيل ١٨٦-١٨٧. وينظر:سبط ابن الجوزي: ٤٣/١:٨.
Anonymus:Secundapars,Historia 571

(٧) الشارتري: ١٥٢. وينظر : الصوري : ٥٤٨/١.

النتائج لعل من بينها ما لخصه ابن كثير في معرض تعليقه على تلك المعركة بقوله:" هزم المسلمون الفرنج هزيمة فاضحة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا أموالاً جزيلة وملكوا تلك النواحي كلها"(١).

كما استطاعت هذه الحملة الاستيلاء على بيسان ونابلس(٢) وأبرزت معركة الصنبرة بما لا يدع مجالاً للشك أن النجاح الفرنجي في احتلال أراضي المسلمين، كان سببه حالة الفرقة والضعف التي كان عليها المسلمون، ولذلك حينما نجح قادة المسلمون في إيجاد نوعاً من التفاهم والتنسيق بينهم، تمكنوا من زعزعة الكيان الفرنجي.

على أية حال يمكننا أن نقول أنها كانت وابلاً على الإقطاعية بشكل خاص، وعلى مملكة بيت المقدس بشكل عام إذ أنها ألحقت أضراراً جسيمة في أراضي الإقطاعية والمملكة بشكل عام، كما وتبعها كوارث طبيعية حلت بمملكة بيت المقدس، من انتشار الأوبئة والذي نجم عن القتلى الذين تركوا في ساحة المعركة(٣).

في سنة ٥١٣ هـ/١١١٩م انتهز طغتكين فرصة وصول الأسطول الفاطمي إلى عسقلان، فتحرك من دمشق إلى شرق الأردن وعبر النهر بالقرب من بيسان وعندها كان بلدوين الثاني Baldwin II على علم بهذه التحركات، فأسرع ومعه البطريرك، والتقيا معه في حقول بيسان، واستطاع إجباره على الانسحاب منها إلى شرقي النهر دون أن تذكر لنا المصادر وقوع قتال بينهم(٤).

منذ وفاة طغتكين سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م لم تتعرض الإقطاعية لأي هجوم من قبل دمشق حتى بروز عماد الدين زنكي والذي قام سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م بمهاجمة قلعة بعرين أو بارين* بقوة ضخمة مما اضطر الملك الجديد فولك أوف أنجو Fulk of Anjo إلى التحصن داخل القلعة فاستغل حاكم دمشق بزواش** تلك الأحداث، فقام باجتياح المملكة بقوات ضخمة عبر طبرية،

---

(١)سبط ابن الجوزي: ٨:١/٤٢-٤٣؛ ابن كثير : ١٢/١٧٦. Rohricht: Regesta 101-102

(٢) الشارتري: ١٥٢.

(٣) الصوري: ١/٥٧٦-٥١٧. Cf.also: Beasant and Palmer : Jerusalem of the City 264

(٤) الشارتري: ١٨٥. Anonymus:Secundapars Historia Hietance 571

*بارين:ورد ذكر بارين في معجم البلدان بأنها مدينة حسنة تقع بين حلب وحماة من ناحية الغرب.ينظر:الحموي،ياقوت: معجم البلدان ٣٢٠-٣٢١.

**بزواش: كان من أمراء شهاب الدين محمود صاحب دمشق، وكان مقدماً في العسكر واليه الحل والعقد في كل شيء.ينظر:ابن الأثير:الكامل ١١/١٩.

ثم إلى بيسان حتى وصل في غارته إلى مدينة نابلس(١).

في هذه الحقبة من تاريخ الصراع الإسلامي الفرنجي بدأت بشائر الصحوة تلوح في الأفق مع بدء ظهور شخصية عماد الدين زنكي التي أذكت روحاً جديدة في جسد العالم الإسلامي المنهك، وكان زنكي يعتقد اعتقاداً جازماً بأن توحيد قوى المسلمين في الشام، هي الخطوة الأولى للقضاء على الإمارات الفرنجية، فتوجه بأنظاره إلى دمشق وحاول اكثر من مرة السيطرة عليها(٢).

على أية حال فشل عماد الدين زنكي في جهوده في السيطرة على دمشق، وتوحيد الشام ولكن ولده نور الدين استطاع تحقيق ما كان يهدف إليه والده من السيطرة على دمشق بعد وفاة معين الدين أنر سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م الذي ترك وراءه مجير الدين ابق والذي لم يكن على درجة من الكفاءة وتمكنه من الوقوف في وجه نور الدين الذي لجأ إلى أعمال الحيلة ضده، فاستمال أهالي المدينة، وزرع الشك في نفسه ضد أمرائه، فأخذ يصفيهم جسدياً واحداً تلو الأخر، وبذلك تهيأت دمشق للسقوط في يد نور الدين زنكي، ونجح في دخولها في ٨ صفر ٥٤٩هـ/٢٥ نيسان ١١٥٤م(٣). لتبدأ المرحلة الثانية من مراحل الصراع وهي مرحلة استعادة المسلمين لزمام المبادرة وبدء تصفيه الوجود الفرنجي في الشام.

تعد سيطرة نور الدين على دمشق نقطة تحول مهمة في تاريخ الصراع كما أشرنا، نظراً لما ترتب على تلك الخطوة من إعادة تحقيق الوحدة السياسية لبلاد الشام، وقد نوه ابن الأثير لذلك، بقوله: " أن أبغض الأشياء إلى الفرنج أن يملك نور الدين دمشق فقد كان يأخذ قلاعهم وحصونهم وهي ليست له فكيف إذا أخذها وقوي بها "(٤) مما يعني أن مملكة بيت المقدس كانت تخشى وجود قوة إسلامية منظمة وقوية على حدودها وباستيلاء نور الدين على دمشق أصبح جاراً عنيداً لها. إضافة إلى العامل الاقتصادي الذي تمثل في حاجة نور الدين إلى مناطق البقاع وحوران لتموينه بالحبوب بعد أن قسمت الأملاك بينه وبين أخيه(٥).

---

(١) الصوري: ٦٨٩/٢-٦٩٠.
(٢) ابن الأثير: الكامل ٣٦٤/٨-٣٦٥.
(٣) ابن الأثير : الكامل ٩/ ٤٥-٤٦.
(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر ١٠٧.
(٥) اليسيف : المملكة اللاتينية في القدس ٢٢٧.

مما لا يدعو للشك فإن نور الدين أعلن حرباً على مملكة بيت المقدس إذ أسرع إلى حصار بانياس سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م(١)، كما قام قائده أسد الدين شيركوه* بتوجيه ضربات للكيان الفرنجي في مصر سنة ٥٥٦هـ/١١٦٣م(٢).

في سنة ٥٦٥ هـ /١١٦٩م نزلت القوات الفرنجية على دمياط بعد أن تلقت النجدات من إسبانيا وصقلية، فما كان من نور الدين إلا أن تدخل بما لديه من قوات، فتوجه إلى إقطاعية طبرية ومنها وجه غاراته إلى بيسان، والمناطق المجاورة ووصلت غاراته إلى ما لم يكن يبلغه لخلو البلاد من المدافعين عنها، وقد أثارت تلك الغارات قلق الفرنجة على مستقبل بلادهم لما لحق بها من خسائر، إذ نهبت هذه الغارات البلاد، ودمرت المحاصيل، وسلبت المواشي في منطقة بيسان والطور. فما كان من الفرنجة إلا أن عادوا خائبين بعد أن أقاموا في دمياط مدة خمسين يوماً، وكان رحيلهم في أواخر ربيع الأول سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م(٣).

في سنة ٥٦٨ هـ/١١٧٢م فكر الفرنجة بالقيام بعمل حربي واسع ضد دمشق، فحشدوا قواتهم في بيسان، ثم تحركت باتجاه حوران التابعة لدمشق ولما وصلت أنباء تلك التحركات إلى نور الدين حَرك قُواته ونزل بالكسوة. وعندما علم الفرنجة بذلك التحرك، تقدموا نحو السواد، فلحقهم المسلمون ونالوا منهم، ثم تحرك نور الدين ونزل في عشترا **، ومنها سيّر سرية إلى منطقة ما بين طبرية وبيسان شنت عليها الغارات، فنهبت وحرقت ما وقع تحت أيديها، وقد دفع ذلك الفرنجة إلى العودة إلى طبرية للمدافعة عنها، فلما وصلوها كانت القوات الإسلامية قد فرغت من المهمة التي أرسلت لتحقيقها وقد عبروا النهر، فلحق بهم الفرنجة، والتحم الفريقان في

---

(١) ابن القلانسي: ذيل ٣٤١. وينظر: الصوري: ٨٤٦/٢-٨٤٨؛ الحريري: ٢٧؛ ابن قاضي شهبه: ١٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٨٧/٩. وينظر: ابن واصل: ١٤٦/١؛ ابن العديم: زبدة ٣٢١/٢؛ أبو شامة: الروضتين ٣٥٦/٢.

* أسد الدين شيركوه: (شيركوه) ومعناه أسد الغابة : هو أبو الحارث أسد الدين بن شاذي وأخوه أيوب بن شاذي أبي صلاح الدين، وهو كردي الأصل، قدم إلى العراق، ثم عمل في خدمة عماد الدين زنكي، ثم في خدمة نور الدين محمود بعد مقتل أبيه، وأقطعه نور الدين حمص والرحبه لما رأى من شجاعته، وجعله مقدم عسكره مثلما أراد نور الدين ملك دمشق أمر شيركوه، فكاتب أخاه أيوب، فساعد الأخير نور الدين على ملك دمشق، وبقيا مع نور الدين إلى أن أرسل شيركوه إلى مصر اكثر من مرة وفي ٧ ربيع الأخر سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م، وتولى على مصر وأصبح وزيراً للعاضد أخر الخلفاء الفاطميين، وتوفي بعد أن تولى الوزارة أكثر من شهر بقليل، وكانت وفاته في الثالث والعشرين جمادى الأخرة سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م. ينظر: ابن خلكان ٢٥٧/١-٢٥٥ ؛ القلقشندي : ١١٢/٤؛ أبو الفداء: المختصر ٥٩/٣-٦١. المقريزي: الخطط ٣٣٤/٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:٥٦/٣؛ الحنبلي: شفاء القلوب ٢٥-٣١.

(٣) ابن واصل: ١٨١/١-١٨٣. وينظر: ابن قاضي شهبة: ١٨٦.

** عشترا : موضع بحوران من أعمال دمشق . ينظر:الحموي، ياقوت: معجم البلدان ١٢٥/٤.

قتال شديد، على الغنائم، إلا أن المسلمين استطاعوا أن ينجحوا في المحافظة على غنائمهم، وعادت القوات الفرنجية خائبة(١).

لم يتمكن نور الدين من تحرير البلاد من الغاصب الفرنجي إذ وافته منيته في يوم الأربعاء ١١ شوال سنة ٥٦٩هـ/الموافق ١٥ أيار ١١٧٤م إلا أنّه استطاع أن يوحد مصر والشام تحت رايته بعد أن وضع حداً بمعاونة صلاح الدين للخلافة الفاطمية عام ٥٦٧هـ/١١٧١م في القاهرة، وكادت رياح الفرقة أن تعصف بتلك الوحدة لولا أن قيض الله لتلك الأمة السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، الذي أمسك بزمام الأمور في الدولة ، وتابع مسيرة الجهاد، ولمّ ما تبقى من شعث البلاد الشامية. أما في الجانب الفرنجي فقد توفي الملك عموري الأول Amalric I في ١٢ ذي الحجة ٥٦٦هـ/١١ تموز ١١٧١م قبل أن يحقق غرضه في احتلال مصر وتمزيق الوحدة بين الشام ومصر وخلفه على العرش الملك بلدوين الرابع Baldwin V الملقب بالمجذوم(٢).

في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م دخل صلاح الدين دمشق،وأصبح سيد بلاد الشام ومصر بلا منازع باستثناء حلب، وبذلك تكون الدولة الإسلامية قد أحاطت بالممتلكات الفرنجية، بسبب هذا الوضع فقدت القوات الفرنجية روح المبادرة العسكرية، وأضحت في هذه المرحلة في موقع الدفاع حيث كانت تترقب أي تحرك عسكري من قبل صلاح الدين يستدعيها، لأنّ تحرك كل قواتها إلى المنطقة المهددة لحمايتها(٣). واتخذ صلاح الدين في هذه سياسة الحرب الخاطفة لإنزال أكبر الخسائر الاقتصادية في المملكة كما كان يحرض القبائل على نهب غلال العدو وخيراته مع توفير الحماية اللازمة لهم(٤).

لم يستطع الفرنجة أن يفعلوا شيئاً سوى محاولة وقف تلك العمليات، لأنهم فقدوا القوات الاحتياطية التي يمكنها أن تتحرك لمسارح العمليات، وفي هذه المرحلة بالذات، أظهر الفرنجة منتهى القوة في الدفاع ومنتهى الضعف في الهجوم(٥). ولو أن هذا الوضع لم يكن يمنعهم من التحرك من وقت لآخر وحسبما تسمح به الظروف للاعتداء على الأراضي الإسلامية، ومن ذلك

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١١٨/٩. وينظر: أبو شامة : الروضتين ٥٢٨/٢؛ ابن كثير: ٢٧٠/١٢.

(٢) الصوري: ٩٧٣/٢. وينظر: مونروند: ٧٥/٢.

(٣) زكار : الحروب الصليبية ٣٦.

(٤) أبو شامة: عيون الروضتين ١٥٥/٣.

(٥) زكار: الحروب الصليبية ٣٦.

إقدام قوات المملكة بما في ذلك قوات إقطاعية بيسان على بناء حصن بيت الأحزان* على نهر الأردن، في الموقع المعروف باسم مخاضة يعقوب أو مخاضة بيت الأحزان عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م(١)، وتبعد هذه القلعة مسيرة يوم عن دمشق ومسيرة يوم عن طبرية وصفد. وقد سلمت بعد بنائها إلى جماعة الداوية للدفاع عنها وبعد أن أكمل الفرنجة عملية البناء تحرك صلاح الدين نحو القلعة لهدمها، وقد ندم على تفريطه بالسماح للفرنجة ببنائها. وقد تمكن السلطان من هدمها. وكانت الجموع الفرنجية قد تكاثرت في طبرية لتقديم العون والمساعدة لحامية الحصن، لتمكينها من الصمود في وجه المسلمين. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا، واستولى صلاح الدين على الحصن(٢)، وبعد نجاح المسلمين في هدمها سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م أغار على بيسان ونهبها وأحرق مزروعاتها فأضعف الفرنجة بهذه التحركات ثم رجع إلى بلاده(٣).

رغم محاولة الملك الفرنجي بلدوين الرابع Baldwin V سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م التصدي لصلاح الدين(٤)، إلا أن الأخير استطاع وقواته أن يحقق عدة هجمات على بيسان وأعمالها قبل المعركة الحاسمة، ففي سنة ٥٧٨هـ /١١٨٢م قام عز الدين فروخشاه ابن أخي السلطان صلاح الدين بجمع جيش الشام وقصد بلاد الفرنج في الجليل، وأغار، عليها ونهب القرى، وأسر الرجال، وقتل، وسبى النساء، وغنم الأموال، وظفر بعشرين ألف راس من الماشية(٥)، وخرج من البلاد بالقرب من بيسان، فهاجم حصن حبيس جلدك المنحوت في الصخرة التي تطل على نهر اليرموك وراء نهر الأردن، وشق فروخشاه نفقا في الصخرة، فأضحى الحصن تحت رحمته، ولما لم تكن حامية الحصن المؤلفة من نصارى البلاد،حريصة على أن تموت من أجل قضية الفرنج، فإنها بادرت إلى التسليم،واستولى عليه بعد خمسة أيام(٦).

---

* حصن بيت الأحزان: بني من قبل ملك بيت المقدس بلدوين الرابع سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م على مخاضة يعقوب على نهر الأردن جنوبي بحيرة الحولة، وقد استغرق البناء ستة أشهر، وهو بناء مستطيل الشكل ٤٢٠× ٢٠٠ م، وكان يحيط به خندق من جهة الشمال والغرب ونهر الأردن من جهة الشرق، وقد هدم بعد سنة وبضعة أشهر من بنائه. ينظر: ابن الأثير: الكامل ٩/١٤٧-١٤٨؛ الحياري: حصن بيت الأحزان، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية ، ٢/٤٤/١٣٢-٤٣.

(١) الأصفهاني: البرق الشامي ٣/١٤٢-١٦٠. وينظر: الصوري: ٢/١٠٠٨.

(٢) الصوري: ٢/١١٤.

(٣) الأصفهاني: البرق الشامي ٣/١٧٦-١٧٩. وينظر ابن شاهنشاه: ٢٤-٢٨؛ ابن واصل: ٢/٧١-٨٣؛ ابن الأثير: الكامل ٩/١٤٧-١٤٩.

(٤) الصوري: ٢/١٠٤٢-١٠٤٣. وينظر: الأصفهاني :البرق الشامي ٣/١٦٨-١٦٩؛ابن واصل: ٢/٧٥-٧٦.

(٥) ابن شاهنشاه: ٩٤-٩٥. وينظر: الأصفهاني: البرق الشامي ٣/١٩٦. Richard: The Latin 114-115

(٦) الصوري: ٢/١٠٧١. وينظر ابن شاهنشاه: ٩٤؛ الحياري : حصن حبيس جلدك ١٥٧.

وأرسل فروخشاه إلى صلاح الدين بالبشارة(١)، بذلك النصر، ثم وضع حامية من جنده، فصار الحصن عبئا على الكفار بعدما كان عونا لهم(٢)، فنفذ ذلك في عضد الفرنج، وانكسرت شوكتهم، وسار صلاح الدين وفروخشاه إلى دمشق(٣).

أما صلاح الدين فقد أمضى ثلاثة أسابيع في دمشق ثم غادرها في ٧ ربيع الأول ٥٧٨هـ/١٧ أيلول ١١٨٢م على رأس جيش كبير للإغارة على فلسطين، وخيم في الأقحوانة من الأردن، فسار ملك القدس بجيشه بعد أن استدعى البطريرك والصليب المقدس ليبارك أسلحته وجيوشه. واتجه إلى الضفة الغربية لنهر الأردن، فوجه صلاح الدين قوة بقيادة ابن أخيه فروخشاه إلى بيسان، وانضمت إليه البدو(٤)، فدخلها قهرا، وغنم ما فيها، وقتل وسبى مما أثار فزع سكانها الذين ولوا هاربين ولاذوا بأسوار طبرية طلبا للأمان(٥)، وملك المسلمون المدينة، ثم تحركوا في المنطقة المجاورة لها في الغور، وأوسعوها قتلا وتخريبا، وأقاموا باقي يوم الخميس والجمعة، وكانت وقعة شديدة استشهد فيها جماعة من أبطال المسلمين، وعاد السلطان من تلك الغزوة في ١٤ ربيع الأول سنة ٥٧٨هـ/٢٤ أيلول ١١٨٢م(٦).

أما الفرنجة فقد كان وقع هذه الغزوة عليهم شديدا مما دفع بهم أن يستغلوا فرصة انشغال السلطان في حلب وبلاد الجزيرة في ذو الحجة ٥٧٨هـ- محرم ٥٧٩هـ/ آذار ١١٨٣م -أيار ١١٨٣م فقاموا بسلسلة من الهجمات إلى حوران حيث لم يتمكنوا في المرة الأولى من النيل من السكان، وإنما قاموا بإحراق بعض المحاصيل التي صادفوها في طريقهم(٧). ثم قامت المملكة بإعادة تجميع قواتها مرة أخرى في طبرية، وعبروا النهر عند مخاضة يعقوب إلى مناطق دمشق، ودمروا في طريقهم موقع يدعى بيت جن*، وتابعوا مسيرهم حتى وصلوا داريا**(٨)،

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١١/٤٧٩.

(٢) أبو شامة: الروضتين ٣/١١٨. وينظر: الحياري: حصن حبيس جلدك ،١٥٧.

(٣) ابن شاهنشاه: ٩٤-٩٥.

(٤) Anna Comnena: 55.cf.also:Stevenson:The Crusaders 228-229

(٥) ابن شاهنشاه: ١٠٥. وينظر: رنسيمان: تاريخ ٢/٧٠٨.

(٦) ابن شاهنشاه: ٩٥-٩٦. وينظر: ابن واصل: ٢/١١٣؛ ابن الأثير:الكامل ٩/١٥٥-١٥٦؛ ابن سباط: ١/١٦١؛ الحنبلي : شفاء القلوب ٩٩.

(٧) الصوري: ٢/١٠٤٨-١٠٤٩.

* بيت جن: تقع في وادي القديس جورج يحدها من الجنوب الغربي البعنة ومن الغرب كسر ومن الجنوب قريتي دير حنا وعرابة. ينظر: بورشارد٧٦.

** داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. ينظر:الحموي، ياقوت: معجم ٢/٤٣١.

(٨) Anna Comnena: 55 .cf.also :Richard :The Latin 60

على بعد أربعة أميال من دمشق، فخربوه وأعادوا الاستيلاء على حصن حبيس جلدك، ثم عـادت القوات لطبرية دون مواجهة أية صعوبات أو أضرار من قبل القوات الإسلامية(١). وبعد عـودة القوات الفرنجية من هذه الغارة خيمت في صفورية*، في الوقت الذي كان فيه صلاح الدين قـد جمع قواته من كافة أرجاء دولته، وعبر بهم المملكة وظهر فجأة، بعد اجتياز حوران مع فيالقـه في موقع الأقحوانة(٢).

كان غرض صلاح الدين من تلك التحركات، الالتقاء مع القوات الفرنجية فـي معركـة حاسمة، فلما رأى الفرنجة هذا التجمع تجنبوا لقاءه، وتقدم صلاح الدين نحو بيسان التي كـانت مجهزة بالأسلحة والأطعمة إلا أن سكانها لم يشعروا بالثقة في دفاعات قلعتهم، فتخلوا عنها قبـل وصول قوات صلاح الدين ملتجئين إلى طبرية تاركين خلفهم جميع ممتلكاتـهم. ولمـا وصـل المسلمون إلى بيسان، وجدوها فارغة فاستولوا عليها ثم تحركت إحدى الكتائب بقيـادة جـاولي الأسدي لتعسكر في عين جالوت(٣)، وهناك التقوا بعسكر فرنجي من الشوبك** والكـرك***، فقتلوا منهم، وأسروا مائة نفر، ثم عاد السلطان إلى الطور (جبل طابور) في ١٧ جمادى الآخرة ٥٧٩هـ/ ٨ تشرين الأول ١١٨٣م، وفي اليوم التالي تحركت القوات الفرنجية، ونزلوا إلى قلعة عفربلا والمسلمون من حولهم يرمونهم بالنشاب، ووقعت بعض المناوشات بين الفرسان مما حدا ببعض الكتاب إلى الإشارة إلى ما حدث وكأنه معركة(٤)، ولكن الأرجح هو عدم وقوع التحـام فاصل رغم لحظات قصيرة نشب فيها قتال شديد، لذا قرر صلاح الدين العودة إلى دمشق بعد أن قتـل وأسـر كثيرا من الفرنجة، وخرب من حصونهم بيسان، وعفربلا، وزرعين، فضلا عـن عدد من الأبراج والقرى في منطقة بيسان والغور(٥).

---

(١) الصوري: ١٠٥٣/٢-١٠٥٤. وينظر: ابن شداد: النوادر السلطانية ٦٢-٦٣.

* صفورية: إحدى القرى الواقعة في إقليم الجليل، ويحدها من الشرق قرية كفر كنا ومن الجنوب الشرقي الناصرة ومـن الجنوب الغربي قرية عيلوت (عيلوط) ومن الشمال قرية روما (خربة روما). ينظر:بورشـارد: ٨٨،٨٧،٦٩؛التطيلـي: ١١٠؛ دانيال: ١١٨؛ الدباغ ١:١/١٧١.

(٢) الصوري: ١٠٦١/٢. وينظر: عاشور : الحركة الصليبية ٧٥٣/٢.

(٣) الصوري ١٠٦١/٢-١٠٦٥ . وينظر: ابن واصل : ١٤١/٢.

** الشوبك:اسم قلعة حصينة في طرف الشام بين عمان وايله والقلزم قرب الكرك.ينظر:الحموي، ياقوت: معجم البلـدان ٣٧٠/٣؛ خارطة (٣).

*** الكرك: اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء. ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٤٥٣/٤.

(٤) الصوري: ١٠٦٠-١٠٦٢.

(٥) الأصفهاني : الفتح القسي ٦٠.

لقد أثار النشاط العسكري لصلاح الدين ونجاحاته قلق الفرنجة في فلسطين، وأخذت الشائعات تتحدث عن استعداداته لغزو أراضي المملكة، مما أربك الفرنجة الذين نظروا برعب إلى زيادة نفوذه وسلطانه في مصر والشام(١). وبناء عليه عقد في القدس في ذي القعدة ٥٧٩هـ/شباط ١١٨٣م اجتماعاً عاماً لجميع نبلاء المملكة- ومثل بيسان في هذا الاجتماع رالف- للتداول حول الوضع(٢)، وكان هناك خوف كبير من عودة السلطان مرة أخرى إلى الأراضي الفرنجية، وتقرر في ذلك الاجتماع استخدام كل وسيلة ممكنة لمقاومته، كما تقرر إجراء إحصاء لجميع مناطق المملكة كإجراء وقائي ضد النوازل المستقبلية، بهدف توفير البيانات، للتمكن من التصرف في الظروف الطارئة للحصول على قوات من المشاة والفرسان، وكانت المملكة قد وصلت في تلك الأوقات إلى مرحلة خطيرة من الفقر والعوز لدرجة أن العائدات لم تعد تكفي للنهوض بأعباء الإنفاق الضروري، لذلك تقرر فرض ضرائب جديدة على السكان لتغطية ذلك العجز(٣).

لم تلبث الأمور أن تطورت في المملكة تطوراً خطيراً، إذ اشتد التنافس بعد وفاة بلدوين الرابع Baldwin IV عام ٥٨١هـ/١١٨٥م على مسؤولية الوصاية على خلفه بلدوين الخامسBaldwin V ابن أخت بلدوين الرابع Baldwin IV والذي كان صغيراً، ولم يبلغ الخامسة من عمره، فانتخب ريموند Remonde كونت طرابلس وسيد طبرية وصياً عليه لكونه كبير القادة الفرنجة سناً وشأناً، رغم اعتراض بعض الفئات على انتخابه، وكان من بين المعارضين له جاي لوزيجنان Guy Lusiguan زوج سبيل Sebiel أخت الملك المتوفي بلدوين الرابعBaldwin IV وأم الملك بلدوين الخامسBaldwin V ، وهيو Hugh سيد بيسان، وجيرارد Girard رئيس فرسان الداوية(٤) ورينالد دي شايتون Renaldo de Shateun المعروف في مصادرنا الإسلامية بأرناط صاحب الكرك. وظل هؤلاء يحيكون الدسائس لسحب الوصاية من ريموند حتى نجحوا أخيراً في ذلك.

---

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية ١٠٢. وينظر: المقريزي: السلوك ٢:١/٥٠.

(٢) Anna Comnenna: 90-91cf.also: Richard:The Latin 91-92

(٣) الصوري: ٢/١٠٥٤-١٠٥٧. Anna Comnena : 92

(٤) King: The Knights Hospitailers. 103 .cf. also: Richard: The Latin 92-93

ويرى الأصفهاني أن ريموند Remonde كان قد طمع في عرش المملكة بعد وفاة بلدوين الخامسBaldwin V ، فرضت الداوية ذلك، وقالوا له: يلزمك العمل بشرط الوصاية، فرغب في التقرب من صلاح الدين للاستعانة به على الفرنجة(١).

على أية حال تحول التاج من الطفل إلى أمه مما أثار ريموند Remonde ، وأسرع لعقد معاهدة مع صلاح الدين وما كان من الأخر إلا أن استجاب له مستغلاً أول فرصة تسنح له للتدخل في الشؤون الداخلية للمملكة الفرنجية.واعتبر ذلك التمزق الذي أصاب الجبهة الداخلية للمملكة سبباً لسعادة الإسلام(٢).وهنا رأى صلاح الدين أن يرسل بقوة استطلاعية للإغارة على عكا، وكان لا بد لها من اختراق بيسان وطبرية وشمال فلسطين، فاستأذن ريموند Remonde ، فاضطر للموافقة بحكم المعاهدة، وسمح لهم بالدخول بعد أن أصدر أوامره للمدن الفرنجية في الجليل بإغلاق أبوابها حتى لا يطمع المسلمون بالسيطرة عليها، وحاول مقدم الداوية التصدي لتلك القوة قرب صفورية، فدارت معركة الحاسمة الفاصلة في محرم ٥٨٣هـ/أوائل أيار١١٨٧م، سقط فيها معظم الفرنجة المرافقين له(٣).

أما الفرنج فقد اعتبروا ذلك التحالف بين ريموند وصلاح الدين خيانة كبرى توجب معاقبة ريموند عليها بشدة فاتهم بتحوله للإسلام فعزم جاي على التوجه لطبرية لمعاقبة ريموند إلا أن باليان الإبليني تمكن من مصالحتهما(٤). وقام ريموند Remonde بطرد القوات الإسلامية المتواجدة في طبرية، والتي أرسلها له صلاح الدين لمساعدته على الوقوف في وجه أعدائه(٥).

تمكن باليان الإبليني Balian de Ibelin من تسوية الخلافات داخل المملكة، واخذ الملك يحشد بجيوشه والمساعدات العسكرية من كافة الإمارات الفرنجية المتواجدة في الشرق حيث أرسل بوهميند بخمسمائة فارس تحت قيادة بلدوين دي ابلين Baldwin de Ibelin ، كما قامت الداوية والاسبتارية بحشد كافة طاقاتهم وفرسانهم لمحاربة صلاح الدين والانتقام من هزيمتهم في صفورية(٦)، مع تكامل الحشود الفرنجية في عكا أخذت تتحرك صوب صفورية

---

(١) الأصفهاني: الفتح القسي ٦٧-٦٨.

(٢) سبط ابن الجوزي: ٣٨٩/١/٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل ١٧٩/٩. وينظر: ابن واصل : ١٨٦/٢-١٨٧ . Eracles:40-41

(٤) Ambroise: The Crusade 123

(٥) Regan: Saladin and the Fall of Jerusalem 94

(٦) Conder: The Latin 147-148

وعسكرت بالقرب منها(١).

أما في الجانب الإسلامي فإن السلطان صلاح الدين كان قد أخذ في إعداد قواته وتنظيمها لخوض غمار المعركة الفاصلة، وقد تسارعت تلك الاستعدادات منذ اللحظة التي نقض فيها ريموند معاهدته مع المسلمين، وإن كان يعقوب الفيتري أسقف عكا قد أكد بأن الاستعدادات الإسلامية كانت جارية على قدم وساق منذ أن أحرز المسلمون انتصارهم في صفورية حيث كان هذا الانتصار حافزا ومشجعا لهم على تجميع قواتهم والتحرك نحو أراضي المملكة(٢).

وهكذا أعلن السلطان صلاح الدين النفير العام في البلاد وأخذ في إرسال الرسائل إلى جميع البلاد ليستنفر الناس ويحثهم على الجهاد، وقد كان لقلم ابن بيسان القاضي الفاضل* الدور البارز في شحن وتحفيز الجماهير الإسلامية على الجهاد في الموصل، وديار الجزيرة وغيرها من بلاد الشرق، كما أرسل إلى مصر وسائر بلاد الشام، ثم خرج السلطان من دمشق في أواخر المحرم سنة ٥٨٣هـ/أيار١١٨٧م في عسكرها وحلقتها الخاص،وسار إلى رأس الماء وتلاحقت به العساكر الشامية، فلما اجتمعوا عنده جعل عليهم ولده الملك الأفضل لتجتمع عنده بقية العساكر، في حين تحرك هو إلى بصرى لحماية قافلة الحج التي كان رينالد دي شاتيون (أرناط) يعزم على اعتراضها، فلما فرغ من حمايتها تحرك باتجاه الكرك والشوبك وهناك بث سراياه، فنهبوا،وخربوا، وأحرقوا، وأرناط محصور في حصنه لا يقدر على منعهم عن بلاده(٣).

من الواضح أن صلاح الدين كان يهدف من هذه الحركات تأمين الطرق الإدارية والعسكرية التي تخدم حركة قواته القادمة من مصر لمساعدته من جهة، وعزل ارناط عن ممارسة نشاطه الميداني في المعركة الفاصلة من جهة أخرى، كذلك سعى إلى إحداث أضرار بالغة بالاقتصاد الفرنجي وذلك عن طريق القيام بتقطيع الأشجار، ورعي المحاصيل، وإحراقها، لحرمان القوة الفرنجية من الاستفادة منها في المعركة القادمة.

واستمرت القوات الإسلامية في توافدها نحو منطقة الحشد وحالما أنهت تجمعها في تل

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٧٦/٩؛البنداري:سنا البرق الشامي ٢٩٣؛ وينظر: أبو شامة: الروضتين ٨٦/٢.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٨/٦. هاملتون:صلاح الدين ١٤٥. Richard: The Latin 1/175. Eracles: 45-46

(٢) الفيتري: ١٤٨-١٥٠. وينظر: زكار: حطين ١١٣.

(٣) الأصفهاني: الفتح القسي ٥٨-٥٩. وينظر ابن الأثير: الكامل ١٧٥-١٧٦؛ أبو شامة: الروضتين ٢٥٧/٣؛ ابن واصل: ١٨٥/٢؛ هاملتون:صلاح الدين ١٤٧.

* القاضي الفاضل: هو عبد الرحيم بن القاضي الاشرف أبي الحسين بن الحسن البيساني ولد في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، وتوفي في ١٧ ربيع الآخر ٥٩٦هـ/٦ شباط١٢٠٠م.ينظر:سبط ابن الجوزي:٤٧٢/٢:٨.

عشتـــرا، تحركت جنوب خسفين* وذلك في ١٧ ربيع الأخر ٥٨٣هـ/٢٦ حزيـــران ١١٨٧م، ثم اتجه صلاح الدين منها صوب الأقحوانة حيث أمضى فيها خمسة أيام(١). وفي الأقحوانة خلف صلاح الدين أثقاله، وتقدم عبر غور الأردن، واجتاز النهر عبر جسر الصنبرة من المكان نفسه الذي دخل منه إلى الجليل سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، ومنه تحرك نحو كفر سبت** وذلك في ٢١ ربيع الأخر سنة ٥٨٣هـ/٣٠ حزيران ١١٨٧م.

أما القوات الفرنجية فقد كانت لا تزال معسكره في صفورية،ولهذا فقد قام صلاح الديـن بتوجيه بعض الغارات في منطقة بيسان وما حولها للاستفادة من خيراتها، ويرى سهيل زكـــار وسعيد عاشور بأن صلاح الدين اتخذ نفس السياســـة العســكرية التــي مارســها فــي سـنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م وذلك لإجبار الفرنجة على التحرك من منطقـــة صفوريـــة، إلا أنـــهم بقــوا معسكرين مكانهم، فلما رأى السلطان اعتصامهم بذلك المكان دون حراك تحرك نحـــو طبريـــة وذلك مساء ٢٣ ربيع الأخر ٥٨٣هـ/٢ تموز ١١٨٧م لإجبارهم على التخلي عن أماكنهم وفعلاً فرض على مدينة طبرية الحصار، وتمكنت قواته من دخولها خلال فترة قصيرة(٢) حيث عمدت إلى إشعال النيران فتعرض كثير من مخازن الغلال للاحتراق مما دفع الســكان إلـــى مغـــادرة بيوتهم(٣)، ورغم ما أصاب المدينة من دمار فان القوات الإسلامية استفادت من ذلك المخـــزون الهائل من الأطعمة والأمتعة والعتاد الذي وجدته في المدينة(٤).

من الواضح أن صلاح الدين كان يتمتع بدرجة من الذكاء، ومعرفة كاملة بكيفية تفكـــير أعدائه عندما اختار مدينة طبرية لتكون السبب المباشر في المعركة إذ كـــان علـــى علـــم مـــن استخبارية بأن اشيفا Countess Eschiva سيدة طبرية ما تزال في المدينة، ومعها حامية صغيرة، لذلك جعل منها ورقة رابحة يضغط بها على أعدائه لإجبارهم على التحـــرك مـــن صفوريـــة وخوض المعركة، إذ كان يعلم بأن فرسانهم لا يستطيعون مقاومة استغاثة سيدة، كما راهن على

---

* خسفين: قرية من أعمال حوران بعد نوى في طريق مصر، تقع إلى الشرق من بحيرة طبرية وهي محطة على الطريق المؤدي من دمشق إلى عقبة فيق ونهر الأردن ومرج ابن عامر وساحل فلسطين. الحموي،ياقوت:معجم البلدان ٢/٤٢٤-٤٢٥؛ الحياري: صلاح الدين ٢٧٥.

(١) الأصفهاني: الفتح القسي ٧٢. وينظر: ابن الأثير: الكامل ٩/١٧٦.

** كفر سبت: تقع في الجنوب الغربي من طبرية على الحدود الشمالية الغربية لبيسان وترتفع ٢٢٥م عن سطح البحـــر، عرفت أيام الرومان باسم Kefar Sabatay. ويصفها المقدسي بأنها " كبيرة أهلـــه وبـــها جـــامع". ينظـــر: المقدســـي البشاري:١٧٧؛ الدباغ: بلادنا ٦:١/٤٠٧.

(٢) الأصفهاني: الفتح القسي ٧٦. وينظر: أبو شامة: الروضتين ٣/٣٧٦. Eracles: 47-48

(٣) البنداري: سنا البرق ٢٩٤.

(٤) ابن كثير: ١٢/٣٢٠.

عامل التهور الذي كان يتحكم بهؤلاء الفرسان والذي غالبا ما أفسد استراتيجيات الفرنجة في الماضي(١)، ولذلك كان لاعتصام اشيفا Eschiva وأولادها مع الحامية في قلعة المدينة(٢)،وإرسالها برسالة استغاثة إلى الفرنجة في صفورية ما دفعهم إلى الإسراع بعقد مجلس حربي لبحث الموقف(٣)، وقد اختلفت آراء المجتمعين في ذلك المجلس ما بين مؤيد للزحف إلى طبرية ورفع الحصار عن القلعة وإنقاذ السيدة،ومحاربة صلاح الدين،وفهم جيرارد دي ريد فورت Gerard de Red Fort * مقدم الداوية وأرناط سيد الكرك فيما عارض البعض التقدم نحو المدينة، وكان من بينهم ريموند سيد طبرية وهيو Hugh سيد بيسان اللذان فضلا البقاء في صفورية لمعرفتهم بطبيعة الطريق وندرة المياه مما سيواجه الجيش الفرنجي صعوبات جمعة ولذا فضلا أن تضيع طبرية بدلا من تعريض المملكة بأسرها للخطر(٤). وأبدى كل طرف منهم وجهة نظره وأبرز أسبابه في التحرك وعدمه.

على أية حال اتخذ الملك القرار بالتحرك إلى طبرية بسبب الضغوط التي مورست على الملك على الصعيد الشخصي والعسكري، وهكذا صدرت الأوامر للقوات الفرنجية بالتحرك نحو طبرية عند طلوع الفجر للقاء صلاح الدين واسترداد طبرية(٥). وعند بروز فجر يوم الجمعة ٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣/٣ تموز ١١٨٧م أخذت طلائع القوات الفرنجية بالتحرك صوب طبرية، وتولى قيادة المقدمة ريموند في حين تولى قيادة القلب الملك غاي، أما أرناط فقد تولى قيادة المؤخرة(٦)، وفي حطين كان الموعد وكان اللقاء.

---

(١) هاملتون: صلاح الدين ١٥٠. Anna Comnena : 349

(٢) الأصفهاني: الفتح القسي ٨٥. وينظر:البنداري:سنا البرق الشامي ٢٩٤. Eracles: 48.cf.also:Conder:149

(٣)ابن الأثير: الكامل ١٧٧/٩. وقد تحدث صاحب تاريخ هرقل عن عقد مجلس حربي في عكا في ٢٢ ربيع ثاني ٥٨٣هـ/١ تموز ١١٨٧ ثم عقد مجلس حربي آخر في صفورية في اليوم التالي مجلس عكا، ولكن أخطأ حين ذكر بأن رسالة الاستغاثة من سيدة طبرية وصلت إلى مجلس عكا والحقيقة أنها وصلت إلى المعسكر الفرنجي في صفورية، وكانت سببا لعقد ذلك المجلس . Eracles : 49-50

*جيرارد دي ريد فورت Gerard de Red Fort : فارس فلمنكي (بلجيكي) قدم بلاد الشام عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م، ودخل في خدمة ريموند كونت طرابلس، ثم انفصل عنه، ودخل في سلك الداوية حتى أصبح رئيسها ثم أسر في معركة حطين. ينظر: Ernoul: 114

(٤) ماير: تاريخ الحروب ١٩٧. Regan: 107

(٥) أبو شامة: الروضتين ٣٠٧/٣. وينظر: أبو الفداء: المختصر ٩٢/٣.

(٦) الفيتري : ١٧٠. Richard: The Latin 2/175

الفصل الرابع

بيسان في العصر الإسلامي

٥٨٣-٦٩٠هـ/١١٨٧-١٢٩١م

٤-١ أوضاع بيسان حتى وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي ٥٨٩هـ/١١٩٣م

استعاد السلطان صلاح الدين مدينة بيسان والزمام الزراعي المحيط بها قبل معركة حطين الحاسمة ٢٥ ربيع الاخر ٥١٣هـ/٣ تموز ١١٨٧م، وكان سكانها الفرنجة قد لاذوا بالفرار ولم يبق بها إلا أصحابها الشرعيين، يحتمل أن السلطان صلاح الدين قد أفاد من منطقة بيسان في تزويد جيشه بما وجده في مخازنها وأسواقها من الغلال،وربما شارك قسم من سكان بيسان في صفوف قوات صلاح الدين من أجل تحرير الأراضي الإسلامية الخاضعة لسيطرة الفرنجة، وبعد أن انتهت المعركة أخذ السلطان صلاح الدين بإعادة ترتيب صفوف جيشه، وعندما اكتملت استعداداته رحل السلطان صلاح الدين من طبرية إلى عكا ونازلها يوم الأربعاء ٢٨ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/٦حزيران ١١٨٧م، فتسلمها دون قتال بسبب خلوها من المدافعين الفرنجة الذين ربما أبيد غالبيتهم في معركة حطين، أما من كان في المدينة من الفرنجة فقد أمنهم السلطان على حياتهم(١). ثم تابع صلاح الدين تحركاته نحو الثغور لحرمان الفرنجة من الاتصال بالغرب الأوروبي الذي كان يؤمن لهم الإمدادات من الرجال والسلاح والمال.

في الوقت نفسه عمل صلاح الدين على الاستيلاء على باقي القلاع الفرنجية في إقليم الجليل لما تشكله هذه القلاع من خطر على قواته، لذلك جرد فرقة من قواته بقيادة مظفر الدين كوكبري* بالاتجاه إلى الناصرة فاستولى عليها، وتحرك إلى بلدة صفورية واستولى عليها وتوجه بعدها إلى الفولة التي كانت تضم قلعة من أمنع القلاع الفرنجية، وأحصنها حيث كانت مجهزة بالرجال والعتاد ومخازنها مليئة بالغذاء، والأعلاف، وكانت تدار من قبل فرسان الداوية(٢)، الذين جعلوها من المراكز العسكرية المهمة لهذه الجماعة في إقطاعية بيسان لا بل في إقليم الجليل، وهذا ما يتبين من وصف العماد الأصفهاني، فيقول:" وكانت الفولة أحسن قلعة وأحصنها واملأها بالرجال والعدد، وأشحنها للداوية حصن حصين ومكان مكين،

---

(١) سبط ابن الجوزي: ١:٨/٣٩٤. وينظر: أبو شامة: عيون الروضتين ٢/١٤٨.

* مظفر الدين كوكبري:هو أبو سعيد كوكبري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد الملك المعظم وظفر الدين صاحب أربل، وقد تسلم ولايتها مرتين الأولى بعد موت والده ليلة الأحد الموافق ١١ ذي القعدة سنة ٥٦٣هـ/١٨ آب ١١٦٧م، وعمره أربع عشرة سنة، وكان أتابكه مجاهد الدين قايماز الذي قام باعتقاله وأقام أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف مكانه والثانية بعد وفاة أخيه سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، حيث كان واليا على حران والرها وسميساط، فطلب من السلطان صلاح الدين أن يستبدله على أربل، فوافق السلطان على ذلك. ينظر: ابن شداد:النوادر٣٩؛ابن الأثير:التاريخ الباهر١٣٥؛ابن خلكان: ٤/١١٣-١١٥.

(٢) الأصفهاني:الفتح القسي ٩٦؛ البنداري:سنا البرق٣٠٢. وينظر:ابن واصل:٢/٨٦؛عاشور:الحركة الصليبية ٢/٧٨٣.

وركن ركين... وكانت فيه ذخائر كنائسهم وأخاير نفايسهم..."(١) ومع ذلك تمكن مظفر الدين كوكبري من فرض الحصار عليها ومضايقتها، الأمر الذي دفع سكانها إلى التسليم بسبب هروب حاميتها منها(٢)، ومن ثم توجه إلى حصن عفربلا إلى الشرق من الفولة، حيث تم له السيطرة عليه واتخاذه نقطة ارتكاز لمهاجمة قلعة كوكب الهوا وصفد(٣). وبعد سقوط هاتين القلعتين تم الاستيلاء على باقي قرى بيسان ولم يبق في أيدي الفرنجة من أنحاء بيسان سوى قلعة كوكب الهوا، التي كانت بمثابة المعقل الأول لفرسان الإسبتارية في منطقة بيسان بشكل خاص وإمارة الجليل بشكل عام، لما تمتعت به من أهمية استراتيجية بالغة وحصانة عظيمة وخاصة وعورة الطرق الموصلة إليها ، لذلك احتاج السلطان في فتحها للصبر وطول النفس.

يرجع اهتمام السلطان في الاستيلاء عليها لوقوعها في وسط المحيط الإسلامي والاستيلاء عليها يعني إضعاف قوة الفرنجة(٤)،ولأن المتحكم بها يستطيع إلحاق الأذى بالرعايا الذين يجتازون الطرقات بين مصر والشام(٥). لهذا كله آثر السلطان أن يوجه عناية خاصة لفتحها وبسط السيطرة عليها، فعهد بحصار كوكب الهوا للأمير سيف الدين محمود*،فأقام في قلعة عفربلا القريبة من حصن كوكب الهوا، وقطع الطرقات على الفرنجة.وأقام محاصرا لها حيث تمكن من قطع الإمدادات والطعام عن الحصن(٦) إلى أن دخل الشتاء فغفل المسلمون في إحدى ليالي الشتاء الباردة عن الحراسة،فما كان من الفرنجة المحاصرين داخل القلعة إلا أن انتهزوا الفرصة،وخرجوا من كوكب الهوا لمهاجمة المسلمين،فما هي إلا جولة حتى قضوا عليهم واستشهدوا جميعا،بما فيهم سيف الدين،وكان ذلك في آخر ليلة من شوال سنة ٥٨٣هـ/ الأول من كانون الثاني سنة ١١٨٧م،وأخذوا ما كان عندهم من طعام،وأسلحة وعادوا إلى قلعتهم(٧).

---

(١) الأصفهاني: الفتح القسي ٩٧-٩٨.

(٢) البنداري: سنا البرق ٣٠٢. وينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ١٨/٢.

(٣) ابن جبير: ٢٧٧. وينظر: الإدريسي: ٣٦٥/١.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية ٨٤. وينظر: أبو شامة: الروضتين ٥/٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل ١٨٨/٩-١٩٠.

* سيف الدين محمود: شقيق عز الدين جاولي الاسدي،وأحد مقدمي السلطان صلاح الدين، عينه على حصن عفربلا وأوكل إليه مهمة محاصرة قلعة كوكب الهوا، كان عالم بأمور الدين متهجد. ينظر: الأصفهاني: الفتح القسي ١٧٨؛ابن واصل: ٢٤٦/٢-٢٤٧.

(٦) ابن شداد: النوادر السلطانية ٦٦-٦٧.

(٧) الأصفهاني: الفتح القسي ١٧٨. وينظر : ابن الأثير: الكامل ١٨٨/٩؛ ابن أبي جرادة: زبدة الحلب ٥٧٩/٢-٥٨٠؛ أبو شامة: عيون الروضتين ١٨١/٢؛ ابن واصل: ٢٤٦-٢٤٧.

وصل خبر ما حل بالقوة الإسلامية المحاصرة لقلعة كوكب الهوا على يد المدافعين الفرنجة إلى مسامع السلطان صلاح الدين الذي كان متجهاً إلى مدينة صور، وعلى الفور أرسل الأمير صارم الدين قايماز النجمي* في خمسمائة فارس لمتابعة حصار حصن كوكب الهوا(١)، وتبعه السلطان في خواصه لمساعدته في الحصار إلا أنه رأى أن الأمر قد يطول، فأناط بصارم الدين قايماز مهمة الاستمرار في الحصار(٢) في حين توجه السلطان لحصار صفد، وخلال تلك الفترة قرر الفرنجة المقيمون في مدينة صور إنجاد قلعة كوكب الهوا، لأن استرداد السلطان صلاح الدين لصفد، سوف يدفعه للتوجه إلى قلعة كوكب الهوا للمساعدة في إخضاعها، وبسبب معرفتهم بأهمية هذه القلعة من الناحية العسكرية والاستراتيجية، أرسلوا إليها نجدة تقدر بمائتي فارس مدججين بالسلاح والذخائر ومحملين بالمؤن لمساعدتها على الصمود لحين قدوم الإمدادات التي طلبها الفرنجة من الغرب الأوروبي لتبقى العين الساهرة لكشف عورات المسلمين(٣) إلا أن الأمير صارم الدين اكتشف أمرهم فهاجمهم، وتتبعهم في الشعاب والكهوف، ولم ينج منهم أحد، وأرسل اثنين من الذين وقعوا في الأسر وكانوا من الإسبتارية إلى السلطان الذي كان لا يزال محاصراً لصفد(٤).

ومهما يكن من أمر، فقد بقي السلطان صلاح الدين مصمماً على استرداد القلاع والحصون في إقليم الجليل ومن بينها كوكب الهوا فبعد الانتهاء من فتح بيت المقدس تحرك في أوائل رمضان سنة ٥٨٤هـ/أواخر تشرين الأول ١١٨٨م من دمشق نحو صفد حيث تمكن من الاستيلاء عليها في ١٤ شوال ٥٨٤هـ/يوم الأربعاء الموافق ٧ كانون الأول ١١٨٨م(٥)، ثم تحرك منها نحو قلعة كوكب الهوا، وكان الوقت شتاءً والأمطار شديدة والأوحال عظيمة تمنع الماشي والراكب إلا بمشقة عظيمة، وعانى السلطان الأهوال والشدائد من شدة الرياح، وتراكم الأمطار، وتسلط الأعداء عليه بعلو مكانهم، واستشهد من المسلمين أعداداً

---

*صارم الدين قايماز النجمي: هو أحد مقدمي السلطان صلاح الدين وقائد جيشه الذي حاصر قلعة كوكب في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م بعد حطين، وعينه صلاح الدين آمرا عليها، وعلى قلاع صفد وهونين وغيرها. كان كثير الصدقات توفي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. ينظر: ابن الأثير: الكامل ٧/٣٤٥-٣٥٦.

(١) الأصفهاني: الفتح القسي ١٧٨-١٧٩. وينظر: ابن العديم: زبدة ٣/١٠١؛ أبو شامة: الروضتين٤/٥؛ عيون الروضتين٢/١٨١.

(٢) الأصفهاني: الفتح القسي ٢٠٤. وينظر: الحنبلي: شفاء القلوب ١٥٣.

(٣) الأصفهاني : الفتح القسي ٢١. وينظر: أبو شامة: الروضتين ٤/٥٠-٥١؛ ابن واصل: ٢/٢٧٢-٢٧٤.

(٤) الأصفهاني: الفتح القسي ٢١. وينظر: ابن واصل : ٢/٢٧٣-٢٧٤؛ الحروب: ٦٥-٦٦.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية ٩٥-٩٦. وينظر : أبو شامة: الروضتين ٤/٥٢؛ النويري: ٢٨/٤١١.

كبيرة أثناء عملية الحصار ومع ذلك استمر الحصار حتى استسلمت الحامية الفرنجية في منتصف ذي القعدة سنة ٥٨٤هـ/٦ كانون الثاني ١١٨٩م وولى عليها صارم الدين قايماز النجمي، وتوجه بعدها إلى مخيمه في الغور(١).

اتخذ السلطان صلاح الدين من بيسان معسكرا له أثناء حصاره لقلعة كوكب الهوا حيث أنه بعد الانتهاء من فتح حصن كوكب الهوا نزل في صحراء بيسان، وأقام فيها إلى مستهل ذي الحجة سنة ٥٨٤هـ/٢١ كانون الثاني ١١٨٩م، ثم توجه إلى القدس يوم الجمعة الموافق ٧ ذي الحجة ٥٨٤هـ/٢٨ كانون الثاني ١١٨٩م ومعه أخوه العادل وذلك بهدف تفقد أوضاعها وأحوال بقية المدن المفتوحة(٢).

لم يقم السلطان بتعيين وال لمدينة بيسان، ويبدو أنه كان مترددا في تحديد مركز الولاية ما بين بيسان وكوكب الهوا، وربما يعود ذلك لوجود معسكره فيها، ولذلك لم تشر المصادر إلى قيام صلاح الدين بإقطاع بيسان لأي أمير، بينما ذكرت المصادر نفسها أن صلاح الدين عرج على بيسان أثناء عودته من القدس بعد صلح الرملة سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، فتفقدها، وقرر إعادة بناء قلعتها، ثم توجه منها إلى كوكب الهوا ،وعندما وصلها، ورأى حصانة موقعها، صوب رأيه، وقرر تعمير وإعادة بنائها(٣) مما يؤكد تردده في تحديد مركز الولاية بادئ الأمر، لأهمية كل منهما من الناحية الاستراتيجية مما دفعه إلى تأخير ترجيح إحداهما على الأخرى لفترة من الزمن حتى سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م .

على أية حال أحدثت أنباء الانتصارات الإسلامية على الفرنجة في حطين وعكا والقدس هزة عنيفة في أوروبا فتداعى ملوك الغرب لنجدة الفرنجة في فلسطين وإنقاذ ما يمكن إنقاذه وسرعان ما أعدت الحملة الفرنجية الثالثة التي اشترك فيها ثلاثة من ملوك أوروبا فريدريك بربروسا* Fredrek Brprosa إمبراطور ألمانيا، وريتشارد

---

(١) الأصفهاني: الفتح القسي ٢٧٠-٢٧٤. وينظر: ابن شداد: النوادر السلطانية ٨٤-٩٦؛ أبو شامة: الروضتين ٤/٥٣؛ ابن واصل: ٢/٢٧٢-٢٧٤؛ ابن أبي جرادة: زبدة الحلب ٢/٢٨٥؛الحنبلي: شفاء القلوب ١٥٣- ١٥٨.

(٢) الأصفهاني: الفتح القسي ٢٧٥. وينظر: أبو شامة: الروضتين ٤/٥٨.

(٣) أبو شامة:الروضتين ٣/٣٤٠.

* فريدريك بربروسا Fredrek Brprosa : هو الإمبراطور الألماني ٥٤٧-٥٨٦هـ/١١٥٢-١١٩٠م) شارك في الحملة الفرنجية الثالثة بنفسه على راس جيش تعداده ٣ آلاف فارس ٨٠ ألف مشاة، وتوفي بالقرب من الأراضي الأرمينية في ٥ جمادى الأولى ٥٨٦هـ/١٠ حزيران ١١٩٠م. وانقسم الألمان بعد وفاته. ينظر: مجهول: الحرب الصليبية الثالثة/٥٧-٥٩. Ambroise: The Crusade of Richard 133

قلب الأسد Richard Lion Heart ملك إنجلترا*، وفيليب أوغسطس** Philip Augutus ملك فرنسا، وقد علم صلاح الدين بأخبار هذه الحملة منذ أن بدأ الاستعداد لها في أوروبا وذلك عن طريق الإمبراطور إسحق الثاني أنجيلوس*** Eshkii إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية(١).

بينما كانت الاستعدادات جارية على قدم وساق لمواجهة تلك الحملة، كانت بقايا الجموع الفرنجية المنهزمة من فلسطين بعد معركة حطين قد خرجت من صور بقيادة جاي لوزيجنان ورئيس أسقفية بيسان باتجاه عكا في منتصف رجب٥٨٥هـ/أواخر آب١١٨٩م(٢)،وقد شاركت بيسان في الدفاع عن مدينة عكا،في شعبان٥٨٥هـ/أيلول١١٨٩م،حاولت القوات الفرنجية اقتحام المدينة،ولكنها فشلت في مسعاها، لكون السلطان كان قد أقام بها بعد فتحها،ورتب أمورها، وقوى تحصيناتها، ووضع فيها حامية عسكرية قوية قدمت من مصر، وأمر بهاء الدين قراقوش* بإتمام

---

*ريتشارد قلب الأسد Richard Lion Heart: أحد ملوك إنجلترا ولد في أكسفورد سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، ثم أصبح ملكاً عليها سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م. قاد الحملة الثالثة على فلسطين واستطاع احتلال عكا بعد صراعه مع صلاح الدين. ووقع معه صلح الرملة، وعاد إلى أوروبا، وتوفي سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م. ينظر: مجهول:الحرب الصليبية الثالثة ٢٥/١، ٩/٢، ٣٠، ٢٦٦. Ambroise :The Crusade of Richard 333-35

** فيليب اوغسطس Philip Augutus : هو ملك فرنسا لويس السابع أنجبه من زوجته الملكة الكس ابنة ثيوبولد الأكبر، توج ملكا على فرنسا بعد وفاة والده ٥٧٦هـ/١٠١٨م شارك في الحملة الفرنجية الثالثة على فلسطين وصل بجيشه على أبواب عكا في يوم السبت ٢ ربيع الأول ٥٨٧هـ/آذار ١١٩١م.ينظر:الصوري ١٠٢٠/٢-١٠٢١؛مجهول:الحرب الصليبية ٢٥٥/١.

*** اسحق الثاني أنجيلوس:٥٨١-٥٩١هـ/ ١١٨٥-١١٩٥: وصل هذا الإمبراطور للعرش بعدما أطاح بالإمبراطور أندرونيكوس، وكان لاهيا ماجنا، اهتم بحياته الخاصة، ومتعه الشخصية عن الاهتمام بشؤون إمبراطوريته وإصلاح أحوالها، ولما استرد المسلمون مدينة القدس من الفرنجة، واستعدت أوروبا بالحملة الفرنجية الثالثة لمحاولة استردادها، وقع اسحق الثاني عام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م معاهدة سمح بموجبها للقوات الفرنجية بالمرور عبر أراضيه، ولما كان يخشى من نوايا فريدريك بربروسا إمبراطور ألمانيا، قام بالتفاوض مع صلاح الدين وإبلاغه بتحركات الحملة. ينظر: مجهول: الحملة الصليبية الثالثة ٢٥/١-٢٧؛عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية ٣٣٩-٣٤٠.

(١) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة ٥٧/١-٥٩؛ شحادة: العلاقات السياسية ١٧٢.

(٢) Ambroise: The Crusade of Richard 168

* بهاء الدين قراقوش: هو قراقوش بن عبد الملك الأسدي، الخادم الصلاحي، وقراقوش لفظ فارسي معناه العقاب، ويطلق على الإنسان الشهم الشجاع، اتصل بخدمة صلاح الدين بعد وفاة أسد الدين شيركوه، وكان صلاح الدين يثق به ويعتمد عليه في مهماته، فجعله على زمام القصر عندما استقل بالديار المصرية، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية واعتمد عليه في تدبير أحوالها، وهو الذي بنى السور على مصر والقاهرة والقنطرة التي عند الأهرام، وقد سلم إليه صلاح الدين عكا بعد فتحها، ثم أسره الفرنج بعد استردادها، فافتداه صلاح الدين، توفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م. ينظر: ابن خلكان: ٩١/٤-٩٢؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٧٧/٦-١٧٨.

بناء أسوارها(١)، فغدت قوية التحصين، وتمكنت من الصمود لفترة طويلة في وجه تلك الجموع التي آثرت الانتظار حتى وصول التعزيزات الفرنجية الجديدة لتمكينهم من الاستيلاء عليها، ولم تلبث تلك الإمدادات أن وصلت، فتحرك السلطان باتجاه المدينة لرفع الحصار عنها، واشتبك مع الفرنجة في معارك عنيفة تمكن على إثرها من فتح الطريق إلى عكا، والاتصال بحاميتها.

أسهمت قوات بيسان، وكوكب بقيادة قايماز النجمي في هذه الأحداث، غير أن القوات الفرنجية لم تلبث أن هاجمت القوات الإسلامية في العشرين من شعبان سنة ٥٨٥هـ/١٤ تشرين أول سنة ١١٨٩م، وقتلت منهم أعدادا كبيرة، وحاولت القوات الإسلامية أن ترد تلك الهجمات إلا أن القوات الفرنجية اخترقت قلب الجيش الإسلامي، وشتت شمله بحيث أجبرته على التراجع بعيدا عن عكا، حيث وصلت فلول القوات المنهزمة إلى أطراف بيسان، وقطعت النهر إلى شرقية(٢)، وكان صارم الدين قايماز وقواته ضمن القوات التي تراجعت(٣) حتى أن سكان طبرية رحلوا عنها، وهذا ما يقوله ابن واصل: " كنا جماعة على بغال بغير أهبة قتال فرأينا العسكر موليا، والمنهزم عما تركه من خيامه ورحله متخليا، فوصلنا إلى طبرية فيمن وصل، ووجدنا ساكنها قد أجفل فسقنا إلى جسر الصنبرة، ونزلنا على شرقية وكل منا ذاهل عن شعبه وريه"(٤).

كانت قوات بيسان وكوكب مشاركة في تلك الأحداث إذ كان قايماز النجمي في ميمنة القلب مع غيره من الأمراء(٥) وشارك في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٥٨٦هـ/٢٦ تموز ١١٩٠م في الوقعة العادلية في مرج عكا حيث استطاع مع الملك العادل هزيمة الفرنجة بعد أن كانت الغلبة لهم إذ استغل الفرنجة تناقص عدد المسلمين في الميمنة، فقاموا بالهجوم على المسلمين حتى انهم وصلوا إلى خيمة الملك العادل ونهبوا ما فيها، ولكن العادل استطاع أن يحفز المسلمين على القتال، وقد تمكن ومعه عدد من الأمراء ومن بينهم قايماز النجمي من التصدي لهذه الهجمة، والقيام بهجوم معاكس على الجيش الفرنجي مما دفعهم إلى أن يلوذوا بالفرار أمام المسلمين، وقد كانت هذه الوقعة كارثة على الفرنج إذ قتل منهم ما يزيد عن خمسة آلاف جندي

---

(١) الأصفهاني: الفتح القسي ٢٠٩ .وينظر: الحنبلي: الأنس الجليل ٣٥٦/١.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية ١١٠. وينظر: ابن واصل: ٢٩٤/٢-٢٩٥؛ أبو الفداء: المختصر٧٧/٣؛ ابن العبري: تاريخ ٢١٦.

(٣) الأصفهاني: الفتح القسي ٣١١. وينظر: أبو شامة : الروضتين ٣٤٥/٤.

(٤) ابن واصل: ٢٩٧/٢.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية ١١٠. وينظر: ابن واصل: ٢٩٤/٢-٢٩٥.

أما من المسلمين فلم يستشهد سوى عشرة رجال(١).

شددت القوات الفرنجية المنهزمة من معركة حطين ومن ضمنها قوات بيسان الحصار على عكا، وقد برز دور رئيس أساقفة بيسان السابق في الحصار فقد أشارت المصادر المعاصرة إلى قيامه ببناء منجنيق ضخم مكنهم عدة مرات من مهاجمة المدينة، وتضييق الخناق عليها، وكانت الإمدادات تصلهم تباعا من الغرب الأوروبي، والمناوشات بينهم وبين المسلمين مستمرة، ومع ذلك لم يتمكنوا من إحراز نصر حاسم على القوات الإسلامية، مما جعلهم يتحرقون شوقا لوصول الحملة الفرنجية الثالثة التي كانت في طريقها إلى بلاد الشام. ولم يلبث أن وصل فيليب أغسطس إلى عكا في ١٧ ربيع الأول سنة ٥٨٧هـ / ٢٠ نيسان ١١٩١م، ثم لحق به ريتشارد ملك إنجلترا في ١٣ جمادى الأولى سنة ٥٨٧هـ/ ٩ حزيران ١١٩١م(٢).

عقد السلطان مجلس الشورى في خربة الخروبة* وكان من بينهم القاضي الفاضل -ابن بيسان- لتدارس الأمر، وكان من نتيجة ذلك صدور الأوامر من قبل السلطان بهدم أسوار بعض القلاع الداخلية ومنها طبرية، وبيسان، وكوكب(٣)، وذلك في إطار الاستعداد لمواجهة تلك المستجدات بحرمان الفرنجة من الاستفادة من المواقع المحصنة في فلسطين. وبوصول الحملة حارب صارم الدين قائد بيسان إلى جانب السلطان في الدفاع عن مدينة عكا والتي سقطت بيد الفرنجة ثانية في ١٧ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ/١٢ تموز ١١٩١م(٤) كما شاركت في معركة أرسوف في ١٤ شعبان ٥٨٧هـ/٩ أيلول ١١٩١(٥)، وكان صارم الدين ومعه قواته من ضمن الذين ثبتوا في وجه العسكر الفرنجي ومع أن الخسائر بين الجانبين كانت قليلة إذ استشهد من المسلمين أمير كردوس** وجماعة من مماليك الملك العادل، وجرح الملك الأفضل نور الدين

---

(١) ابن واصل: ٢/٣٢٥-٣٢٧. وممن كان معه في الميمنة الملك الأفضل نور الدين بن صلاح، وحسام الدين عمر بن أيوب بن شاذي وكنيته العادل سيف الدين أبو بكر ولد سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، ومن صفاته أنه كان حازما متيقظا، غزير العقل، سديد الرأي، صبورا حليما، توفي سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثا وعشرين سنة ولمصر تسع عشر سنة. ينظر: أبو الفداء: المختصر ٣/١٤٩-١٥٠.

(٢) Eracles: 156; cf.also: Ambroise : The Crusade of Richard 168-169

* خربة الخروبة:تقع إلى الشمال من مدينة جنين الحالية على بعد ١ كم تقريبا.ينظر: الدباغ:بلادنا : ٥/٦٦.

(٣) الأصفهاني: الفتح القسي ٢٩٤. وينظر: ابن الفرات: تاريخ ٤/١/٢٢٢؛ المقريزي : السلوك ١:١/١٠٤؛مجهول:الحرب الصليبية الثالثة ٢/٩٦. Ambroise:op.cit. 271-272

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية ١٧١-١٧٢. وينظر: ابن الأثير: الكامل ٩/٢١٤.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية ١٨٤.

** الكردوس من كردس: والكراديس:الفرق من الخيل: ويقال كردس القائد خيله أي جعلها كتيبة والكردوس: قطعة من الخيل وتساوي كتيبة من الجيش. ينظر: ابن منظور: ٣/١٦٠.

ابن صلاح الدين(١) إلا أن النصر في هذه المعركة كان بجانب الفرنجة(٢).

رغم الانتصارات التي حققها الفرنجة في الحملة الفرنجية الثالثة إلا أنهم فشلوا في الوصول إلى القدس، وطال أمد المعارك بينهم وبين المسلمين دون الوصول إلى نتيجة حاسمة مما حدا بهم إلى فتح باب المفاوضات مع السلطان صلاح الدين انتهت بعقد الصلح المعروف بصلح الرملة، وقد حصل الفرنجة بمقتضاه على يافا وأعمالها، وقيسارية وأعمالها ،وحيفا، وعكا وأعمالها. أما داخل فلسطين ومنها بيسان فبقيت بأيدي المسلمين، واشترط أن تكون عسقلان خرابا(٣)، وان تكون اللد والرملة مناصفة بين الطرفين، وسمح للفرنجة بزيارة القدس، وبحرية التجارة والتنقل بين الطرفين(٤).

وقع هذا الصلح نيابة عن السلطان صلاح الدين شقيقه الملك العادل في حين ناب عن ريتشارد Richard ابن أخته وباليان ابلين* Balian Ibelin، وكان ذلك يوم الأربعاء ٢٢ شعبان ٥٨٨هـ/٤ أيلول ١١٩٢م لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر على أن يكون اعتبار الصلح منذ ٣ أيلول الموافق ٢١ شعبان من السنة نفسها(٥).

---

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية ١٨٤. وينظر: ابن واصل: ٢/٣١٧-٣٦٨.

(٢) ماير: تاريخ الحروب ٢١٦. Ambroise:The Crusade 302

(٣) كان الدافع لتخريب مدينة عسقلان والإبقاء عليها ضمن بنود الصلح خرابا المصلحة العامة، خشية استيلاء الفرنجة عليها وهي عامرة وخشية من أن يقطعوا بها طريق مصر. وقد أدرك السلطان صلاح الدين عجز المسلمين عن حفظها لقرب عهدهم بعكا وما جرى على من كان مقيما بها. ورأى السلطان كذلك ادخار قوة المسلمين لحفظ بيت المقدس، وعلى كل كان السلطان قد استشار أخاه الملك العادل وأكابر الأمراء في ذلك، فأقروه على رأيه، وهكذا تقرر تخريب عسقلان حفظا لبقية البلاد، وأصر المسلمون في صلح الرملة على بقائها خرابا لنفس الهدف. ينظر: ابن واصل: ٢/٤٠٢-٤٠٤؛ لامب: شعلة الإسلام ٢٣٦ هامش١.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٩/٢٢١-٢٢٢. وينظر: ابن الجوزي: ٨/١/٤١٨-٤١٩؛ ابن واصل: ٢/٤٠٢-٤٠٤؛ مونروند: ٢/١٦٢-١٦٣؛ مجهول: الحملة الصليبية الثالثة ٢/٢٦٦.

* باليان ابلين Balian Ibelin : تزوج من مريم كومنينا أرملة عموري الأول في الفترة الواقعة بين سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦-١١٧٧م وبزواجه من مريم كومنينا أصبح سيدا " لإقطاعية نابلس التي كان الملك عموري قد منحها لمريم بعد زواجه منها، وكان يقدم خمسة وعشرين فارسا للملك، وقد اشترك في معركة حطين، وعندما دارت الدوائر على الجيش الفرنجي هرب باليان إلى صفورية، ومنها اتجه صوب نابلس، ولما وجد زوجته قد غادرتها اتجه إلى بيت المقدس، وقد تولى أمر المفاوضات نيابة عن ريتشارد والتي أنهت بعقد صلح الرملة. ينظر: الصوري: ٢/٨٨٤؛ البيشاوي: نابلس ١١١-١١٥. Ambroise :The Crusade 332; Rey : 409.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية ٢٨٣-٢٨٤. وينظر: الأصفهاني: الفتح القسي ٦٠٥؛ ابن الأثير: الكامل ٩/٢٢١-٢٢، سبط ابن الجوزي ٨/١/٤١٨-٤١٩، ابن واصل : ٢/٤٠٤؛ مونروند: ٢/١٦٢-١٦٣؛ أبو الفداء: المختصر ٣/١٠٤-١٠٥؛ مجهول:الحملة الصليبية الثالثة ٢/ ٢٦٦-٢٦٧

بعد عقد الصلح سار السلطان إلى مدينة القدس ومنها تحرك نحو مدينة دمشق في يـوم الخميس الموافق ٥ شوال من السنة نفسها، وجعل طريقه على المدن والثغور الإسلامية الداخلية، فـزار مدينة نابلس، ثم تحرك نحو بيسان فوصلها يوم الاثنين التاسع من شوال سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م وتفقد المدينـة، وصعد قلعتها، وقـرر إعادة بنـاء أسـوارها وقلعتها وبيـن كيفيـة بنائها، ورتب أمورها، وأمر بتخريب كوكب الهوا، إلا أنه عندما وصل إلى الثانية، وصعد علـى قلعتها عدل رأيه وصوبه(١)، وهنا يظهر إقرار السلطان صلاح الدين بأن يجعل مركز الولاية في كوكب الهوا بدلا من بيسان.

أما فيما يتعلق بسياسة صارم الدين الداخلية في بيسان وكوكب، فقد امتازت بالحكمـة، إذ نجح هذا الأمير في إدارة شؤونهما، فأحسن إلى الناس، وأقام العدل بينهم. وكان لتلك السياسـة المعتدلة أكبر الأثر في استقرار أحوالها وأحوال الغور بكامله، وإلى زيادة أعداد السـكان فيـها بصورة كبيرة(٢) إلا أن صارم الدين لم يستمر طويلا في إدارة شؤونها إذ أنـه عندمـا توفـي صلاح الدين في ٢٧ صفر سنة ٥٨٩هـ/ ٤ آذار ١١٩٣م كانت بيسان وكوكب بيد الأمير عـز الدين أسامة(٣).

٤-٢ بيسان خلال فترة الصراع بين ورثة صلاح الدين على الشـام ٥٨٩-٦٠٧هـ/١١٩٣-١٢١٠م

تعتبر وفاة السلطان صلاح الدين خسارة كبرى للجبهة الإسلامية المتحدة إذ بوفاته قسمت البلاد بين أولاده وأمرائه، فاستقل الملك الأفضل نور الدين علي في دمشق، والقدس، وطبريـة، وبيسان وجميع الأعمال حتى الداروم. أما الملك العزيز عثمان فقد انفرد بحكم مصر، في حيـن استقل الظاهر غازي في حكم حلب، وسيطر العادل سيف الدين على الكرك، والشوبك، والبـلاد الشرقية، هذا بالإضافة إلى جماعة من الأمراء الذين سيطروا على بعض المعـاقل والحصـون منهم عز الدين أسامة، وكان بيده قلعة كوكب، وقلعة عجلون، وبيسان(٤).

حدثت المنازعات، والخلافات بين الاخوة سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م خاصة الخلاف بيـن الملك الأفضل والملك العزيز عثمان، بسبب طمع كل من الأخوين بملك الآخر، وكان للأمـراء دور بـارز في توسيع شقـة الخلاف بين الأخوين ومن بينهم والي بيسان وكوكب الهوا صارم

---

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية ٢٨٥. وينظر: الأصفهاني: ٦١٣؛ ابن واصل : ٢/٤٠٨-٤٠٩.

(٢) البنداري: سنا البرق ٢٩٨.

(٣) ابن واصل: ٣/٤. وينظر: أبو شامة: الروضتين ٤/٣٦٩؛ أبو الفداء: المختصر ٣/٣١٠.

(٤) ابن واصل: ٣/ ٤. وينظر: أبو الفداء: المختصر ٣/١١٠.

الدين(١). ومما زاد في حدة الخلاف بينهما، أن بعض الأمراء فارقوا الأفضل، وتوجهوا إلى مصر حيث أقاموا في خدمة العزيز عثمان، الذي أكرمهم وأحسن إليهم ومن هؤلاء صارم الدين والي كوكب والغور السابق(٢).

ويبدو أن عز الدين أسامة والي بيسان وكوكب الهوا وعجلون قد شارك في الصراع الذي نشب بين أولاد صلاح الدين(٣)، ووقف إلى جانب العزيز عثمان وحرضه لضم الشام بعد أن أقنعه بان الأفضل لا يستطيع حكم الشام لما حوله من الأشرار والمفسدين(٤) .

وقد شهدت بيسان وكوكب في عهد أميرها عز الدين أسامة فترة من الهدوء، إذ لم تذكر لنا المصادر ما يشير إلى تعرضها لأية غارة فرنجية، أو أية أحداث تستحق الذكر.

في سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م بلغ العادل والملك العزيز ما وصلت إليه الأمور من الفساد في الشام إذ أن الملك الأفضل فوض أمور الشام إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزري، وقد لعب عز الدين أسامة وصارم الدين دورا بارزا في تحريضهما للخروج إلى الشام لإزالة ما وقع من فساد فقرروا الخروج إلى الشام(٥)، وفي رجب سنة ٥٩٢هـ/حزيران ١١٩٦م نجح العزيز عثمان في ضم دمشق لأملاكه مع إسناد ولايتها للعادل وذلك بعد أن حاصرها، وبذلك خرجت بيسان عن أملاك الأفضل لتنتقل إلى أملاك العزيز عثمان في مصر، وحل العادل محل الأفضل في حكم دمشق وأواسط الشام، وحاز عز الدين أسامة على منصب رفيع فصار صاحب سر الملك العزيز وصاحبه والواسطة بينه وبين الملك العادل(٦).

كما انضم عز الدين أسامة صاحب كوكب الهوا وبيسان إلى جانب الملك الأفضل بالخفاء في الصراع الذي نشب بينه وبين عمه الملك العادل بعد وفاة العزيز عثمان في ٢٠ محرم سنة ٥٩٥هـ/١٧ تشرين الأول ١١٩٨(٧)، إلا أن الملك العادل استطاع بسط سيطرته على مصر

---

(١) ويعود هذا الخلاف إلى أن الأفضل نور الدين علي أراد إعطاء القدس لأخيه الملك العزيز عثمان بإشارة من وزيره ضياء الدين بن الأثير، لإرضائه والتخلص من النفقات عليها، ولما بلغ نواب القدس عزم الأفضل على إعطائها لأخيه، حسنوا له أنهم يتكلفون بعمارة القدس ومصالحه ولا يحتاجون لأموال العزيز فوافق على ذلك وغير رأيه، وكان الدافع وراء تصرفهم هذا لخوف من الملك العزيز عثمان لكونهم استولوا على الأوقاف المرصودة للقدس، فخافوا من محاسبته لهم إذا ما اخذ القدس . ينظر: أبو شامة : الروضتين ٤/٤٢٠؛ ابن واصل : ٣/١٤-١٥؛ العزة: ٥٦-٥٧.

(٢) ابن واصل: ٣/٢٧.

(٣) الغساني: العسجد المسبوك ٢/٣٢٩. وينظر: ابن الأثير: الكامل ٩/٢٣١.

(٤) أبو شامة : الروضتين ٤/٤٢٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل ٩/٢٣٥ . وينظر: أبو شامة : الروضتين ٤/٤٢٨؛ ابن واصل: ٣/٥٥.

(٦) ابن واصل: ٣/٥٥.

(٧) ابن الأثير: الكامل ٩/٢٤٣. وينظر: أبو شامة : الروضتين ٤/٤٤٣.

والشام، فأعاد توحيد الدولة الأيوبية تحت سلطانه، ولكنه لم يقم بعزل عز الدين أسامة عن بيسان وكوكب الهوا(١).

خلال هذه المرحلة الحرجة والمثقلة بالمنازعات بين أبناء البيت الأيوبي للاستحواذ على السلطة، قبل أن يبسط العادل سيطرته النهائية على دمشق عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م، تعرض إقليم الجليل عام ٥٩٧هـ/١٢٠١م لغارة فرنجية عنيفة، إذ خرجت القوات الفرنجية من عكا وعسكرت في منطقة الغور، فزحف العادل بقواته ونزل قبالتهم على مقربة من بيسان، إلا أن تلك القوة قد تمكنت من إحداث أضرار كبيرة في المنطقة وخاصة في قلعة كوكب، وقد قامت القوات الفرنجية بمهاجمة عسكر العادل فجأة فأربكته، وأوقعت به خسائر فادحة، فانهزم بقواته إلى دمشق حيث طاردته القوات الفرنجية إلا أنها ما لبثت أن عادت خوفاً من الكمائن والمصائد الإسلامية، بعدما قتلت وأسرت وأنزلت الخراب بالبلاد(٢).

٤-٣ بيسان في ظل حكم المعظم عيسى بن السلطان العادل وعلاقتها بالفرنجة ٦٠٧-٦٢٤هـ/١٢١٠-١٢٢٧م

شهدت بيسان تغيرات ملموسة إذ أن المعظم عيسى طلب من عز الدين أسامة أن يسلمه بيسان، وكوكب الهوا، وعجلون فرفض الثاني، فأشار جماعة من الأمراء على أسامة بذلك، فلم يلتفت إليهم، وأغلظ لهم في القول، فبلغ الملك المعظم ذلك،وفي أواخر سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م حضر المعظم إلى مصر(٣)، وعندما علم عز الدين أسامة بوصوله فر هاربا منه فتبعه المعظم، فأمسك به سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م في القدس، وسجنه في الكرك،ثم توجه إلى كوكب وحاصرها، فتسلمها من غلمانه، وأمر بهدمها ، وصادر منها جميع أموال عز الدين أسامة(٤).

---

(١) أبو شامة: الروضتين ٤/٤٥٠. وينظر: ابن شداد: الاعلاق ١٣٣؛ ابن واصل: ٣/١١٩.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/١٦٨.

(٣) ابن واصل: ٣/٢٠٧-٢٠٨.

(٤) ابن العميد: ٦.وينظر:ابن واصل: ٣/٢٠٩-٢١٠؛ ابن أيبك الدواداري:كنز الدرر ١٧٢؛أبو الفداء:المختصر ٣/١٤١-١٤٢.

أما فيما يتعلق بمملكة بيت المقدس، فقد اعتلى عرشها سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م يوحنا برين Jhon Brin(١) الذي استهل عهده بتجديد الهدنة مع الملك العادل لمدة ست سنوات جديدة، للتفرغ لمعالجة المشاكل التي تعاني منها المملكة، وما أن انتهت تلك الهدنة سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م(٢) حتى كان البابا هونوريوس الثالث قد اصدر أوامره في ربيع الآخر ٦١٤هـ/نهاية تموز ١٢١٧م للقوات الفرنجية المحتشدة في إيطاليا وصقلية بالتوجه إلى قبرص ومنها توجهت الحملة بقيادة هيو بن عموري إلى عكا، وكانت بلاد الشام في تلك السنة تعاني من الجفاف وضعف المحصول، فعذر على المملكة تموين ذلك الجيش. فلما وصلت هذه الحملة أصدر ملك عكا يوحنا برين تعليماته إلى القوات المحتشدة بالسير فوراً إلى الجليل(٣).

كان الملك العادل بمصر، فسار منها إلى الشام فوصل إلى تل بيسان(٤)، وكان الفرنج قد سبقوه إلى عين جالوت فأحرقوها(٥) وتقدموا إليه عازمين على محاربته، لعلمهم أنه في قلة من العسكر، لأن العساكر كانت متفرقة في البلاد، فلما رأى العادل قربهم منه، تجنب الاشتباك معهم وأمر جيشه بالانسحاب إلى عجلون رغم معارضة ابنه المعظم الذي كان يبغي القتال، ولكن العادل نهر ابنه وشتمه بالعجمية، وقال له:" بمن أقاتل؟ أقطعت الشام مماليكك، وتركت من ينفعني من أبناء الناس"(٦) خوفاً من هزيمة تنزل بقواته الضعيفة العدد، وكان حازماً كثير الحذر، ففارق بيسان وعبر الشريعة ونزل عند عقبة فيق*(٧).

---

(١) يوحنا برين Jhon Brin:فرنسي الأصل وكان أحد القادة العسكريين في فرنسا، وقد اختاره الملك الفرنسي فيليب أغسطس ليتزوج من الملكة ماريا، ورغم أن يوحنا كان مفلساً وفي الستين من عمره إلا انه كان ذكياً وصليبياً متحمساً للفكرة الصليبية،وقد زوده البابا إنوسنت الثالث والملك فيليب بمبلغ كبير من المال من أجل السفر إلى فلسطين، ويقال أن المقصود باختيار يوحنا هو أبعاده عن فرنسا بسبب ما أشيع عن علاقة غرامية بينه وبين إحدى الكونتسات، وقد وصل يوحنا إلى عكا في ٢٢ ربيع الأول ٦٠٧هـ/١٣ أيلول ١٢١٠م ومعه ٣٠٠ فارس فرنجي، إلا انه يحط بمكانه كغيره من قادة الفرنج. ينظر: الفيتري: ١٧١،هامش٢. Eracles :306; Grousset:3/192-193

(٢) سبط ابن الجوزي: ٨:٢/٥٨٣-٥٨٤.

(٣) الفيتري:١٥٠.إلا أن الفيتري اخطأ عندما أشار إلى أن هذه الحملة استولت على طبرية،في حين أجمعت المصادر العربية والأجنبية على أن هذه الحملة استولت على بيسان.وينظر:حسنين:تاريخ جماعة الفرسان التيوتون١٥٨-١٦٠. Eracles : 323-324

(٤) سبط ابن الجوزي:٨:٢/٥٨٣-٥٨٤. وينظر:ابن واصل ٣/٢١٥-٢١٦؛ ابن ايبك الدواداري : كنز الدرر ١٨٧. Eracles : 324-325

(٥) سبط ابن الجوزي:٨:٢/٥٨٣.

(٦) سبط ابن الجوزي :٨:٢/٥٨٣ . وينظر: عاشور : الحركة الصليبية ٢/٩١٧.

(٧) ابن واصل: ٣/٢١٥-٢١٦.وينظر:حسنين:تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ١٥٩؛العسلي:فن الحرب١٨٥-١٨٦.

* عقبة فيق: المكان الذي ينحدر فيها إلى غور الأردن وهو يشرف على بحيرة طبرية. ينظر: الحموي، ياقوت: معجم ١/٣١٩.

كان انسحاب العادل من بيسان مخيباً لآمال أهلها الذين لم يستطع الفرار منهم سوى قلة قليلة، في حين وجد الفرنجة المدينة خالية من كل وسائل الدفاع، فاستولوا عليها وعلى المنطقة المحيطة بها، وغنموا منها غنائم وفيرة، إذ كانت أسواقها مليئة بالغلال والمواشي، وأقاموا بها ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون ويحرقون، ثم اجتازوا نهر الأردن إلى شرقية، ووصلت غاراتهم إلى نوى من بلد السواد، ثم عادوا بعد ذلك إلى فلسطين، فبثوا سراياهم في تلك المنطقة حيث تمكنوا من نهب وتخريب المنطقة الممتدة ما بين بيسان ونابلس، ثم توجهوا من بيسان إلى الطور، وفرضوا الحصار عليها، ولكنهم لم يتمكنوا من دخولها(١).

برز دور بيسان في الدفاع عن قلعة الطور في الهجوم الذي نظمه يوحنا في ٢ رمضان ٦١٤هـ/٣ كانون الأول ١٢١٧م، حيث أن قائدها قنديل* قاتل عنها بشجاعة إذ أنه خرج من القلعة ومعه عدداً من قواته، واقتحم صفوف الفرنج ففرق شملهم لما لقوه من شدة بأسه في القتال، وقوته فكان له الأثر الواضح في فشل الفرنجة في اقتحامها(٢).

ربما كانت هذه الأعمال التي قام بها الفرنجة بقصد السلب والنهب والحصول على المؤن أكثر منها لتحقيق أية مكاسب توسعية. ومما يؤكد ذلك أنهم لم يستقروا في المنطقة التي دخلوها كما أن المحاصيل في عام ٦١٤هـ/١٢١٧م قليلة مما يعني عدم استطاعتهم البعد عن مراكز إمداداتهم، كما كانت هناك ندره في الخيول لدرجة أنه لم يوجد ما يعرض منها للبيع، وقد كان لذلك أثره على هذه الغارات التي لم يعد يتوفر لها عنصر السرعة والمباغتة وهو أمر مهم بالنسبة لأي جيش مهاجم.

كما تعرضت بيسان وشمال فلسطين وشرق الأردن لهجوم فرنجي سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م -ما عرف بالحملة الفرنجية الخامسة- الحق بها خسائر جسيمة لما قاموا به من قتل وتدمير للمحاصيل الزراعية ونهب للأسواق(٣).

بينما كان المسلمون يمرون بهذه الظروف العصيبة، توفي الملك العادل في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٥هـ/٣١ آب ١٢١٨م مما أحدث هزة في أوساط المسلمين حيث شعروا أنهم

---

(١) ابن لقلق: ١٩/١؛سبط ابن الجوزي ٥٨٣/٢-٥٨٤؛ ابن الفرات: ٢٢٠/١:٥-٢٢٢؛ أبو الفداء: المختصر ١١٧/٣.
(٢) سبط ابن الجوزي: ٥٨٥/٢:٨. وينظر: الحنبلي:شفاء القلوب ٢٨١-٢٨٢.
(٣) سبط ابن الجوزي: ٣٨٩/١/٨.

فقدوا ملكاً قديراً في أمسّ الحاجة إليه للحفاظ على وحدة دولتهم، إذ كان الملك العادل قد قسم في حياته البلاد، فكانت مصر وأعمالها من نصيب الملك الكامل محمد، في حين كانت دمشق، والقدس والأردن، وطبرية، وبيسان، والكرك، والشوبك، واللاذقية، وجبيل وغير ذلك من الحصون من نصيب الملك المعظم عيسى(١).

في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م استولى الفرنجة على دمياط* فأحدث ذلك دوياً هائلاً في العالم الإسلامي، فبادر الملك المعظم عيسى للقيام بواجبه بتجهيز قواته من دمشق ومدن بلاد الشام ومن ضمنها بيسان للرد على هذا الاعتداء الذي تعرضت له دمياط(٢)، وفعلاً تحركت تلك القوات إلى مصر بقيادة الملك المعظم عيسى، وقد كان لوصولها أثر في رفع الروح المعنوية عند المسلمين في دمياط، وبينما كان الفرنجة يواصلون قتال المسلمين في مصر فتح باب المفاوضات بين الطرفين، فتقدم الملك الكامل بعرضه السخي لهم، والقاضي بتسليم القدس،وبيسان، وصيدا، وجميع الفتوحات الصلاحية ما عدا الكرك والشوبك نظير رحيلهم عن دمياط والديار المصرية، فاغتروا بما أحرزوه من نصر على المسلمين، ورفضوا ذلك العوض، وطلبوا إليه إضافة مبلغ ثلاثمائة ألف دينار عوضاً عن تخريب أسوار القدس،وذلك لإعادة إعمارها فلم يتم لهم ذلك(٣). ثم أعيد طرحه مرة أخرى في صيف ٦١٨هـ/١٢٢١م بإعادة مملكة القدس كما أعلن عن استعداده لدفع مبلغ الثلاثمائة آلف دينار التي كانوا قد طلبوها لإعمار أسوار القدس(٤)، غير أن الفرنجة رفضوا ذلك العرض. وأخيراً تغيرت موازين القوى لصالح المسلمين،إذ وصلت قوات الشام لمساعدة الملك الكامل، وتمكن المسلمون من استرجاع دمياط وذلك يوم الأربعاء ١٩ رجب ٦١٨هـ/٨ أيلول ١٢٢١م، وتم عقد الهدنة بين الطرفين(٥).

---

(١) الغساني: العسجد المسبوك ٣٦٣/٢. وينظر: ابن الأثير: الكامل ٣٢٧/٩؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين ٢٦/٢.

(٢) ابن واصل: ٣٢/٤-٣٣. وينظر: ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢٣٨/٦-٢٣٩.

*دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر، وهي مدينة مسورة وعليها محارس وبرجان بينهما سلسلة حديد لمنع المراكب من الدخول إليها وبها من الأسماك والطيور ما لا يوجد في غيرها قط ويباع صيفاً وشتاءً ويوزع إلى كافة الديار المصرية. ينظر: ابن شاهين: زبدة كشف الممالك ٣٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل ٣١٧/٩-٣١٨. وينظر: الحنبلي: شفاء القلوب ٣٠٦.

(٤) ابن ايبك: كنز الدرر ٢٠٩/٧.

(٥) ابن الأثير: الكامل ٣١٧/٩-٣١٨.

لم تلبث العلاقات أن ساءت بين الملك المعظم وأخويه الأشرف موسى والكامل محمد بسبب وقوفهما إلى جانب ابن أختهما الناصر فقام أرسلان ومنعه من بسط سيطرته على حماة وما حولها، مما دعا الملك المعظم عيسى إلى التحالف مع الخوارزميون* بقيادة جلال الدين منكبرتي خوارزم شاه، بينما قام الكامل محمد بإرسال فخر الدين بن شيخ الشيوخ** إلى الإمبراطور فريدريك في صقلية طالباً منه القدوم إلى عكا لمساعدته في نزاعه مع الملك المعظم عيسى،على أن يقوم بتسليمه مدينة القدس، وطبرية، وبيسان، وبعض المدن والبلاد التي استعادها المسلمون أيام صلاح الدين(١)، وقد قام المعظم بتجهيز عساكره لمنع الفرنجة من الاستيلاء على القدس إلا أنه توفي قبل إتمام ذلك في ذي القعدة سنة ٦٢٤هـ/١٢ تشرين الثاني ١٢٢٧م(٢).

٤-٤ بيسان في ظل حكم الناصر داود بن السلطان المعظم عيسى ٦٢٥-٦٣٥هـ/١١٢٨-١١٣٧م

بعد وفاة المعظم عيسى خلفه على أملاكه بما فيها بيسان وما حولها ابنه الناصر داود***. ولم يلبث الكامل محمد أن طلب من ابن أخيه الناصر داود أن يتنازل عن بعض أملاكه، فرفض الناصر طلبه، مما دفع الكامل إلى الزحف تجاه أملاك ابن أخيه في رمضان

---

*الدولة الخوارزمية: ينتمي الخوارزميون إلى محمد بن أنوشتكين وكان والده مملوكاً لأحد أمراء البيت السلجوقي، وقد رباه والده، فأحسن تأديبه فنشأ عارفاً وأديباً ،واشتهر بالكفاية وحسن التدبير، فعلى شأنه بين كبار السلاجقة، وتدرج في المناصب العليا في الدولة حتى اسند إليه حكم مدينة خوارزم عام ٤٨٩هـ/١٠٩٥م. وقد كان لضعف الدولة السلجوقية عقب وفاة السلطان ملكشاه ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، أثر كبير في بزوغ نجم الدولة الخوارزمية وظهورها كدولة مستقلة على أنقاض الدولة السلجوقية، وقد حاولت الدولة الخوارزمية بشتى الوسائل أن تقوي نفوذها في الشرق الأدنى، فوجدت في صراعات البيت الأيوبي فرصة طيبة لتقوية نفوذهم على حساب أمراء هذا البيت. ينظر: روثلان: تتمة وليم الصوري ١٢٦ هامش٧١؛ زيد: الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، مجلة كلية الآداب ، ٢٤٦-٢٤٩.

**فخر الدين بن شيخ الشيوخ: هو الأمير فخر الدين بن صدر الدين بن حموية، ولد بدمشق بعد عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وتربى وتعلم بها ثم تنقل بين بعض المدن الشامية لتلقي العلم، ثم انتقل مع والده إلى الديار المصرية، وعاش مقرباً من أبناء البيت الأيوبي، وتوفي بمصر سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، أما شيخ الشيوخ فقد كان لقباً فخرياً بالغ التشريف عند المسلمين، وكان يطلق في البداية على شيخ شيخة خانقاه دمشق زمن نور الدين محمود زنكي، ثم أصبح يطلق على شيخ مشيخة سعيد السعداء (الخانقاه الصلاحية) التي أقامها صلاح الدين في مصر، وهي أول خانقاه تقام بالديار المصرية. ينظر: زيان: العلماء ١١-١٤، ٤٦-٨٨.

(١) ابن واصل: ٢٠٦/٤-٢٠٧.

(٢) أبو الفداء: المختصر ١٣٨/٣.

*** الناصر داود بن المعظم عيسى ولد سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، تولى حكم دمشق سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م خلفاً لوالده، وسرعان ما تنازل عنها لعمه الأشرف موسى، وعوض عنها بالكرك، والبلقاء، والأغوار، ونابلس، وأسس فيها إمارة عرفت باسم إمارة الكرك الأيوبية. ينظر :أبو شامة: الذيل على الروضتين٢٠/١؛ اليونيني: ١٢٦/١.

سنة ٦٢٥هـ/ آب ١٢٢٨م فاستنجد الناصر بعمه الأشرف الذي نهض لمساعدته، بعد أن أعلن أنه لم يقدم إلا ليرى الفرنج لم يفيدوا من الوضع، كما أنهم لم يضموا إليهم فلسطين. وردّد الكامل علناً هذه الدعوى، بينما كان فردريك في طريقه إلى الشرق. فالتقى الأخوان، الكامل والأشرف عند تل العجول -قرب غزة- واتفقا على أن يقتسما بينهما بلاد ابن أخيهما، الذي ظل يحتج على أن تصرفهما يخالف مصلحة الإسلام. وأثناء ذلك كان الناصر داود يعسكر بجيشه في بيسان، حيث دبّر الأشرف خطة لأسره. غير أن الناصر سمع بالمؤامرة، فلاذ بالفرار إلى دمشق، وتمكن الكامل من بسط سيطرته على طبرية، وبيسان، والأغوار، ونابلس، والخليل، والقدس، وغيرها من البلاد التابعة للناصر داود، ثم سار إلى نابلس(١).

لقد تزامن ذلك مع وصول الإمبراطور فريدريك الثاني على رأس قواته إلى عكا في يوم الخميس الموافق ٥ شوال سنة ٦٢٥هـ/٨ أيلول ١٢٢٨م فيما عرف بالحملة الفرنجية السادسة، حيث بدأت مفاوضات بين الطرفين ورتب الولاة من قبله في نابلس، والخليل، وبيسان، وغيرها من الأعمال التابعة للناصر داود(٢). واستمرت المفاوضات لفترة طويلة حيث انتهت بتوقيع الاتفاقية في تل العجول بظاهر غزة والتي حصل الفرنج بمقتضاها على بيت المقدس، وبيت لحم، والناصرة، في حين بقي المسجد الأقصى وقبة الصخرة بأيدي المسلمين، كما حصل الفرنج على مدينتي صيدا وتبنين وجميع القرى الواقعة على طول الطريق بين يافا وعكا والقدس إضافة إلى اللد والرملة. في حين احتفظ المسلمون بطبرية، وبيسان، ونابلس، والخليل، وحددت المعاهدة بعشر سنوات(٣). وبقيت بيسان وقراها تحت سيطرة الكامل محمد حتى تنازل الناصر داود عن دمشق والشوبك إلى عمه الكامل الذي رد إليه بلاده باستثناء دمشق والشوبك وبيت المقدس. ثم قام الناصر داود بتأسيس إمارة الكرك الأيوبية وأصبحت بيسان والقدس والخليل ومنطقة شرقي الأردن من ضمن الإمارة(٤).

لم تمض بضعة أسابيع على توقيع المعاهدة ورحيل فردريك عن القدس حتى دبر أئمة المسلمين والزهاد في بيسان ونابلس والخليل في ٦٢٧هـ/١٢٢٩م هجوماً على بيت المقدس، فهرب النصارى على اختلاف نحلهم إلى برج داود للاحتماء به، وقاموا بطلب النجدة من عكا،

---

(١) ابن شداد: الأعلاق ١٣٣. وينظر: ابن الأثير : الكامل ٩/٣٧٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٩/٣٧٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل ٩/٣٧٨. وينظر: ابن لقلق: ٤/١/٥٢،٥٣.

(٤) غوانمة : إمارة الكرك ٢٣١.

ولم يجبر المغيرين على العودة سوى قدوم نائبي الإمبراطور باليان سيد صيدا، وحاربه على رأس جيش، وأنكر الأمراء المسلمون صلتهم بهذه الغارة(١). ولا شك أن ما قام به المسلمون من إغارة على بيت المقدس إنما يعبر عن رفض المجتمع الإسلامي لتلك المعاهدة وإصرارهم على مقاومة المحتل الفرنجي لبلادهم.

اتسمت احوال بيسان بالهدوء بعد هذه الغارة وتبعيتها لإمارة الكرك إذ لم تتعرض لأي هجوم فرنجي، وبقيت الأحداث تسير في سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م حيث توفي الكامل محمد، وتسلطن على مصر من بعده ابنه العادل الثاني.

حاول الناصر داود استغلال هذه الفرصة لاسترداد ما كان قد اقتطعه منه عمه الكامل، ولكن الجواد مظفر الدين يونس نائب العادل في دمشق خرج له، وجرت بينهما معركة في موقع ظهر الحمار بين نابلس وجنين في يوم الأربعاء ١٤ ذي الحجة ٦٣٥هـ/٢٨ تموز ١٢٣٧م انتهت بهزيمة قاسية للناصر داود، في حين ازداد الجواد يونس قوة حيث استولى على جميع خزائن الملك الناصر(٢)، ولكن الملك العادل الثاني تخوف من الجواد، فأمر برد ما أخذه من الملك الناصر داود، فأعاد الجواد للناصر ما أخذه منه(٣)، وبالتالي عادت بيسان مرة أخرى للانضمام إلى إمارة الكرك الأيوبية بزعامة الملك الناصر داود.

٤-٥ سلطنة الصالح نجم الدين أيوب وأهم الأحداث التي جرت في بيسان في عهده ٦٣٥هـ-٦٤٧هـ/١٢٣٧-١٢٤٩م

لم تلبث بلاد الشام أن غرقت في النزاع بين أبناء البيت الأيوبي وذلك حينما أعلن الملك الصالح نجم الدين أيوب بعد استيلائه على دمشق من أخيه العادل عن رغبته في الاستيلاء على السلطة في مصر مستعيناً بعمّه الصالح عماد الدين إسماعيل* حاكم بعلبك، وفي طريقه إلى

---

(١) رنسيمان : تاريخ ٣/٣٤٠-٣٤١. Benvenisti: The Crusaders 48

(٢) ابن سباط: ٣١٦/١. وينظر: أبو الفداء : المختصر ١٦٢/٣-١٦٣؛النويري: ٢٣١/٢٩.

(٣) ابن واصل: ١٩٣/٥.

*الصالح عماد الدين: هو الصالح إسماعيل بن العادل بن أيوب تولى إمارة دمشق ٦٣٩هـ/١٢٤١م، وخلال توليه لها دخل في صراع مع ابن أخيه الصالح أيوب، فتحولت الشام إلى ساحة للفوضى، وقد تعاون مع الفرنج، ووقع معهم معاهدة تنازل عن قلاع طبرية وعسقلان وتبنين ٦٣٩هـ/١٢٤١م، وتحالف معهم في حربه ضد الصالح أيوب، وتوفي ٦٤٥هـ/١٢٤٧م.ينظر: ابن كثير: ١٩١/١٣.

مصر استولى نجم الدين أيوب على نابلس، ومكث بها منتظراً عمه الصـــالح، إلا أن الصـــالح إسماعيل لم يتبعه، فقرر الصالح نجم الدين العودة إلى دمشق فلما وصل إلى بيسان علم أن عمـه الصالح إسماعيل قد غدر به، واستولى على دمشق عدا القلعة، فلم تستسلم، فحث الصالح نجـــم الدين جنده على أن تقـــاتـــل عمـــه الصـــالح إســـماعيل وعبر النهر(١)، إلا أنه تخلـــى عنـــه معظم جنوده، وذلك بسبب خوفهم على أولادهم وأهليهم بدمشق، وكان الفساد قد استشرى فيـــها، فتركوا الصالح نجم الدين، وساروا إلى دمشق، وبقي مع الصالح من مماليكه ما دون المائة رجل وبرفقته جاريته شجر الدر أم خليل، وهنا قرر نجم الدين العودة إلى نابلس، فطمع فيه أهل الغور والقبائل، وكان مقدمهم شيخاً جاهلاً يقال له تبل من أهل بيسان قد سفك الدمـــاء، فأغـــار علـــى عسكر الصالح، ونهب منه واستمر يغير عليهم حتى وصل إلى سبسطية، فوقع بينهم قتال تمكّـن عسكر الصالح من هزيمته، وكان ذلك سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م(٢).

من الواضح من إشارات بعض المصادر إلى أن تبل هذا ومن معه كانوا قد خرجوا على الأمراء الأيوبيين قبل هذه الواقعة إلا أن المصادر لم تشر لنا على من وما هو السبب وراء ذلك، إلا أن الباحث يرى بأنّ ما كان يقوم به تبل ليس لدافع سياسي، وإنّما هو دافع اقتصادي الـــهدف منه النيل من القـــوافـــل المارة وخصوصـــاً أن هذه الفترة تميزت بعدم الاســـتقرار في المنطقة للخلافات التي وقعت في البيت الأيوبي وفي هذه الفترة عاد الناصر داود إلى الكرك حيث علـــم بما حل بالملك الصالح أيوب(٣) فما كان من الناصر إلا أن أرسل عساكره التي ألقـــت القبـــض على الصالح أيوب، وأرسلته إلى الكرك وسجنه(٤). إلا أن سجن الملك الصالح لم يطل لأكثر من سبعة شهور حيث أفرج عنه الملك الظاهر(٥) بسبب الخلاف الـــذي وقـــع بيـــن النـــاصر داود والعادل الثاني حيث قاما بعد ذلك، وسارا إلى قبة الصخرة،وتحالفا بها على أن تكون ديار مصر للصالح أيوب، ودمشق، والبلاد الشرقية للناصر داود(٦)، ثم توجها إلى نابلس، وأقاما فيها وأثنـاء إقامتهما وصلت إليهما الرسل تستدعي الملك الصالح للقدوم إلى مصر لتسلّم الحكم بها بعد أن

---

(١) سبط ابن الجوزي: ٧٢٦/٢/٨. وينظر: ابن واصل : ٢٣١/٥؛ النويـــري:٢٦١/٢٩-٢٦٢؛ المقريـــزي: السـلوك ٣١٨/٢/١-٣١٩.

(٢) سبط ابن الجوزي: ٧٢٦/٢/٨، وينظر: ابن واصل :٢٣٢/٥؛ المقريزي: السلوك ٣٣٩/٢:١؛ ابن تغري بـــردي : النجوم الزاهرة ٣٠٧/٦

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٠٧/٦.

(٤) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر ٣٣٧/٧.

(٥) ابن خلكان : ٤٨/٥.

(٦) أبو الفداء: المختصر ١٦٦/٣.

قبض جماعة من المماليك الأشرفية على العادل الثاني وجعلوه في خيمة صغيرة وعليها من يحفظه(١).

لما تأكد الصالح أيوب والناصر داود من الأخبار الواردة إليهما تركا مدينة نابلس، وتوجها إلى مصر حيث وصلاها في ذي القعدة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م،واستقر الصالح أيوب في ملك مصر، وبصحبته الناصر داود، حصل عند كل واحد منهما نفور من صاحبه، فأخذ الناصر بتوزيع الأموال على الأمراء لاستمالتهم، ولما بلغ ذلك الملك الصالح أخرجه من مصر، وأخرج معه الأمير سيف الدين بن قليج، فوصلا إلى غزة ومنها توجها نحو الكرك، وهناك أقطع الناصر قلعة عجلون وبلادها وبيسان وأعمالها إلى سيف الدين، وكان سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م(٢).

على أن المنازعات لم تلبث أن نشبت من جديد بين الفرنجة والمسلمين، إذ قام الفرنجة في بيت لحم بقطع طريق المسلمين وقتلهم واستباحة أموالهم مما حدا بالملك الناصر صاحب الكرك، ونابلس، وبيسان، وجبل الخليل بتجهيز جيش، وأغار على بيت لحم وقتل كل من كان بها من فرنجي ونصراني، وأخذ الأموال وسبى الذراري(٣)، وقد أثار ما فعله الناصر بالداوية المقيمين في يافا مما أدى بهم إلى أن هاجموا نابلس، وقتلوا منها خلقاً كثيراً(٤).

ورغم وجود الخطر الفرنجي الذي بات يهدد المدن الفلسطينية الإسلامية إلا أن المنازعات بين أمراء البيت الأيوبي استمرت واتسعت شقتها، إذ ما لبثت العلاقات أن ساءت ما بين الناصر داود والصالح أيوب مما حدا بالناصر إلى إقامة تحالف مع الصالح إسماعيل من أجل محاربة الصالح أيوب، لا بل وتحالفا مع الفرنجة لمحاربته وانتزاع مصر منه مقابل تسليم الفرنجة كافة الأعمال الساحلية(٥)، وقد أدى هذا التحالف إلى قيام الصالح أيوب بحشد قواته بقيادة ركن الدين بيبرس* أحد مماليكه الذين كانوا معه في جيشه بالكرك متحالفاً مع الخوارزميين، وقد التقى الطرفان عند غزة، وتمكنت القوات المصرية والخوارزمية من

---

(١) ابن ايبك: كنز الدرر ٢٣٨/٧ . وينظر: أبو الفداء : المختصر ١٦٦/٣.

(٢) ابن العميد: ٣٠. وينظر: ابن دقماق:نزهة الأنام ١٢٨.

(٣) ابن لقلق: ١١٨/٢.

(٤) م.ن : ٢/ ١٣١.

(٥) النويري: ٣٠٥/٢٩. وينظر: المقريزي: السلوك ٣١٥/٢/١.

* ركن الدين بيبرس: هو من مماليك الصالح نجم الدين أيوب، ومن المقربين إليه، اعتقل معه في الكرك. ينظر: ابن واصل: ٣٣٧/٥. وصلت جموع الخوارزمية إلى غزة في صفر سنة ٦٤٢هـ/تموز ١٢٤٤م. ينظر: المقريزي:السلوك ٣١٦/١:٢.

هزيمة التحالف الفرنجي الشامي شر هزيمة في موقعة هربيا* بالقرب من غزة في ١٣ جمادى الأولى ٦٤٢هـ/١٧ تشرين الأول ١٢٤٤م(١)، ثم توجهوا إلى بيسان وأقاموا بها مدة ثم رحلوا إلى دمشق(٢) وبذلك يكون الصالح أيوب استولى على غزة، والسواحل، والقدس، وبيسان، والأغوار ولم يبق بيد الناصر سوى الكرك، والبلقاء، والسلط، وعجلون(٣)، ولكن هذه التبعية لم تدم كثيراً، فلما رأى الخوارزمية تبدل نية السلطان الصالح أيوب عما كان قد وعدهم به من إقطاعات يملكهم إياها تغيرت نياتهم عليه، واتفقوا على الخروج عن طاعته لذلك كاتبوا الأمير ركن الدين بيبرس، واستمالوه فمال إليهم، فكاتبوا الناصر داود صاحب الكرك، فوافقهم ونزل إليهم، واجتمع بهم، ثم عادوا إلى الكرك واستطاعوا الاستيلاء على نابلس، والقدس، والخليل، وبيت جبرين، وبيسان، والأغوار(٤)، وبهذا تكون بيسان قد عادت إلى حظيرة إمارة الكرك الأيوبية.

لقد استقر الخوارزمية في بيسان والأغوار، وقاموا بشن غارات على الساحل، وبدأوا يقومون بأعمال السلب والنهب من المناطق المجاورة لهم مما حدا بالملك الصالح إلى إعادة استمالة مملوكه ركن الدين بيبرس حيث تمكن من إقناعه ففارق الخوارزمية، وعاد إلى الديار المصرية، فاعتقل بقلعة الجبل(٥).

تمكن الصالح نجم الدين أيوب من وضع حد للخوارزمية، حيث قام بتجهيز جيش بقيادة المنصور إبراهيم صاحب حمص، وفخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، ثم توجهت هذه القوات نحو بيسان عادت ثانية إلى سيطرته بعد أن أجبر جموع الخوارزمية إلى الانسحاب إلى شرقي النهر، وتمكنت قوات الصالح أيوب من إحراز نصر عليهم عند بعلبك سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م(٦).

---

(١) النويري: ٣٠٥/٦. وينظر: المقريزي: السلوك ٣١٦/٢/١-٣١٧.

* قرية هربيا: تقع إلى الشمال من غزة، وتبعد عنها بضعة أميال، ذكرها المؤرخون الغربيون باسم فوربيا La Forbie ينظر: Eracles:309; Stevenson:311; Grousset 3/416

(٢) ابن واصل : ٣٤١/٥ . وينظر: زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ٧٧.

(٣) المقريزي: السلوك ١:٢ /٣١٨.

(٤) المقريزي : السلوك ١:٢ /٣٢١-٣٢٢.

(٥) المقريزي : السلوك ١:٢/ ٣٢٣.

(٦) زيادة : حملة لويس التاسع ٨٠.

بعد أن انتهى الصالح أيوب من حل مشاكله الداخلية وجّه أنظاره إلى الفرنج حيث وكل قائده فخر الدين لمحاربتهم الذي تمكن من إرجاع كوكب الهوا وطبرية، ثم توجه إلى عسقلان وأثناء ذلك علم بوصول الملك لويس التاسع Lewis IX* إلى قبرص، فيما عرف بالحملة الفرنجية السابعة، فقام الصالح بتهدئة الأجواء داخل البيت الأيوبي ليتفرغ للقاء تلك الحملة، التي خرجت من أوروبا نتيجة لسقوط بيت المقدس في أيدي المسلمين سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م والأحوال الفرنجية المتردية في الشرق الإسلامي(١). ثم ما لبث أن أسرع في العودة إلى مصر في شهر محرم ٦٤٧هـ/ نيسان ١٢٤٩م. ووصل الملك لويس التاسع Lewis IX إلى دمياط في ٢٠ صفر ٦٤٧هـ/٤ حزيران ١٢٤٩م، حيث سقطت دمياط في أيدي الفرنجة بعد أيام قليلة بسبب انسحاب القوات الأيوبية منها بقيادة الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، ولكن القوات الأيوبية والمملوكية ما لبثت أن أنزلت هزيمة ساحقة بالفرنجة قرب المنصورة، بحيث تمكنت من أسر لويس نفسه، فخرجت تلك الحملة من مصر تجر أذيال الفشل والهزيمة(٢).

خلال هذه الفترة، كان الصالح نجم الدين أيوب قد توفي في شعبان ٦٤٧هـ/تشرين الثاني ١٢٤٩م، وآلت بلاد الشام ومن ضمنها بيسان لحكم الملك المعظم تورانشاه** ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب(٣)، الذي لم يكد يصل إلى مصر ويتسلم فيها السلطة، حتى قاد المماليك ضده انقلاباً في ٣ صفر ٦٤٨هـ/٧ أيار ١٢٥٠م انتهى بتغيير نظام الحكم وانتقاله من

---

(١) جوانفيل: مذكرات ٨٣-٨٥.

للمزيد من المعلومات عن دوافع تلك الحملة ينظر: يوسف :العدوان الصليبي ٤٧-٥٣.

* لويس التاسع Lewis IX : ولد في ٢٣ ذي الحجة ٦١٢هـ/٢٥ نيسان ١٢١٥م في مدينة بواسي Poissy، وكانت أمه إسبانية الأصل، توج ملكاً على فرنسا ٧ ذي الحجة ٦٢٣هـ/٢٩ تشرين الثاني ١٢٢٦م، قام بحملة على مصر ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، ووقع بالأسر وبعد إطلاق سراحه سافر إلى عكا، وتوفي بحملة على تونس. ينظر: جوانفيل:مذكرات ٣٥-١٠٠.

(٢) جوانفيل:مذكرات ٩٥-١٠٠. وينظر:مونروند: ٢/٣٠٥-٣١٦؛ يوسف :العدوان الصليبي٩٩-١٠٠.

** الملك المعظم تورانشاه: كان حاكماً على حصن كيفا وحران والرها، وعندما بلغه خبر وفاة أبيه تنكر، وقدم مع النجابين على زيهم، وعبر البلاد حتى دخل دمشق، وأقام بها أسبوعاً، ثم سافر إلى مصر، ودخل المنصورة في ١٨ ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ/ ٢٣ شباط ١٢٥٠م، وملك مصر، ثم قتل بعد شهرين من الحكم ٦٤٨هـ/١٢٥٠م. ينظر: أبو شامة: الذيل على الروضتين ١٨٣؛ابن كثير: ١٣:٢٦٤-٢٦٥.

(٣) ابن شداد : الأعلاق ١٣٤.

البيت الأيوبي إلى المماليك البحرية*. وهنا قام نزاع مرير بين المماليك وأمراء بني أيوب في الشام، الذين رفضوا سلطة مماليكهم عليهم، ووجد ملك فرنسا لويس فرصته الذهبية في هذا النزاع لخدمة القضية الفرنجية، فقد كان يطمع بإيقاد نار الفتنة بين الطرفين فيضعف كليهما، أو يقضي أحدهما على الأخر، فيتسنى له تحقيق ما أخفق في الحصول عليه عن طريق الحرب والقتال. وفعلاً لم يخيب الأيوبيون والمماليك آماله، إذ انتقل حكم بلاد الشام إلى الناصر صلاح الدين يوسف** الذي قام بغزو مصر في شتاء سنة ١٨ شوال ٦٤٨هـ/٢ شباط ١٢٥١م، والالتقاء مع المماليك عند العباسية بقيادة أيبك***، حيث وقع القتال بين الطرفين كان النصر في بداية الأمر لصالح الأيوبيين إلا أن فرقة من المماليك كانت في الجيش الأيوبي انسحبت مما أدى إلى تحول النصر إلى هزيمة، لكن ورغم ذلك بقي الأيوبيون مسيطرين على بلاد الشام(١).

نتيجة لما أسفرت عنه تلك المعركة من هزيمة لجند دمشق، فقد بعث الناصر يوسف إلى عكا ملّوحاً لهم بالتنازل عن القدس مقابل مساعدتهم له ضد المماليك(٢)، فأرسل لويس سفارة إلى القاهرة ينذر أيبك أن لم تتم تسوية مشكلة أسرى الفرنج، فإنه سوف يحالف سلطان دمشق. وقد نجح رسول لويس في تحرير الأسرى الذين كانوا قد وقعوا في غزة سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م وفيهم مقدم الإسبتارية، فتم الإفراج عن ثلاثة آلاف أسير مقابل إطلاق سراح ثلاثمائة أسير مسلم(٣).

---

*المماليك البحرية: هم الجماعة الذين اشتراهم السلطان نجم الدين أيوب بديار مصر نظراً لما مر به من حوادث، وتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه حتى لم يبق معه سوى مماليكه، فلما استولى على مصر أكثر من شرائهم، وجعلهم معظم عسكره وقبض على باقي الأفراد الذين، كانوا مع أبيه وأخيه، وأعطى مماليكه الأمر، فصاروا بطانته المحيطين بدهليزه وسماهم البحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة على نهر النيل. ينظر: المقريزي: السلوك ١:٢ /٣٣٩-٣٤٠.

** الناصر صلاح الدين يوسف: هو الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز، ولد بقلعة حلب في ١٩ رمضان٦٢٧هـ/أول آب ١٢٣٠م، ولما توفي والده العزيز غياث الدين أبو المظفر في ٤ ربيع الأول ٦٣٤هـ/٥ تشرين الثاني ١٢٣٦م، تولى الناصر صلاح الدين يوسف بلاد أبيه، واتسعت مملكته، وقع في اسر التتار ونقل إلى هولاكو وبقى في خدمته اشهراً وقتل الناصر صلاح الدين سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م، وعقد عزاه بجامع دمشق في ٧ جمادى الأولى سنة ٦٥٩هـ/٩ نيسان ١٢٦١م. ينظر: ابن خلكان:٥/١٠؛ الذهبي:دول الإسلام ١٦٣/٢؛ أبو الفداء: المختصر ٢١١/٣.

***عز الدين أيبك: يعتبر أول سلطان للمماليك تزوج شجر الدر وحكم مصر.حاول أن يخطب بنت صاحب الموصل، ولما علمت بذلك شجر الدر قتلته،حكم لمدة سبع سنين، كان حازماً حسن التدبير والسياسة.القرماني: ٢٦٧/٢-٢٦٨.

(١) أبو الفداء: المختصر ١٨٤/٣.

(٢) جوانفيل : مذكرات ٢٠٠.

(٣) روثلان: تتمة وليم الصوري ٢٢٢-٢٢٥. وينظر: جوانفيل: مذكرات ٢٠٨-٢١١.

حرص أيبك في هذا الدور من أدوار العلاقات بين الفرنجة والمسلمين على صداقة لويس مستغلاً النزاع بينه وبين الأيوبيين إذ قام فرسان عكا بقيادة جون بالهجوم على مدينتي بيسان ونابلس سنة ٦٤٧هـ/١٢٥٠م(١)،فأرسل إليه لويس بطلب إطلاق جميع من تبقى في أيدي المماليك من الأسرى دون أية فدية،ولما أيقن ايبك أن رسول لويس يزور بلاط سلطان دمشق، استجاب لطلب لويس بإطلاق الأسرى مقابل عقد محالفة عسكرية مع الفرنجة لمناوأة الناصر يوسف.ووعد أيبك أنه متى احتل المماليك فلسطين ودمشق،فسوف يعيدون للفرنجة كل مملكة القدس القديمة التي كانت تمتد شرقاً حتى نهر الأردن،كما وافق لويس على إطلاق سراح جميع الأسرى لديه في أوائل محرم ٦٤٩هـ/نهاية شهر آذار ١٢٥١م.على أن المعاهدة كادت أن تفشل حينما رفض الداوية قطع علاقاتهم مع دمشق،فاضطر الملك إلى تأنيبهم طالباً منهم الاعتذار(٢).

٤-٦ أوضاع بيسان من قدوم التتار إلى فلسطين وحتى قيام الدولة المملوكية ٦٤٩-٦٥٨هـ/١٢٥١-١٢٦٠م

على أية حال لم ينفذ شيء من بنود هذه الاتفاقية، لأن المماليك حينما عرضوا تسليم القدس للفرنجة، لم يكن ذلك برضاهم وحبهم للفرنج، وإنما كانوا مضطرين لذلك لأن لويس تعهد لهم بعدم محالفة الأيوبيين بل والاشتراك معهم في محاربة الناصر يوسف الأيوبي، وفي سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م قام المعز أيبك بإرسال قواته إلى الشام لمحاربة الناصر يوسف بقيادة فارس الدين أقطاي*، فاستولى على الساحل ونابلس إلى نهر الأردن، وعاد إلى القاهرة(٣)، وقد أثار هذا النزاع القائم بين المماليك والأيوبيين مشاعر المسلمين وبخاصة في ظل تعرض المشرق الإسلامي للخطر التتاري**، لذلك سارع الخليفة العباسي لحقن دماء المسلمين، فأرسل

---

(١) Richard: The Latin 2/343-344

(٢) روثلان: تتمة وليم الصوري ٢٢٢-٢٢٥. وينظر: جوانفيل: مذكرات ٢٠٨-٢١١، ٢٢٨-٢٣٠.

* فارس الدين اقطاي: هو فارس الدين أقطاي بن عبد الله الصالحي النجمي.وكان توارنشاه قد وعده بأنه يأمره ولكنه لم يف بوعده. ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣١٧/٦.

(٣) المقريزي : السلوك ١:٢ /٣٨١.

**التتار : قبائل متبربرة تعيش على شاطئ بحيرة بويور في أقصى الشرق من هضبة منغوي. وهي مختلفة عن قبائل المغول، وكانت في نزاع مستمر وحروب دائمة معها، ولما كان التتار أقوياء فقد أصبحت لهم السيطرة على غيرهم من الشعوب وعلى اسم التتار، وحدث الشيء نفسه، بالنسبة للمغول. ولما وقع الصدام والقتال بين الجانبين وانتهى بانتصار المغول غلب اسم التتار على المغول ويطلق اسم التتار على المغول أحياناً. ذلك أن الإمبراطورية المغولية ضمت عناصر تتارية وأخرى مغولية، وقبائل أخرى. ولكن أهم العناصر كانت شعوب التتار والمغول واندمجت الفئتان في إمبراطورية واحدة ومنذ عصر جنكيزخان اخذ هؤلاء بالتوسع تجاه العالم الإسلامي. ينظر: عاشور، فايد: العلاقات السياسية ٢٧-٣٠.

مبعوثه نجم الدين البادرائي* لعقد الصلح بين الطرفين، وقد نجح البادرائي في مسعاه وتمكن من عقد معاهدة الصلح بين المعز والناصر في صفر سنة ٦٥١هـ/نيسان ١٢٥٣م(١). وبمقتضى ذلك الصلح حصل المماليك على غزة، والساحل، والقدس، ونابلس إلى نهر الأردن، مما يعني بقاء بيسان تحت حكم الناصر الأيوبي، كما نص الصلح على إطلاق المعز للأسرى الأيوبيين، وحلف كل منهما على ذلك(٢).

بقيت بيسان كما ألمحنا تحت حكم الناصر يوسف،وكانت المدينة في عهده تعاني من عدم الاستقرار والاضطرابات الداخلية بسبب قيام التركمان بأعمال السلب والنهب، واستمرت في يد الملك الناصر يوسف حتى سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م، حيث تم الصلح بين الملك الناصر والفرنجة في عكا وبموجبه عادت إقطاعية بيسان إلى الفرنج، وتم إعطاؤها إلى سيمون باليان(٣). إلا أن الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية من الإقطاعية بقيت في حوزة الناصر يوسف، حيث استمرت هذه الاتفاقية حتى انقضاء الدولة الناصرية في صفر سنة ٦٥٣هـ/آذار ١٢٥٥م(٤).

ثم ما لبث النزاع أن تجدد بين المماليك والأيوبيين إثر مقتل فارس الدين أقطاي زعيم المماليك البحرية في ٣ شعبان سنة ٦٥٢هـ/١٨ أيلول ١٢٥٤م، وهروب أنصاره ومنهم ركن الدين بيبرس البندقداري، وسيف الدين قلاوون الألفي**، وسنقر الأشقر إلى الناصر صلاح الدين يوسف، فقام المعز أيبك بإرسال رسله إلى الناصر محذراً إياه منهم، فانتهز الناصر هذه الفرصة، وطلب منه المعز أيبك إعادة جميع البلاد الساحلية التي كان قد أخذها منه عند توقيع

---

* نجم الدين البادرائي: هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن، ولقب البادائي نسبة إلى بادرايا من عمل واسط، وقد قام بالعديد من المهام الدبلوماسية مبعوثاً من قبل الخليفة العباسي إلى ملوك الشام ومصر توفي سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. ينظر: ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٥٧/٧؛ الحنبلي: شفاء القلوب ٣٥٦ هامش ٨٧.

(١) اليونيني: ٥٨/١؛ المقريزي: السلوك ٣٨٥/٢:١-٣٨٦.

(٢) أبو الفداء : المختصر ١٨٦/٣. وينظر : ابن الوردي: ٢٧٤/٢؛ اليونيني: ٥٨/١؛ المقريزي: السلوك ٣٨٥/٢:١-٣٨٦.

(٣) ابن شداد: الأعلاق ١٣٤-١٣٥؛ جوانفيل : مذكرات ٢٤٧ . Richard: The Latin 350-351

(٤) ابن شداد : الأعلاق ١٣٤-١٣٥. وينظر: المقريزي: السلوك ٣٩٣/٢:١.

** سيف الدين قلاوون:ت ٦٨٩هـ/١٢٩٠م أصله مملوك اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب كان من أكابر الأمراء تدرج في المناصب حتى صار من أكابر الأمراء، تولى الملك سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٨م، فتح بعض القلاع والحصون والمدن الشامية. كان شجاعاً وقوراً حارب التتار في أكثر من معركة، توفي في ٦ ذي القعدة ٦٨٩هـ/١٠ تشرين الثاني١٢٩٠م. أبو الفداء:المختصر ٢٣/٤.

المعاهدة السابقة، بحكم أنها كانت خاضعة لإقطاع المماليك البحرية، فوافق المعز على ذلك، وتم الاتفاق بسفارة البادرائي سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م(١)، وقد أقطع الناصر للظاهر بيبرس زرعين وجنين والمنطقة الممتدة غرب وجنوب بيسان ونابلس(٢).

بقي المماليك البحرية في خدمة الناصر حتى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م إذ قرروا مغادرة دمشق، وتوجه إلى الملك المغيث عمر* في الكرك لخلاف وقع بينهم وبين الناصر(٣)، وقد استمرت إقامتهم هناك حتى سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م حينما حصلت منافرة بين بيبرس، والمغيث مما حدا بالأمير بيبرس إلى مفارقة المغيث، والعودة ثانية إلى الناصر يوسف الذي قام بإقطاعة نابلس، ونصف بيسان (زرعين وأعمالها) بمائة وعشرين فارساً(٤)، وبقي على اقطاعة حتى حصل من الناصر ما أوجب بيبرس الانقلاب عليه إذ تخاذل الناصر صلاح الدين يوسف الثاني في التصدي للهجمات التتارية على البلاد الإسلامية مما دفع بيبرس إلى تركه، والتوجه إلى السلطان قطز** في مصر(٥). وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قليوب وأعمالها(٦). أما الناصر فبعد التخاذل الذي أبداه في مواجهة التتار احتار أين يتوجه، فترك دمشق، وتوجه هو ومن معه إلى عجلون، وعندما حاصرها التتار هرب منها إلى بيسان ومنها توجه إلى مصر(٧).

خرج المظفر سيف الدين قطز بالعساكر المصرية ومن انضاف إليه من عساكر الشام متوجهاً إلى فلسطين لحرب التتار وعند وصوله إلى عكا علم بوجودهم في الغور فأرسل

---

(١) اليونيني : ٥٩/١.

(٢) المقريزي: السلوك١:٢/٤١٥.وينظر:ابن أيبك الدواداري:كنز الدرر ٣٨/٨؛ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة٩٩/٧.

* المغيث عمر: هو المغيث عمر بن العادل أبو بكر بن الكامل أيوب قتل والده الصالح أيوب سنة ٦٤٤هـ، فأمر الصالح بسجنه في قلعة الشوبك، أطلق سراحه الطواشي بدر الدين الصوابي، وملكه الكرك والشوبك سنة ٦٤٨هـ، وكان المغيث طفلاً، فصار الحكم جميعه للطواشي بدر الدين وليس للمغيث إلا الاسم.ينظر : ابن دقماق: نزهة الأنام ١٧٢، ١٩٧، ٢٣١، ٢٥٥.

(٣) بيبرس المنصورة: زبدة الفكرة ٦١. وينظر الكبتي : ٢٧٣/١.

(٤) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ٢٦٣.

** قطز: هو محمود بن مودود ابن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك قتل على يد الأمير بدر الدين بكتوت والأمير علاء الدين انس والظاهر بيبرس البندقداري والأمير سيف الدين بهادر يوم السبت ١٣ ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ/٢١ تشرين الأول١٢٤٠م. ينظر: اليونيني: ٣٦٨/١.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩٩/٧.

(٦) العيني: ٢٣٤.

(٧) أبو الفداء: المختصر ٢٠١/٣.

الظاهر بيبرس بقوة من الجيش أمامه(١) للإستطلاع، وعندما وصل قطز بالجيوش الإسلامية إلى عين جالوت أخبره بيبرس عن اقتراب التتار منه في بيسان الذي لم يكن يعلم عن ذلك من قبل وفي يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ/٥ أيلول١٢٦٠م تمكن الجيش الإسلامي من مباغتة العدو بالهجوم عليه في عين جالوت وتمكن من هزيمة التتار الذين هربوا مولين الأدبار بعد مقتل قائدهم كتبغا نوين*، في اليوم نفسه(٢).

هنا لا بد لنا من الكشف عن الدور الذي لعبته بيسان وسكانها في تلك المعركة، وما تحملوه من أعباء إذ رفضوا الانضمام إلى كتبغا نوين أو مساعدته(٣)، لقد كان لها الدور الأبرز والمهم في مجريات أحداث المعركة وخصوصاً وأنها وقعت على أراضيها حيث قام أهالي المدينة بالكشف للظاهر بيبرس عن مكان تواجد التتار والذي كان قد بعثه قطز للاستطلاع قبل وصول الجيش الإسلامي إلى عين جالوت، لمعرفة الظاهر المسبقة بالمنطقة وسكانها مما وفر عنصر المباغتة والذي لعب دوراً مهماً في نتيجة المعركة، إذ استطاع أهالي المدينة والظاهر من مناوشة العدو واستدراجه إلى مكان معسكر الجيش الإسلامي في عين جالوت(٤). والذي لم يكن يعلم به كتبغا نوين وخصوصاً أن الناصر صلاح الدين يوسف الثاني كان قد أعلمهم بقلة الجيش الإسلامي، وهذا ما تبين عندما قام هولاكو بقتله عندما علم بما حل بجيشه في عين جالوت حيث قال له:" أنت غررتنا بما صغرت من أمر القوم"(٥).

كذلك لا بد وأن شارك أهالي بيسان الظاهر بيبرس في اختيار عين جالوت مكان ميدان المعركة، لمعرفتهم الكاملة بتضاريس المنطقة وإلى أهمية العين في تزويد الجيش الإسلامي بالماء، إضافة إلى مشاركة الأهالي إلى جانب الجيش الإسلامي في قتال التتار وتزويدهم بالماء والغذاء أثناء سير المعركة(٦).

---

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٦٣. وينظر: النويري: ٢٩/٤٧٤؛ابن دقماق: نزهة الأنام ٢٦٣؛ التحفة المسكية في الدولة التركية ٥٠.

* كتبغا نوين: أحد قواد التتار العظام، كان شجاعاً مديراً، وخبيراً بشؤون الحرب فتح الكثير من بلاد الشرق كان نائباً لهولاكو في بلاد الشام. بعد رجوعه إلى الشرق قتل في معركة عين جالوت على يد المماليك سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م.ينظر: ابن دقماق : نزهة الأنام ٢٤١،٢٦٠-٢٦١،٢٧٢؛ابن تغري بردي: النجوم ٧/٩٠-٩١.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٦٤-٦٥. وينظر: بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية٤٣، زبدة الفكرة ٥٢-٥٣، اليونيني: ١/٣٦٠-٣٦١ . وينظر : النويري: ٢٩/٤٧٤.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٦٢. وينظر: ابن العميد: ٥٣؛ ابن دقماق:نزهة الأنام ٢٦٣.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٦٤. وينظر: المقريزي: السلوك ١:٢/٤٣٠.

(٥) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية ٤٥.

(٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٦٥؛ تشريف الأيام والعصور ٢٦٣-٢٦٤؛ المقريزي: السلوك ١:٢/٤٢٢-٤٢٣.

كان لمعركة عين جالوت تأثيرا واضحا على منطقة الشرق الأدنى فقد أثبتت نجاح دولة المماليك في أول اختبار حقيقي لها كما عجلت بزوال المملكة الفرنجية المتداعية بعد أن تفرغ المماليك لمواجهتها، وتوجيه الضربات للمعاقل الفرنجية الواحد تلو الأخر، كذلك عجلت المعركة بزوال بقايا الأيوبيين في الشام بعد أن انهارت المدن التابعة أمام هجمات المغول عليها. وتمكن المماليك بعد ذلك من فرض سيطرتهم على بلاد الشام وإخضاع الأمراء الأيوبيين المناوئين لهم وبذلك أصبحت مصر والشام تحت سيطرة المماليك في وحدة ذاق الفرنجة منها الكثير، وهكذا اصبح قطز سيد الموقف غداة عين جالوت في الوقت الذي كان فيه المجتمع الفرنجي في بلاد الشام في حاجة إلى زعماء أمثال جودفري البويوني وبلدوين الأول(١).

ولكن قطز لم يهنأ طويلا بثمرة النصر الذي أحرزه. ففي أثناء عودته إلى مصر اتفق بيبرس مع مجموعة من الأمراء على التخلص منه بسبب موقفه من المماليك البحرية وفي ١٥ ذي القعدة ٦٥٨هـ/٢٢ تشرين الأول ١٢٦٠م نجح هؤلاء الأمراء في قتل قطز واعتلى بيبرس مكانه عرش السلطنة(٢).

٤-٧ أحوال بيسان في عهد السلطان الظاهر بيبرس ٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م

اقطع السلطان قطز بيسان للأمير شمس الدين آقوش البرلي، وقد بقيت مقطعة له حتى بعد مقتل السلطان قطز على يد ركن الدين بيبرس البندقداري سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م(٣) الذي أقره هو الآخر عليها، وقد نالت بيسان اهتمام الظاهر بيبرس الذي جعل منها ولاية تابعة لنيابة بيت المقدس(٤).وقد شملها الملك الظاهر برعايته فأمر بإعادة تعميرها، وتشييد الجسور عليها وبناء محطات البريد فيها مما دعم الأمن والاستقرار فيها فشهدت ازدهارا اقتصاديا لم تشهده من قبل، ولهذا كان عليها أن تشارك إلى جانب الدولة المملوكية في مجريات أحداثها السياسية والعسكرية، ففي ٢٧ جمادى الأولى يوم السبت سنة ٦٦٠هـ/٢٢ آذار ١٢٦٢م عندما وصل الملك المغيث إلى بيسان عقد الظاهر بيبرس فيها اجتماعا حضره كل من قاضي القضاة بدمشق، والعلماء، وأطلعهم على ما قام به الملك المغيث من مراسلة الفرنج ضده وأحضر الشهود، واطلع القضاة على الرسائل، وتم إلقاء القبض على المغيث، وأرسل إلى السجن بالديار المصرية(٥).

---

(١) عاشور: الحركة الصليبية ١١٣٨/٢ Mayer: The Crusaders 261

(٢) المقريزي: السلوك ١:٢ /٤٣٥.

(٣) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ٨٧. وينظر: النويري: ٤٤/٣؛ العيني : ٣٢٢.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٩٧. وينظر: أبو الفداء: المختصر ٢١٠-٢١١.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٥٠-١٥١. وينظر:المقريزي:السلوك ٤٨٢/٢:١؛ النويري: ٤٠١/٢٩.

في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٦٦١هـ/٢٤ نيسان ١٢٦٣م اجتمعت عساكر السلطان بيبرس في عين جالوت، ومن هناك تحركت وعلى رأسها السلطان لحصار الكرك مما أجبر أولاد المغيث على الاستسلام وتسليم مفاتيح الحصن والمدينة للسلطان(١).

قامت قوات بيسان بالهجوم على الفرنج في عكا أثناء حصار السلطان لقيسارية، فتمكنوا من قتل، وأسر جماعة من الفرنج على أبواب عكا، ورجعوا بغنائم كثيرة من الحيوانات وغيرها(٢).

خرج السلطان من الديار المصرية في شعبان سنة ٦٦٤هـ/أيار ١٢٦٦م قاصدا صفد فعسكر في عين جالوت، وبدأ بإرسال الجيوش للغارة على الفرنج في بلاد الساحل، فأغاروا على عكا، وصور، وطرابلس، وحصن الأكراد في يوم واحد، فغنموا، وسلبوا ما لا يحصر، وفي ٨ رمضان من السنة نفسها نزل السلطان على صفد وبدا بالإعداد لحصارها، فنصب المجانيق* والأدوات الحربية، ففرض الحصار عليها وبدأ بهدم أسوارها مما أجبر الحامية على التسليم في ١٨ شوال من السنة نفسها(٣)، وقد شاركت بيسان إلى جانب السلطان في هذه الأحداث وخصوصا كانت نقطة الانطلاق من أراضيها وهذا يعني أنه كان يتزود بالماء والغذاء من المنطقة لمعرفته بخصوبتها وتوفر المياه فيها.

لقد شاركت بيسان في الدفاع عن أراضي الدولة المملوكية وهذا ما حدث في سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م قاد هيو دي لوزيجنان المنظمات العسكرية الفرنجية بمشاركة القوات القبرصية نحو طبرية، فلما علم الأمير جمال الدين الشمسي مقدم عين جالوت والأمير علاء الدين مقدم صفد بذلك، تحرك كل منهما إلى عكا، فلما وصلا إلى وادي عثلين**، خرج عليهم الفرنج، ومن معهم من القوات القبرصية، إلا أن القوات المملوكية هزمتهم هزيمة نكراء حيث

---

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٦٣. وينظر: النويري: ٨٢/٣٠.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٣١. وينظر: النويري: ١٦٧/٣٠؛ ابن الفرات ١٠٨/١؛ المقريزي: السلوك ٥٢٦/٢:١-٥٢٧.

* المنجنيق: لفظ أعجمي معرب وهو اله من آلات الحصار في العصور الوسطى، وقد عرفه القلقشندي بأنه آلة من الخشب له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل ورأسه ثقيل يستخدم لضرب الأسوار بواسطة قذائف حجرية، وقد ذكر صاحب تبصرة الألباب ثلاثة أنواع للمجانيق وهي: العربي، والتركي، والفرنجي. ينظر: الطرسوسي: ١١٨؛ القلقشندي: ١٣١/٢.

(٣) اليونيني: ٣٣٧/٢-٣٣٨. وينظر: النويري: ١٦٢/٣٠-١٦٣.

** وادي عثلين: لم تحدد المصادر والمراجع الجغرافية مكانه وربما المقصود هو اعبلين أحد روافد نهر النعامين الموسمية. ينظر: الدباغ: بلادنا ١٧١/٢:٧.

ذبح من نجا منهم على أيدي المسلمين وكانت تلك القوة تقدر بألف ومائة فارس، وحزنت عكا عليهم حزناً شديداً وأقاموا لهم عزاء عظيماً(١).

في ٢١ ربيع الأخر سنة ٦٦٨هـ/١٩ كانون الأول ١٢٦٩م علم السلطان بخروج الفرنج من عكا للهجوم على صفد وجنين بعد أن تحالفوا مع التتار فحشد عساكره في مرج برغوث، وأمر جمال الدين الشمسي مقدم عين جالوت والأمير علاء الدين مقدم عسكر صفد بالغارة في ٢٢ من الشهر نفسه على الفرنج فخرج جماعة من الفرنج يتقدمهم كندلوفير المسمى زيتون، وكان السلطان قد نصب لهم كمين، فوقع القتال وتمكن السلطان من هزيمتهم وغنم كثيراً منهم وقتل أخ زيتون وابن أخته ومجموعة كبيرة من الخيالة ونائب عكا(٢)، كما قامت قوات بيسان بالمشاركة في الدفاع عن قاقون* في أواخر ربيع الآخر سنة ٦٦٩هـ/بداية كانون الأول ١٢٧٠م حيث تمكن جمال الدين الشمسي من إجبار الفرنج على الهرب بعدما تمكنوا من قتل ركن الدين الجالق والي المدينة قبل وصوله(٣).

٤-٨ الأحوال السياسية في بيسان حتى نهاية الحركة الفرنجية في بلاد الشام ٦٧٦-٦٩٠هـ/١٢٧٧-١٢٩١م

توفي الظاهر ركن الدين بيبرس في دمشق يوم الخميس ٢٧ محرم ٦٧٦هـ/٣٠ حزيران ١٢٧٧م بعد أن أجلس مكانه على تخت السلطنة ابنه الملك السعيد ناصر** الدين أبو المعالي محمد بركة(٤). ولكنه لم يستطع الاحتفاظ طويلاً بالعرش فأجبر على التنازل عنه في

---

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٦٨. وينظر: سميث: الاستبارية ١٣٥.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٣٦٣. وينظر: النويري: ٣٢٣/٣٠؛ ابن الفرات: ١٧٤/١.

* قاقون Caco: تقع على الطريق الرئيس فيما بين نابلس وقيسارية: وظلت تابعة للفرنجة إلى أن استردها صلاح الدين مع باقي المعاقل الفرنجية عقب تحطين، وعادت أيضاً بموجب صلح الرملة للفرنج، وقد امتلك فرسان الإسبتارية بعض الأراضي والمنازل لها. كما ظهر فرسان الداوية بها أيضاً عندما هاجمها صلاح الدين الأيوبي في ٥٨٣هـ/١١٨٧م، غير انه لم يعرف أن كانت إقامتهم بها دائمة أم مؤقتة آنذاك. وقد أشارت المصادر العربية إلى موضعين يحملان هذا الاسم. أحدهما بالقرب من الرملة، والأخر من عمل قيسارية من ساحل الشام، وسوف تصبح مركزاً مهماً عقب استرداد الظاهر بيبرس للإقطاعية من الفرنجة في ٦٦٣هـ/١٢٦٥م، وذلك بدلاً من قيسارية التي خربها وهدم أسوارها. ينظر: الحموي،ياقوت: معجم البلدان ٢٩٩/٤. Beyer: Akko und Galilaea41

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٣٩٦-٣٩٧. وينظر: المقريزي: السلوك ٢:١ /٥٣-٥٤.

** الملك السعيد: هو السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري، كان في عهد والده ينوب عنه في قلعة الجبل، وقد عهد إليه بالسلطنة بعد وفاة والده من ٦٧٦هـ/١٢٧٧ اجتمع عليه الأمراء وخلعوه وسجن في الكرك.ينظر:المقريزي:الخطط:١٢٦/٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٣٤٣/١:١.

(٤) أبو الفداء : المختصر ١٠/٤ . وينظر : ابن إياس: بدائع الزهور ٣٤٣/١:١.

٦٧٨هـ/١٢٧٩م لصالح أخيه بدر الدين سلامش* على أن يتولى سيف الدين قـلاوون مهمـة الأتابك الذي ما لبث أن مهد الأمور لصالحه وقام بعزل سلامش وارتقاء عرش السلطنة فـي ٢١ رجب ٦٧٨هـ/١٧ تشرين ثاني سنة ١٢٧٩م(١).

وفي ٦٨٠هـ/١٢٨١م علم السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون وهو باللجون بـأن سيف الدين كوندك الساقي وجماعة من الظاهرية اتفقوا على الغدر به وقتله، فتوجه إلى حمـراء بيسان وهناك استدعاهم للمثول بين يديه، فوبخهم وأمر بالقبض عليهم(٢)، وتمت محاكمتهم بعـد اعترافهم بذلك ومكاتبة الفرنج لمحالفتهم ضد السلطان فحكم عليهم بالإعدام في المكان نفسه(٣).

بعد رحلة قضاها سيف الدين قلاوون في الجهاد اعتل علة الموت وذلك أثناء اسـتعداده لغـزو عكا، واشتدت عليه إلى أن توفي في ٦ من ذي القعدة ٦٨٩هـ/١٠ تشرين الثاني ١٢٩٠م وتقلد الأمر من بعده السلطان الأشرف خليل قلاوون وبعد قضائه على المعارضة المألوفة في مثل هذه الحالة شرع في إتمام الاستعدادات لغزو عكا، فأرسل إلى مدن الشـام وحصونـها لاسـتنفار الأهالي للجهـاد، كما طلب جميع النواب هناك الحضـور بجيوشهم للمشاركة في الجـهاد(٤). وما من شك في أن ولاية بيسان ممثلة بواليها قد شاركت في الاستعدادات الموجهة لتحرير عكـا من البقايا الفرنجية لكون نداء الملك الأشرف كان عاما لكل ثغور ومدن الشام، كما أنه لازدهـار المدينة اقتصاديا وكثرة خيراتها ولاعتياد أهالي المنطقة على مشاركة سلاطين الدولة المملوكيـة على جهاد الأعداء وبالتالي ورغم عدم الإشارة في المصادر الإسلامية مباشرة إلـى مشـاركة بيسان إلا أننا نعتقد بأنها قد أسهمت إلى جانب المدن الشامية في هذا الشرف وباسـترداد عكـا خرجت أخر الشراذم الفرنجية من فلسطين، وعادت هذه البلاد إلى سابق عهدها عربية إسلامية.

---

*بدر الدين سلامش: هو السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس تسلم السلطة بعد خلع أخيـه الملـك السعيد وعمره ٧ سنين وقام بتدبيره الأمير قلاوون أتابك العساكر، ثم خلعه بعد مائة يوم وبعث به إلى الكرك فسجن مـع أخيه بركة بها؛ أبو الفداء:المختصر ١/٤. ينظر: المقريزي:الخطط ١٢٦/٣.

(١) أبو الفداء: المختصر ١٠/٤.

(٢) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام ٨٤. وينظر: بيبرس المنصوري: التحفة الملوكيـة ٩٧؛ النويـري: ٧٧/٣١-٧٨؛ المقريزي: السلوك ٦٨٥/٢:١-٦٨٦.

(٣) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ١٩٢-١٩٣. وينظر: النويري: ٧٩/٣١.

(٤) أبو الفداء: المختصر ٢٤/٤.

الفصل الخامــس

الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعمرانية في بيسان خلال فترة الصراع الإسلامي الفرنجي

٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م

تمكن الفرنجة بقيادة تانكرد من إخضاع مدينة بيسان سنة ٤٩٢ هـ/١٠٩٩م، مما أحدث تغييراً على الوضع الاجتماعي والفكري والعمراني والاقتصادي الناجم عن سياسة المحتل الفرنجي، وما كان يحمله من أفكار استيطانية واستعمارية يهدف بها إلى إقامة مملكة على أرض فلسطين، وهذا ما يرى من خلال المذابح التي نفذها الفرنجة بحق سكان بيت المقدس، وذلك بهدف إرهاب سكان المدن الأخرى، وإجبارهم إما على التسليم أو الفرار، مما أدى بإسراع أهالي مدينة نابلس إلى التسليم(١)، في حين مارس تانكرد في بيسان سياسة أدت إلى إخلاء الأهالي للمدينة(٢) اعتمدت على شن الهجمات المتلاحقة على التجمعات السكانية في المنطقة؛ مما أثّر سلبياً على نفسية السكان؛ ودفع الكثير منهم للنزوح عن أراضيهم وممتلكاتهم؛ خوفاً من تعرضهم للقتل أو الأسر.

٥-١ الحياة الاجتماعية

قبل الحديث عمّا أحدثته الحروب الفرنجية من تغيير في الحياة الاجتماعية فلا بد من الإشارة إلى البنية السكانية، إذ كانت تضم فئات مختلفة في الدين واللغة والعرق، فقد عاش على أرض بيسان آنذاك العربي، والتركي ، والأرمني، والسرياني، إلى جانب الفرنسي والإنجليزي والألماني، والإيطالي، ويأتي في طليعة فئات السكان العرقية والدينية العرب، وقد شكل هؤلاء أغلبية سكان الإقطاعية(٣)، وتعود أصولهم إلى تلك القبائل العربية التي هاجرت إلى المنطقة قبل الفتح الإسلامي وبعده، ومن القبائل العربية التي استقرت في بيسان عاملة وكندة اللتين تعودان بأصولهما إلى الأشعريين(٤).

وكان هؤلاء العرب من المسلمين الذين يعتنقون المذهب السني أو الشيعي،ويرجع انتشار المذهب الشيعي إلى خضوع المدينة والمناطق المحيطة بها للحكم الفاطمي(٥)، إلا أنه من المؤكد بأن أتباع المذهب الشيعي عادوا للاختفاء في أثناء الحكم السلجوقي السني للمدينة(٦)، ولا بد وأن المذهب الشيعي قد استمر في بيسان حتى بعد دخولها في حوزة الاحتلال الفرنجي، اعتماداً على ما قام به الأفضل، ومن قبله ناصر الدولة الجيوشي من إعادة الاستيلاء على أعمال فلسطين ودمشق من السلاجقة(٧).

---

(١) توديبود: ٣٣٧ . وينظر: مؤلف مجهول: أعمال ١٢٠؛ البيشاوي:نابلس ٤٧-٤٨. William of Tyre:1/ 395

(٢) Raoul : 704 . cf. also Albret d'Aix: 517-518 .Grousset ;Histoire des Croisades 1/179

(٣) ناصر خسرو: ١٨٨. Cf.also: Fabri : 385

(٤) اليعقوبي: البلدان٢٧٧. وينظر : المقريزي : ضوء الساري ٣٣-٣٥.

(٥) المقدسي البشاري: ١٧٩. وينظر: ناصر خسرو:١٨٠. Prawer: The Latin 285

(٦) Benvenisti: 10

(٧) ابن الأثير: الكامل ١٢٣/٨. وينظر: أبو الفداء: المختصر:١٩٢.

تركز وجود العرب بعد الاحتلال الفرنجي لمدينة بيسان في الريف، بينما لم يبق في المدينة سوى نسبة صغيرة من السكان، بسبب قيام الأمير تانكرد النورماندي بإجبار السكان المسلمين على إخلاء مدينتهم وإحضار نصارى عجلون عوضاً عنهم(١).

وكان في بيسان طائفة من المسيحيين الشرقيين (الأرثوذكس) Greeks الذين أقاموا في المدينة، والمناطق المحيطة مثل الناصرة وجبل طابور(٢)، ولعل ذلك يرجع لأهمية المدينة وما تمتعت به من مكانة دينية، إذ كانت تمثل رئاسة أسقفية حتى سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م، عندما قام تانكرد بنقل الرئاسة منها إلى جبل طابور(٣). وقد أشار عدد من الرحالة الأوروبيين إلى تواجد المسيحيين الشرقيين في بيسان، وغيرها من المناطق المجاورة ، وأعطوا انطباعاتهم عن هذه الطائفة التي كان يلجأ أفرادها إلى إطالة لحاهم بعكس المسيحيين الكاثوليك(٤).

يضاف إلى تلك الطوائف طائفة السريان* وطائفة السامرة** حيث أشار كل من المسعودي والمقدسي إلى وجودهم. فذكر المسعودي أنهم موجودون في بلاد فلسطين، والأردن، وفي قرى متفرقة كقرية عارا*** بين الرملة وطبرية(٥). أما المقدسي فذكر أن السامرة من فلسطين إلى طبرية(٦)، مما يرجح أن تكون تلك الأقلية من ضمن الاقليات التي حوتها بيسان ضمن بيئتها السكانية.

أما فيما يتعلق باليهود فيبدو أن أعدادهم في شمال فلسطين لم تكن كبيرة وقد أشار لهم بعض

---

(١) Prawer : The Latin 287

(٢) Ludolph von Suchem's: Description of the Holy Land 125

(٣) Ludolph von Suchem's: op.cit, 125. cf .also: Fabri : 387

(٤) بورشارد : ١٧٣. Albert d'Aix: 514. cf. also : Anonymous: Pilgrims 28

* السريان: هم يعتنقون المسيحية لا يتبعون أي مذهب من مذاهب اللاتين أو الأرثوذكس، وفي كل مكان يكونون تابعين لشعوب أخرى وهم يشبهون الأرثوذكس في جميع الأمور الدينية والدنيوية ويشبهون المسلمين باللباس إلا أنهم يختلفون عنهم بلبس حزام صوف على الوسط ويعملون عادة بالزراعة لا يتقنون القتال باستثناء بعضهم الذين يستعملون الأقواس والسهام ومن صفاتهم اللصوصية والجاسوسية. ينظر: بورشارد: ١٧٣؛الفتيري: ١٠٨-١١١؛ البيشاوي: الممتلكات ٣٦٨.

** السامرة: طائفة من بني إسرائيل سكن معظمهم مدينة نابلس بالقرب من جبل الطور حيث توجد مقدسات هذه الطائفة وكتابهم المقدس هو الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، وكلمة سامري تعني المحافظ، وهناك من يرى بأنهم خليط من العيلاميين والعرب والبابليين سكنوا اثر السبي البابلي الذي نفذه نبوخذ نصر ويرى البعض أن السامرة نسبة إلى شومريم التي ربما تكون مشتقة من شامر العبرية التي تدل على معنى الحراسة والمحافظة. ينظر: الفيتري: ١٣٠-١٣٤؛عارف:نابلس ١٠١-١٠٣؛كلبونة:١٢٦؛ الصاحب :٢٤.

*** عارا: هي قرية صغيرة، في جنوب حيفا عند قضاء جنين، يحدها من الشمال الشرقي كفر قرع ومن الشرق برطعة. ينظر: الدباغ: بلادنا ٧:٢/٦٣٨.

(٥) المسعودي: مروج الذهب ٧٢/١.

(٦) المقدسي البشاري: ١٧٩.

المؤرخين والرحالة فعلى سبيل المثال أشار المؤرخ البرت دكس إلى مقاومة يهود حيفا للفرنجة(١) أما الرحالة بنيامين التطيلي الذي حضر إلى فلسطين سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م، وبتاحيا الراسبوتي الذي زار فلسطين سنة ٥٧٠-٥٨٣هـ/ ١١٧٤-١١٨٧م فهما الوحيدان اللذان أشارا إلى وجودهم في بيسان وشمال فلسطين وبأعداد قليلة(٢) حيث أشار التطيلي إلى وجود مائة يهودي في طبرية(٣) كما أشار بتاحيا إلى وجودهم في بيسان، وذكر أن أحدهم كان يعمل بالتجارة(٤)، وقد أكد التطيلي بأن أعدادهم آخذه في التناقص في فلسطين منذ الحكم الروماني، إذ هاجرت أغلبيتهم إلى العراق(٥).

هذا فيما يتعلق بالبنية السكانية لبيسان قبيل الغزو الفرنجي، ومن المؤكد بأن تلك البنية لم تكن متماسكة نظراً لتعدد الطوائف، والملل الدينية، والعرقية مما أدى في النهاية إلى عدم الاستقرار السياسي في المنطقة، وما الصراع الذي شهدته المنطقة قبيل قدوم الحملة الأولى، وسقوط فلسطين بأيدي الفرنجة، وهو ما أشرت إليه في الفصل الأول من الدراسة إلا دليلاً على البنية السكانية الهشة وغير المتماسكة، والتي سهلت على الفرنجة مهمتهم في الاستيلاء على المنطقة.

استقر في بيسان إلى جانب تلك الطوائف فئة السكان الفرنجة الذين أخذوا في التوافد إلى الإقطاعية خلال فترة الصراع الإسلامي الفرنجي بأعداد كبيرة(٦) وقد ذكر السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م) بأنه لقي منهم في بيت المقدس، وفي بلاد فلسطين جماعة كثيرة(٧) وينتمي هؤلاء إلى شعوب عديدة فمنهم الألمان، والأسبان والبرتغال والفرنسيون والإيطاليون(٨) وكانت أعدادهم في بداية الغزو قليلة، ثم أخذوا بالتزايد والانتشار فيما بعد وقد تركز وجودهم في المدن والقلاع والمستوطنات التي تم إنشاؤها(٩). إضافة إلى نصارى شرق الأردن الذين قدموا إلى الإقطاعية في بداية الغزو الفرنجي لها(١٠).

ورغم الاختلاف والتباين العرقي فيما بين المستوطنين، إلا أنهم ما لبثوا أن استقروا في فلسطين وأخذوا ينسجمون مع بعضهم البعض.وبهذا يقول الشارتري "نحن الذين كنا غريبين، أصبحنا

---

(١) Albert d'Aix: 519-523- cf. also: Prawer: The History of the Jews 220-225
(٢) التطيلي: ١٩٧. وينظر: الراسبوتي: ١٩.
(٣) التطيلي: ١٩٧-١٩٨.
(٤) الراسبوتي: ١٩.
(٥) التطيلي: ١٩٧.
(٦) الفيتري: ٥٥. Cf.also: Benvenisti: 409
(٧) السمعاني: ١٠/١٩٧.
(٨) Anonymous: Pilgrims 29
(٩) الفيتري : ٥٥-٥٧.
(١٠) الصوري ١/٣٩٦ Albert d'Aix :518

الآن شرقيين،والذي كان رومانيـــا أو فرنسيـــا،أصبح جليليـــا أو فلسطينيـــا،ومن أتى من الرايـن أو شارتر أصبح الأن مواطنا في صور أو انطاكيا وقد نسينا الأن أماكن ولادتنا فهي غير معروفة لـدى الكثيرين منا الان ولا يرد ذكرها"(١). ومن هنا يتبين مما قاله الشارتري بأن هذه العناصر المختلفـــة قد اندمجت معا في إطار جديد هو المجتمع اللاتيني في الشـــرق الإســـلامي، جمعتـــهم المصـــالح الاقتصادية لدرجة أنهم نسوا أماكن ولادتهم لطول إقامتهم في فلسطين، وكثرة خيراتها، مما يعنـي أن تلك الأجيال التي توالدت في فلسطين في ظل الاستعمار الفرنجي لم تعد تعرف لها وطنا أخر غـــير فلسطين. وهنا يكمن وجه الخطورة في الاستعمار إذ أن الزمن في غير صالح أبناء البلاد الأصليين، لأن تلك الأجيال لا يعود يربطها في بلادها أي رابط، مما سيجعلها تستميت في الدفاع عن وطنـــها الجديد حتى أخر لحظة(٢).

ومهما يكن من الأمر، فقد استطاع المسلمون طرد الفرنجة الذين استقروا في بيسان، وسمحوا للعائلات الإسلامية من مختلف المناطق بالاستقرار فيها، ولذلك حضرت بعض العائلات الكرديـــة، والأيوبية، والتركمانية، والمملوكية، واستقرت في مدينة بيسان وقراها(٣).

من هنا نستطيع أن نقول بأن السمة العامة للبناء السكاني في إقطاعية بيسان امتازت بالتمزق والتشتت بشكل أعمق مما كانت عليه قبل الغزو الفرنجي، إذ لم يضف هذا الغزو إلا عنصرا إضافيا هم الفرنجة الذين تزايدت أعدادهم بشكل كبير بفعل سياسة تشجيع هجرتهم إلى فلسطين مما زاد فـــي الإخلال بالتوازن السكاني بين فئات السكان في بيسان وغيرها من المدن الفلسطينية.

الدين واللغة

أما الديانات التي سادت الإقطاعية فهي الديانات السماوية الثلاث:-

الإسلامية والمسيحية واليهودية، بمختلف مذاهبها، وقد أشار الشارتري إلى سيادة الديانة المسيحية بين القادمين الجدد فقال" ويوحد الدين المشترك ما بين أولئك الذين جهلوا أصلهم"(٤).

أما بخصوص اللغات التي تحدث بها سكان الإقطاعية فهي متباينة بتباين الفئات السكانية التي عاشت على تلك الأرض. وقد تعرض الشارتري إلى ذلك بقوله " ويلجأ الناس إلى استعمال التعـــابير والبيان من لـــغـــات شـــتى في التحـــادث فيما بينهم "(٥). إلا أن اللغـــة العربية كانت الأكثر انتشارا بين سكـــان الإقطـــاعية، بحكم أن الأغلبية الســـاحقة من السكـــان كانـــوا من العـــرب المسلمين

---

(١) الشاتري: ٢١٨.

(٢) الشارتري: ٢١٨-٢١٩.

(٣) الدباغ: بلادنا ٢:٢/٦٣.

(٤) الشارتري : ٢١٨ . Cf. also : Prawer : The Latin 301

(٥) الشاتري: ٢١٩.

والمسيحيين الذين تحدثــوا باللغة العربية(١).

وإلى جانب اللغة العربية وجدت اللغة العبرانية واللغة السريانية، وهذه اللغات كانت منتشــرة بين أهل الذمة من العرب(٢)، إلا أنهما أخذتا في التراجع حتى اختفتا نهائياً في القرن الثــالث عشــر الميلادي(٣). أما بالنسبة للمستوطنين الفرنجة فكانت لغاتهم مختلفة، ولما كان معظم ســكان المملكــة ينتمون لأصل فرنسي فقد سادت بينهم لغة شمال فرنسا Largue d'Oiel(٤). وكانت اللغة الألمانية قليلة الانتشار والاستعمال لتضاؤل دور الألمان في المجتمع الفرنجي(٥). وفضلاً عن ذلك انتشرت اللغــة اللاتينية، وكثر استخدامها في القدس وعكا، وكانت اللغة المستخدمة فــي الكنــائس، وفــي تدويــن المدونات التاريخية والقانونية(٦). إلا أن هذه اللغات لم تترك أثراً. ويعلق على ذلــك كلــود كــاهن بقوله: " إن اللغة التي بقيت مستخدمة بين السكان المحليين هي اللغة العربية، وإن اللغــة الفرنســية واللاتينية لم تترك تأثيراً كبيراً في السكان المحليين(٧).

الطبقات الاجتماعية وخصائصها

قام المجتمع الفرنجي على أساس ديني طبقي عنصري، إذ يترأس الملك الدولة، ويليه النبلاء الذين شكلوا طبقه متميزة من الفرنجة، يتبعهم الفرسان، ثم عامة الشعب من الـــبرجوازيين ويــأتي دونهم جميعاً سكان البلاد الأصليون(٨).

لقد تعايش الفرنجة مع غيرهم في دولة عنصرية، حيث امتازوا عن السكان المحليين، ولــم يفرقوا بين مسلم أو مسيحي شرقي، إذ أجبروا جميعاً على دفع الجزية، ومنعوا مــن لبــس الثيــاب الفرنجية(٩)، كما كان لكل طبقة منهم محكمة خاصة بــه(١٠).وبقيت حقوق مواطني الدرجة الأولــى

---

(١) الفيتري: ١١٠. وينظر : رنسيمان:تاريخ ٢/٤٨٠؛ براور:عالم الصليبيين ١٢٢. Conder: 166

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب٣/١٧٩. وينظر: الفيتري:١١٠،١١١؛ علي:خطط الشام٦/٢١٦؛ الحويري: الأوضاع الحضارية ٥٠. Conder: 166

(٣) ماير: ٢٣١.

(٤) رنسيمان: تاريخ ٢/٤٧٠. وينظر: الحويري: الأوضاع الحضارية ٥٠ Prawer: The Latin 196

(٥) الفيتري : ٥٥.

(٦) وينظر الحويري: الأوضاع الحضارية ٥٠. Anonymous : Pilgrims 28

(٧) كاهن : الشرق والغرب ٢١٨.

(٨) كاهن: الشرق والغرب ١٩٩-٢٠٠. وينظر: ماير: تاريخ ٢٣١؛ العسلي: الدراسات الصهيونية ١٢١-١٢٣.

(٩) كان هذا القرار قد صدر في أعقاب الاجتماع المهم الذي عقد في مدينة نابلس في ١٩ شــوال ســنة ٥١٣هـــ/١١٢٠م لمناقشة ما تتعرض له المملكة من كوارث، وقد اصدر المجتمعون ميثاقاً من خمسة وعشرين بنــداً. ينظــر: الصــوري: ١/٥٨٦-٥٨٧. Cf. also : Prawer: The Latin 519

(١٠) Beyer : Akko und Galilaea 242

مقصورة عليهم في حين انتقل أهل القرى تدريجيا إلى العبودية، وأصبحت أراضيهم ملكا للنبلاء والفرسان وذلك عن طريق المنح والهبات، وقد شملت عنصريتهم رجال الدين المسيحي، حيث تم إيجاد كنائس خاصة بالرهبان السود Black Monk، كتلك التي أقيمت على جبل الطور(١).

إلا أن هذا لم يمنع من تأثرهم بالسكان، ومن مظاهر ذلك التأثر بروز ظاهرة الاختلاط والزواج بين الفرنجة نظرا لقلة عدد النساء الفرنجيات اللواتي حضرن للشرق(٢) والمسيحيات من الموارنة والأرمن والسريان وحتى بعض النساء المسلمات الأسيرات اللواتي تنصرن(٣)، مما نتج عنه جيل من المولدين عرفوا باسم الأفراخ Pulani* وقد غلبت على هذا الجيل طبائع وعادات الشرق ومنها الشك والغيرة على الزوجات مما جعلهم يحبسون زوجاتهم في أماكن كالسجن ويضعونهن تحت حماية صارمة ودقيقة، حتى من أقرب الناس إليهن من الإخوة والأقارب، ونادرا ما كان هؤلاء يأتون إليهن لزيارتهن(٤)، كذلك قاموا بمنعهن من زيارة الكنائس مطلقا والحضور لاستماع المواعظ، لدرجة لم يكن معهن أمرا يسمح لهن بزيارة الكنيسة إلا مرة واحدة، لما ساد المجتمع من فساد. ومع ذلك، وجد منهم من كان يسمح لزوجته بالذهاب إلى الكنائس، أو إلى الحمامات العامة ثلاث مرات أسبوعيا، ولكن تحت حراسة صارمة(٥). ولا يفهم من ذلك أن هذا الجيل كان مثاليا في أخلاقه، بل على العكس من ذلك، إذ يرى الفيتري بأن هؤلاء كانوا عبئا على المملكة وسبب خرابها، إذ اتهمهم بالفساد، وبأنهم عاشوا في رفاهية مطلقة، وأدمنوا على الحياة الصاخبة غير النظيفة(٦).

العادات والتقاليد

اختلفت العادات والتقاليد في كل مكان حسب تنوع البلدان التي قدموا منها(٧). إلا أنهم لم يستطيعوا المحافظة على أساليب حياتهم وعاداتهم في فلسطين لكونهم كانوا أقل من الناحية العددية،

---

(١) العسلي: الدراسات الصهيونية ١٢١. وينظر : حسين: مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي ٥٥ -١٧٩.

(٢) الشارتري: ٢١٨.

(٣) جوانفيل: مذكرات ١٩٥-١٩٦.

*وأطلق عليه اسم البولان أو البولاني :اسم أطلق على أولئك الذين ولدوا في الأراضي المقدسة أو لأن القسم الأكبر من أمهاتهم كن من الشعب الابولي، ويعتقد أن كلمة بولاني مشتقة من العربية ابن فلان. ودعوا أيضا بالمشرقيين وهم نتاج الزواج المشترك بين الفرنجة والمسيحيين الشرقيين من سريان وأرمن بيزنطيين أو حتى من المسلمين، ووصفوا هؤلاء بالنعومة والتخنث والهروب من الواقع .ينظر الفيتري : ١٠٤،٩٧-١٠٥؛ الشارتري: ٢١٨.

(٤) الفيتري: ٥٣٤،٩٧. ينظر:عاشور: العلاقات ٣٣١-٣٣٢؛ توفيق: مملكة ،١٣٠.

(٥) الفيتري: ٦٣-٦٦. وينظر: توفيق:مملكة،١٣٠.

(٦) الفيتري: ٦٣-٦٦. وينظر ماير: تاريخ ٢٥٣. Hamilton :The Latin 204-580

(٧) الشارتري: ٢٢٨. Cf.also: Prawer: The Latin 155

في بلاد يعد مناخها وأسلوب حياتها غريبا عليهم(١). وقد أعطت مصـــادر التـــاريخ أمثلـــة متعـــددة لتعرض عاداتهم للتعديل عقب الاستيطان في بلاد الشام، ولا شك في أن تلك الأمثلة حقائق تاريخيـــة، ولكن يجب أن لا يبالغ في إظهار تلك التأثيرات، لأن حدوثها أمر طبيعي، ولو لم تحدث لكان ذلـــك ملفتا للنظر. وقد سبق وأشرنا إلى ملاحظات فوشيه على ذلك التغيير، ولكن ذلك لا يكـــون مـــبررا للاستنتاج، بأن الاستيطان الفرنجي أدى إلى تكوين شعب سوري فرنجي واحد فالعلاقات الودية بيـــن الحكام الفرنج والحكام المسلمين بولغ في تصويرها، والاهتمام بها، والأمثلة على ذلك مأخوذة مـــن مذكرات أسامة بن منقذ، وهي حقيقة تشكل بنفسها دليلا على محدودية هذا الخط من العلاقات. ويتبين منها أن تلك العلاقات كانت مقتصرة على أعضاء الطبقة الحاكمة من كلا الجـــانبين الذيـــن اتفقـــت نظرتهم وميولهم ومصالحهم في كثير من الأمور بحكم مركزهم الممتاز في المجتمع(٢).

من العادات التي شاعت في المجتمع أن الفرنجة كانوا مكشوفي الرؤوس، وكانوا الوحيديـــن من بين جميع الأجناس والشعوب الذين يحلقون لحاهم(٣)، واتخذت ملابسهم من الفخامـــة والأبهـــة، وصار لها من الصفة الشرقية ما كان لأثاث دورهم، فالفارس إذا لم يكن في عدته وسلاحه، ارتـــدى برنسا من الحرير، واتخذ عادة العمامة، وعند الخروج للقتال ارتدى فوق درعه سترة مـــن الكتـــان لوقاية الزرد من حرارة الشمس(٤)، كما جعل على خوذته كوفية كما يفعل العرب(٥). ومما يؤكد على مثل ذلك تصرف الملك هنري دي شمبانيا اتجاه صلاح الدين، حيث أرسل إليه يستعطفه، ويطلب منه خلعـــة وقال لـــه : " أنت تعلم أن لبـــس القباء والشربوش* عندنا عيب، وأنا البسهما منك محبـــة، فأرسل إليه صلاح الدين خلعة سنية منها القباء والشربوش ففرح بهما الملك الفرنجي ولبســـهما فـــي عكا"(٦). ويعتبر القباء طابعا مميزا للغاية للأمير المسلم، حتى إن الملك الفرنجي كان على اســـتعداد لارتدائهما في سبيل إظهار الود والصداقة، رغم أنه لا يدين له بالولاء(٧).

أما غالبيتهم فهم جفاة قساة ويشير إليهم ابن منقذ، بأنه ليس فيهم إلا فضيلة الشجاعة والقتـــال لا غيـــر، كما في البهائم فضيلة القـــوة والحمل. ويذكر جملا من القصص الدالة على قلة عقولهم،

---

(١) ابن جبير: ٢٤٩-٢٥٥. وينظر: الحويري ٧٥-٧٦.

(٢) ابن منقذ: ١٤٠. وينظر: سميل ٤٦-٤٨.

(٣) Anonymous :Pilgrims 28

(٤) لبس الفرنجة أحيانا ملابس محشوة للوقاية من الضربات عرفت باسم الكبر. ينظر: لامب: شعلة الإسلام ٢٢٨.

(٥) رنسيمان: تاريخ ٥٠٦/٢.

* الشربوش : هو لباس للرأس كان له المكانة الأولى إذ يعد بصفة خاصة الطابع المميز لطبقة الأمراء.ينظر:مـــاير: الملابـــس المملوكية ٥١.

(٦) ابن الأثير: الكامل ٢١٩/٩. وينظر ماير: الملابس المملوكية ٥١.

(٧) ماير: الملابس المملوكية ٥١.

وتدني مستوياتهم العقلية، والعلمية ويذكر بأن قريب العهد منهم بالبلاد الفرنجية أجفى أخلاقا من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين، وتكشف كتاباته وكتابات غيره عن استهجان المسلمين لبعض عاداتهم وأخلاقهم وبخاصة المتعلقة بالمرأة، حيث تبين تلك العادات مدى الهوة الساحقة بين عقلية مجتمعين مختلفين في العادات والتقاليد. ففي الوقت الذي يشتهر فيه العربي المسلم بغيرته على نسائه، فإن الفرنجي لا يصل إلى هذه الدرجة من الغيرة، مما أثار اشمئزاز المسلمين من تلك العادات. ويتابع إبن منقذ حديثه بقوله:" وليس عندهم شيء من النخوة، والغيرة يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته فيلقاه رجل آخر فيأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث فإذا أبطأت تركها مع المتحدث ومضى"(١).

كذلك امتازوا بالغرور، والروح الفردية المستقلة، والمتهورة، فهم يرفضون رفضا باتا الانصياع إلى أنظمة الحرب وفنونه، وإذا ما وقع قتال اندفعوا بحماس شديد. بحيث تزول أمامهم كل مقاومة لكن إذا نصب لهم أعداؤهم الكمائن وواجهوا عساكر بارعين ومنظمين فإن شجاعتهم ستتلاشى(٢).

كما انتشرت الرشوة في المجتمع الفرنجي على المستويات كافة حيث سجلت المصادر التاريخية الفرنجية أن من أهم عوامل فشل حملة الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين (٥١٢-٥٣٨هـ/١١١٨-١١٤٣م) على بلاد الشام في عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م هو قبوله الرشوة من صاحب شيزر أبو العساكر سلطان بن منقذ(٣). كما وجه اتهامه إلى دايمبرت البيزي الذي تم اختياره بطريركا لبيت المقدس في عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م، ويوجه البرت دكس هذا الاتهام له وذلك عندما استخدم الأموال التي كان قد استولى عليها في أثناء وجوده مندوبا بابويا عند الفونسو السادس القشتالي سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م ويتابع اتهامه له بذلك عندما حاول رشوة بلدوين الأول لبقائه على منصبه وبذلك يقول: "وصحب بلدوين في رحلته إلى القدس وضمن تأييده لسياسته. وعندما أصر بلدوين على موقفه شرع دايمبرت " يغريه ويرجوه ألا يعفيه من منصبه وهمس في أذنه بتقديم رشوة مالية له"(٤).

أما عن مكانة المرأة في ذلك المجتمع فقد أشارت المصادر إلى صور متعددة وتحدثت عن حياة تلك المرأة التي جاءت إلى الشرق، وأثارت اهتمام المسلمين لما حملته من ظواهر جديدة. فقد شاركت النساء في القتال إلى جانب الرجال، ومن هذا ما ذكره ابن واصل ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م عن

---

(١) ابن منقذ : ١٢٢-١٣٠.

(٢) وينظر: براور:عالم الصليبيين ١٥٣-١٥٤ Anna Commena: 349.

(٣) ريموندا جيل: ٧٠. وللمزيد ينظر:حسين: مقالات وبحوث ٩٨-١١٠.

(٤) وينظر: حسين: مقالات وبحوث ١٠٥-١٠٨. Albert,d'Aix: 530-540

مشاركة النساء الفرنجيات في وقفة عكا العظمى في القتال إلى جانب الرجال(١)، كذلك كن يشاركن في حمل الماء للرجال لإطفاء ظمأهم، كما كن يشجعن الرجال على القتال والصبر والدفاع(٢). كذلك كانت العجائز الفرنجيات يحضرن نساء من غرب أوروبا للترفيه عن الجند المحاربين واعتبرن ذلك العمل من القربات التي ما فوقها قربة، ولا سيما لمن اجتمع فيه غربة وعزبة، وإن عكس ذلك على بعض عساكر المسلمين الذين كانوا يرتادون تلك الأماكن(٣).

كان من مظاهر تدني مكانة المرأة الفرنجية، انتشار أسواق الخمارات وبائعات الهوى في المدن الفرنجية(٤). وقد أثر ذلك تأثيرا على قواتهم العسكرية وبخاصة في أوقات الشدة والحروب، حيث بذلت الجهود للحد من تلك الرذائل. ومن ذلك ما قام به ريتشارد قلب الأسد عام ٥٨٧ هـ /١١٩١م حين غادر عكا لقتال المسلمين، فقد منع النساء من مرافقة الجيش واستثنى من ذلك الغسالات، مما أسخط الجنود الذين حرموا الراحة والنعيم ومعاشرة النساء الساقطات(٥).

مع مرور الزمن، تأثرت المرأة الفرنجية بالمؤثرات الشرقية، فلبست الزي الشرقي، من قميص طويل وسترة قصيرة ورداء بكمين، وكلها موشاة بخيوط الذهب. وفي الشتاء يرتدين الفراء مثلما يفعل الرجال، فإذا خرجن من الدور اتخذن الحجاب شأن المسلمات لا من قبيل الحشمة بل، لوقاية الطلاء الذي غطى وجوههن. كما تأنقن في سيرهن شأن النساء المسلمات، وانتهجت زوجات التجار منهم حذو السيدات الأرستقراطيات في أحوال كثيرة بل تفوقن عليهن في وفرة الملابس وارتفاع ثمنها، واستخدم الفرنجيون في بيوتهم الخدم، وقامت المربيات من سكان البلاد الأصليين برعاية أطفالهم، وتولى السياس الوطنيون تدريب خيولهم، واعتمدوا في علاج الأمراض التي أصابتهم على الطب الإسلامي(٦).

كذلك تأثر الفرنجة بعادة الاستحمام في الحمامات العامة، إذ صار من عادة الرجال والنساء التردد على تلك الحمامات(٧). وكانت ممارستهم تثير الدهشة والاشمئزاز إذ كانوا ينكرون شد المئزر على وسط الرجل أو المرأة داخل الحمام، فكانوا لذلك لا يأتزرون، ولم يكونوا يزيلون شعر العانة، لذلك استغرب أحدهم من مسلم أزال شعر عانته، فطلب إلى الحلاق أن يزيل له شعر عانته، وأحضر

---

(١) ابن واصل: ٣٠٨/٢. وينظر الشارتري: ١٢٥-١٤٧

(٢) مجهول: أعمال ٣٩. وينظر: حسين: مقالات وبحوث ١٧٣.

(٣) ابن واصل : ٣٠٨/٢. وينظر:الحنبلي: الأنس الجليل ٣٦٢/١؛ حسين : مقالات وبحوث ١٧٣-١٧٥.

(٤) الحنبلي: الأنس الجليل ٣٦١/١. ينظر: قاسميه: المرأة العربية ٧٦.

(٥) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ٥٨/٢ .وينظر: مونروند : ١٠٦/٢.

(٦) رنسيمان: تاريخ ٥٠٩/٢-٥١١. وينظر: البيشاوي: نابلس ١٩٦-١٩٧.

(٧) الفيتري: ١٣٦. وينظر: رنسيمان: ١٠٦/١.

زوجته عند الحلاق كي يزيل لها شعر عانتها وبعد أن أنهى عمله شكره ووهب له حق خدمته. وهذا أيضاً يشير لنا على عدم النخوة والغيرة عندهم(١).

أما فيما يتعلق بوسائل التسلية والترفيه، فقد مارس الفرنجة ألواناً متعددة من الترفيه والتسلية، كالغناء والرقص، وأغرموا بالصيد بحيث أقيمت في أوقات وأماكن مختلفة مسابقات الصيد الملكية(٢)، حيث كان يحضرها أعداداً كبيرة من الناس، للتمتع بمشاهدتها. وتحدث ابن منقذ عن جانب من وسائل التسلية عندهم فذكر أخبار المسابقة بين عجوزين كبيرتين تم إيقافهما في رأس ميدان وتركوا في الرأس الآخر خنزيراً طرح على صخرة، وسابقوا بين العجوزين وهن يقمن ويقعن، والحاضرون يضحكون حتى سبقت إحداهن الأخرى، فأخذت ذلك الخنزير(٣).

٥-٢ الحياة العلمية

أما بخصوص الحياة العلمية في بيسان في ظل الصراع الإسلامي الفرنجي فلا بد لنا من الإشارة إلى الحياة العلمية فيها قبل قدوم الغزو الفرنجي إلى المنطقة، فقد شهدت المدينة حركة علمية نشطة، وهذا ناتج عن موقعها الاستراتيجي على الطرق الواصلة ما بين عاصمة الخلافة الإسلامية في بغداد ودمشق، وعاصمة الخلافة الإسلامية في مصر، وقربها من عاصمة جند الأردن طبرية، وقربها من مركز الإشعاع الديني في المسجد الأقصى في بيت المقدس، ناهيك عن ازدهارها الاقتصادي الذي يؤدي إلى ازدهار حضاري وعلمي.

ولهذا فإن السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م) المعاصر للحروب الفرنجية الذي زار بيسان يفصح لنا عن الحياة العلمية الموجودة فيها من خلال ذكره لأشهر علمائها، كذلك صاحب معجم البلدان(٤)، ولكن على الرغم من تلك الشهرة التي حققتها بيسان في المجال العلمي، وما أنجبت من علماء على مر العصور قبل فترة الصراع الإسلامي الفرنجي وفي أثنائه، إلا أن الباحث قد لاحظ ظاهرة هامة في هذا المجال وهي خلوها من المدارس، إذ لم يعثر الباحث في حدود ما اطّلع عليه من مصادر ما يفيد بوجود المدارس فيها. بدءاً من العهد السلجوقي الذي شهد انتشار المدارس في العالم الإسلامي على يد الوزير نظام الملك وانتهاءً بالعصر المملوكي، مروراً بالفرنجة والأيوبيين.

كان معظم علمائها من علماء الفقه والحديث، وقد تركزت دراسة مثل هذه العلوم في المساجد، حيث كان المسجد العمري الجامع في مدينة بيسان مركزاً لتلقي علوم القران، إضافة

---

(١) ابن منقذ: ١٣٦. وينظر : جوانفيل: مذكرات ١٨٦؛ الحويري: الأوضاع ١٤٦.

(٢) بورشارد: ٦٤-٦٥. وينظر: رنسيمان: تاريخ ١٧٣/٢.

(٣) ابن منقذ: ١٣٨.

(٤) السمعاني: ٤٣٠/١. وينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٥٢٧/١-٥٢٨.

للحديث والفقه، إلى جانب علوم اللغة بمختلف فروعها(١).

لقد نجحت تلك المساجد في مهمتها وتمكنت من النهوض بحمل الرسالة العلمية في المدينة ومن أشهر علماء بيسان الذين عملوا على نشر العلم فيها هم محمد بن أحمد بن عبد الله أبو بكر البيساني، مقرئ عالم بالحديث، روى القراءة عنه أبو بكر محمد بن أحمد الداجوني(٢) وسارية بن أبي زينم البيساني(٣). وعبد الوارث بن الحسن بن عمر القرشي يعرف بالترجمان البيساني(٤)، وأبو بكر احمد بن موسى بن محمد الخطيب البيساني كان يملي بجامع بيسان، وتلقى العلوم منه في بيسان أبو بكر أحمد بن محمد بن عبدوس النسوي الحافظ المقيم بجنوجرد إحدى قرى مرو(٥).

الحياة العلمية في ظل الحكم الفرنجي

أصيبت الحياة العلمية والفكرية في بيسان في ظل الاحتلال الفرنجي بانتكاسة خطيرة، وتراجعت تراجعا كبيرا، وذلك من جراء السياسة الفرنجية التي أقدمت على قتل عدد كبير من العلماء والفقهاء في بيت المقدس بعد سقوطها(٦). وما ارتكبوه من مجازر في المدن التي احتلوها. وكان ذلك سببا وراء موجة الهجرة الكبيرة التي عمت المدينة، بحيث استولى عليها تانكرد وهي شبه خاوية من سكانها الذين غادروا إلى دمشق وغيرها من النواحي الإسلامية، هروبا بأرواحهم وأعراضهم من وحشية الاحتلال الفرنجي.

وبالتالي لم يكن متوقعا أن يبقى هناك أي نوع من أنواع النشاط العلمي في ظل هذه الظروف التي أمست عليها المدينة.

في ظل الاستقرار الفرنجي في بيسان عانت المدينة من قصور ثقافي كبير، إذ لم تشر المصادر التاريخية إلى وجود العلماء فيها في تلك الفترة وإنما اقتصرت على ذكر ترجمة للقاضي الفاضل(٧)، وذلك ليس بغريب، إذ ليس من المتوقع أن يسهم شعب كان يعاني من ظلمات الجهل والتخلف في إشادة نهضة علمية، لشعب عريق صاحب حضارة عظيمة، هي الحضارة الإسلامية.

---

(١) السمعاني:١/٤٣٠. وينظر: الدباغ: بلادنا ٦:٢/٤٧٣.

(٢) ابن الاثير: طبقات القراء ٢/٨٥.

(٣) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ١/٥٢٧. وينظر: المقريزي: السلوك ١/٨٦.

(٤) السمعاني ١/٤٣٠. وينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان ١/٥٣٠؛ الدباغ: بلادنا ٦:٢/٤٧٤.

(٥) السمعاني ١/٤٣٠. وينظر: الدباغ: بلادنا ٦:٢/٤٧٤.

(٦) ابن الأثير: الكامل ٨/١٨٩.

(٧) أبو شامة: الروضتين ٥/٦٥-٦٦. وينظر: المقريزي: السلوك ١:١/١١٤-١١٥.

وقد أشار ابن منقذ في مذكراته إلى المستوى العلمي المتدني الذي كان يعاني منه الفرنجة، وتحدث عن نماذج من غرائب طبهم، حيث كانوا يلجأون إلى بتر عضو من أعضاء المريض أو إلى قتله لتخليصه من الألم(١).

لم يسع الفرنجة في أثناء إقامتهم في الشرق إلى تقليل الفارق الكبير في المستوى العلمي بينهم وبين المسلمين، لذلك لم يهتموا بإنشاء المدارس، ولا بتشجيع الحياة العلمية وليس هذا فحسب، بل إن السياسة الفرنجية عملت جاهدة على تعطيل ما تبقى من مظاهر الحياة العلمية في بيسان، فحولت المساجد إلى كنائس، وخنقت الحريات الدينية للمسلمين، وعطلت الشعائر الدينية(٢).

ويبدو أن التعليم في المملكة الفرنجية اقتصر على التعاليم الدينية التي ظلت محصورة داخل الكنائس وقد تمكنت كنيسة بيسان من تخريج رجال دين ومنهم هيو Hugh الذي عين أسقفاً في كنيسة سبسطية وكان ذلك سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م(٣).

لا شك في أن هذا الوضع المتردي للحياة العلمية قد أخذ في التلاشي بعد نجاح الدولة الأيوبية في استعادة معظم فلسطين بعد معركة حطين. حيث مارست سياسة التعريب ومحو آثار الاحتلال الفرنجي، وصبغ المدن المستعادة بالصبغة الإسلامية، مما أدى إلى إعادة بعث الحياة العلمية في بيسان وإحيائها(٤).

أشهر علماء بيسان في فترة الصراع

من أشهر علماء بيسان الذين برزوا في تلك الفترة القاضي الفاضل عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي الحسين علي بن الحسن البيساني، الذي ولد بمدينة بيسان في الخامس عشر جمادى الآخرة سنة ٥٢٩هـ/٢ نيسان ١١٣٤م(٥)، وكان عالماً باللغة، والفقه، وكتب الشعر وله عدد من الرسائل جمعت في مجلدات(٦)، تقلد عدة مناصب منها في ديوان الإنشاء عند الكامل بن شاور سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م وكاتباً لأسد الدين شيركوه(٧) ووزيراً ومستشاراً للسلطان صلاح الدين،كان له عظيم الأثر في تحرير البلاد من الفرنجة هذا ما قاله ابن الجوزي على لسان صلاح الدين(٨)، ولما

---

(١) ابن منقذ: ١٣٧-١٣٨. وينظر: إبراهيم: حطين ٣٧٦.

(٢) كاهن: الشرق والغرب ٢١٥.

(٣) Hamilton: The Latin 271

(٤) البنداري: سنا البرق الشامي ٢١٨.

(٥) سبط ابن الجوزي: ٤٧٢/٢:٨؛ النويري: ١٣/٢٩.

(٦) سبط ابن الجوزي : ٤٧٣/٢:٨. وينظر: المقريزي: الخطط ٤٤٦/٣.

(٧) المقريزي: الخطط ٤٤٦/٣.

(٨) سبط ابن الجوزي: ٤٧١/٢:٨؛ النويري ١٧/٢٩.

مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز عثمان* في المكانة والرفعة. ومن المؤكد أنه لعب دوراً أساسياً في تطوير الحياة العلمية في العالم الإسلامي إذ قام على إنشاء مدرسة في القاهرة فضلاً عن مكتبته العلمية التي بلغت مائة ألف مجلد(١). وتوفي في السابع عشر من ربيع الآخر سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م(٢).

ومن علماء بيسان في الفترة الأيوبية والمملوكية القاضي الأشرف بهاء الدين أبو العباس أحمد بن القاضي الفاضل في سنة ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م كان عالماً باللغة والفقه(٣)،ونجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبي المظفر نصر بن منصور الأنصاري البيساني الشافعي في سنة ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م عن نيف وثمانين عاماً(٤)،ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن يعقوب الياس الأنصاري الخزرجي البيساني المعروف بإمام الصخرة توفي سنة٧٦٠هـ/١٣٥٨-١٣٥٩م(٥).

٥-٣ الحياة الاقتصادية

يعتمد النظام الاقتصادي في إقطاعية بيسان على ثلاث ركائز رئيسة وهي الزراعة والصناعة والتجارة وهناك بعض الموارد الأخرى للإقطاعية:-

الزراعة

من أهم هذه الموارد الثلاثة الزراعة، إذ اعتمد اقتصاد الإقطاعية على هذه الحرفة لتوفر المقومات الأساسية، وفي مقدمتها خصوبة التربة العالية فيها، فذكر ذلك الرحالة والجغرافيون العرب المسلمون والفرنج(٦)، ومناخها الممتاز الذي يوفر تنوعاً كبيراً في المحاصيل وسرعة نموها، فالإقطاعية تقع ضمن المناخ الغوري الذي يساعد على ذلك فضلاً عن مصادر المياه الضخمة والمتنوعة الموجودة فيها والتي ضمنت لها تفوقاً في هذا المجال عن باقي المناطق في فلسطين، وأخيراً مهارة الفلاح ونشاطه(٧). فضلاً عن الاهتمام المتزايد من قبل الفرنجة بصفة عامة ورجال

---

* الملك العزيز: هو عماد الدين أبو الفتح عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان نائباً عن والده في الديار المصرية، ولد بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٥٦٧هـ/كانون الأول ١١٧١م، توفي في محرم سنة ٥٩٥هـ/تشرين الثاني ١١٩٨م. ينظر: ابن الأثير: الكامل ١٤٠/١٢؛ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢٠/٦.

(١) سبط ابن الجوزي: ٨:٢/٤٧٣؛ أبو شامة : الروضتين ٤/٤٧٢-٤٧٧.

(٢) سبط ابن الجوزي: ٨:٢/٤٧٢. وينظر:أبو شامة:الروضتين ٤/٤٧٢؛ المقريزي: السلوك ١/١/١١٤-١١٥.

(٣) ابن خلكان: ١٦٣/٣ . وينظر النويري : ٣١٨/٢٩.

(٤) المقريزي: السلوك ١:٣/٧٢٧.

(٥) الحنبلي: الأنس الجليل ٢٢٦. وينظر: ابن حجر: الدرر ٣٨١/٣.

(٦) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٥٢٧/١. وينظر: أبو الفداء: ٢٤٣.

(٧) William of Tyre : 473

الدين بصفة خاصة، حيث جرى التوسع في زراعة كثير من الأشجار والمحاصيل الحقلية الأخرى نظراً للفوائد المجنية منها(١).

وقبل الحديث عن أهم المزروعات التي كانت تزرع في بيسان لا بد من الحديث عن أنواع الأراضي الزراعية.

الأراضي الزراعية

الأراضي التي يفلحها السكان المحليون وهي تنقسم إلى:

القرى Casals

وهي تتكون من مائة منزل تقريباً وتختلف من حيث المساحة، وكان العمل فيها يتمّ بشكل مشترك من قبل الفلاحين العرب(٢)، وكان يديرها إما الدليل السياحي Dragomon وهو لاتيني عادة، أما المختار أو رئيس القرية، وهو رجل وطني يمارس سلطاته كرئيس مسؤول عن النظام والعدل في القرية تحت إشراف السادة الإقطاعيين، وكانت تلك القرى تضم مساحات من الأراضي البور غير المستغلة، والتي تخدم أغراض الرعي. وكان القانون القديم الذي عرفه الشرق والمتعلق بامتلاك أراضى القرية يوزع الأراضي طبقاً لعدد كل عائلة ومحاريثها. وعدد كبير جداً من قطع الأراضي الطويلة الضيقة كان يتم تقسيمها بواسطة الحجارة وكانت تخصص لكل محراث، وكل حراث يستلم بعض قطع الأراضي الزراعية فعملوا على تقسيم أراضي القرية وتنظيمها في وحدات عرفت كل واحدة باسم كاريوكا Carruca(٣).

لم تكن جميع الكاريوكات متساوية فبعضها كان يعرف باسم الكاريوكا الرسمية وهذه كانت معتمدة من قبل الحكومة الفرنجية، وكانت تستعمل على أساس أنها وحدة إدارية تخدم الأغراض الضرائبية التي تفرضها الحكومة الفرنجية(٤). وكانت بعض الكاريوكات الأخرى عبارة عن قطع صغيرة من الأراضي يمكن لزوج من الثيران حراثتها في يوم واحد، والكاريوكا غير الرسمية(٥) تساوي الفدان العربي من حيث المساحة(٦)، والذي يساوي أربعة دونمات(٧) أما الكاريوكا الفرنجية الرسمية فهي تساوي خمسة وثلاثين هكتاراً "ما يعادل ثلاثمائة وخمسين دونماً"(٨).

---

(١) Prawer: Crusader 128-129

(٢) الصوري ١/٥٤٩. وينظر: البيشاوي: نابلس ٩٥ Prawer: Crusader 156

(٣) Genevieve: Le Cartulaire de Chapitre 126/224-247

(٤) البيشاوي: الممتلكات ٣٨٨. Cf.also: Genevieve; le Cartulaire Dechapitre.no.126/ 252-53

(٥) Richerd: Agricultural 252-54

(٦) Conder : The Latin 238

(٧) البيشاوي: الممتلكات ٤٦٨ Richard: Agricultural 254

(٨) البيشاوي: الممتلكات ٤٦٨ Cf. also: Prawer: Crusader 158-160

المستعمرات الفرنجية:

وفي هذه مارس الفرنجة أساليبهم الزراعية الخاصة بهم والموروثة عن الغـرب الأوروبـي التي نقلوها معهم إلى الشرق، وقد أسس الفرنجة منطقة استيطانية على أراضي قرية (البيرة) شـمال بيسان وسموها (leberium) وأخرى على أراضى قرية يبلى عرفت باسم (Hubeleth) وتقع شـمال غرب بيسان(١).

كانت هاتان المستعمرتان تحتلان مساحة واسعة من أراضي الإقطاعية أسسـهما الفرنجـة وقسموا أراضيهما إلى وحدات زراعية محروثة على شكل كاريوكات تسـهيلاً لمعرفـة حدودهمـا وفرض الضرائب عليهما، وتم تخصيص قسم منها لزراعة الأشجار المثمرة كالرمان وقسـم آخـر لزراعة الأرز وقصب السكر نظراً لتوافر المياه فيهما(٢). وقد وزعت الأراضـي علـى العـائلات الفرنجية حسب ما تملك من الثيران إذ أن العائلة التي تملك ثورين قويين تعطى كريوكا لفلاحتها(٣).

الخرب Gastinas

يبدو أن هذا النوع من الأراضي كان موجودا قبل الغزو الفرنجي، ولا تزال موجودة بالقرب من الأراضي الزراعية إلى اليوم وقد أطلق الفرنجة عليها اسم "جاستينا" ، وهذا اللفظ مشـتق مـن المصطلح vastus وكان يطلق عادة على الأراضي البور أو المشاع المستخدمة للرعي، وقد أشـار بعض المؤرخين إلى أن لفظة جاستينا تماثل اللفظة العربية خربة المستعملة في بلاد الشـام ومنـها فلسطين(٤). إلا أن الجاستينا استغلت للزراعـة إذا وقعت ضمن أرض خصبة، وبهذا تكون جزءا من القريـة، وقد حمل بعض منها أسـماء خاصة بها لتميزها عن الأراضي المجـاورة مثـل خربـة الطابون Khirbit Tubaun* وخربة قارا Khirbet Kara**، وكانت الجاستينا على نوعين همـا: أراض زراعية تابعة للقرية أو الضيعة إلا أنها بعيدة جغرافيا وتستعمل لخصوبتها. وأراض مهجورة غير مأهولة بالسكان تستخدم كمراع للماشية في مجتمع اعتمد على الرعي إلى حد بعيد(٥).

---

(١) عرفات: ٤٣-٧٤.

(٢) الراسبوتي: ١٦ Cf. also Prawer: The Latin

(٣) وينظر البيشاوي: الممتلكات ٤٦٨ Beugant: Assises 260-261

(٤) Benvenisti: 216

* خربة الطابون: وتقع على الحدود الشمالية الغربية لإقطاعية بيسان. ينظر: Beyer : Akko und Galilea 242

** خربة قارا أو هيلكار: ويكتب اسم الخربة بأشكال مختلفة منها هيكار Hecar و Helcar و Helchar . وهي تقع غـرب قرية كفرا Kafra ويحدها من الشمال قرية الناعورة en Naurah ومن الجنوب خربة طبعـون Khirbet Tubaun ومـن الغرب قرية سولم Sulem.ينظر: Genevieve:415; Beyer:Akko und Galilaea

(٥) البيشاوي: الممتلكات ٤٧٥ Beyer:op.cit. 241 .c.f. also: Parwer: Crusader 161-163

٥-٣-٢ الأساليب الزراعية:

أما عن الأساليب الزراعية التي كان يتبعها الفلاحون في زراعة أرضهم زمن الصراع الإسلامي الفرنجي فهي الأساليب التقليدية في الزراعة(١)، كاستعمال المحراث الخشبي الذي تجره الثيران أو البغال أو الخيول كذلك استخدمت المجارف والمناجل اليدوية(٢) لحصد الغلال وألواح الدراس لفصل الحبوب عن التبن، وغير ذلك من الأدوات التي لا يزال معظمها مستخدماً إلى يومنا هذا،وقد اتبع الفلاح النظام الزراعي المعروف بنظام الحقلين بحيث تقسم الأرض إلى قسمين الأول بالمحاصيل الشتوية مثل القمح، والشعير، والحمص، والعدس، وغيرها، وتزرع أراضي القسم الثاني بالخضراوات ويترك الباقي للراحة، بعد أن يتم حراثتها. وفي فصل الصيف تزرع جميع الأرض بالمحاصيل الصيفية مثل الذرة، والسمسم، وفي السنة التالية تترك أراضي القسم الأول للراحة، بينما تزرع أراضي القسم الثاني بالحبوب الشتوية(٣).كما استخدم الفلاحون نظام الزراعة المروية عن طريق القنوات والمجاري مستغلين المياه الجارية والينابيع ومثل هذه القنوات والمجاري في الإقطاعية بالقرب من المدينة وعين جالوت(٤).

أهم المزروعات في بيسان :

أما اشهر المزروعات التي اشتهرت بها الإقطاعية فهي: الأرز وتعد مدينة بيسان المدينة الأولى المنتجة له وكان إنتاجها منه يكفي لفلسطين والأردن وبهذا قال عنها البشاري " وأرزاز فلسطين والأردن منها"(٥) وهو يزرع في منطقة سهل بيسان الكبير، كما انتشرت زراعة الحبوب من قمح وشعير وذلك بسبب الخصوبة العالية، حيث يذكر بورشارد بأن هذه الأراضي غنية بالقمح الذي تتم زراعته وحراثته دون أدنى جهد(٦)، وانتشرت زراعته في معظم مناطق الإقطاعية باعتباره مادة تموينية أساسية للناس، بينما يزرع الشعير وبكميات اقل من القمح نوعاً ما واستخدم هذا المحصول كعلف للحيوانات(٧).

---

(١) يقول براور بأن المجتمعات القروية استمرت في عملها في أثناء خضوعها للسيطرة الصليبية بنفس الأساليب السابقة. عالم الصليبيين ٩٨.

(٢) الأحمد: تاريخ فلسطين القديم ٢١٦. وينظر: ماير : تاريخ ٢٦٨.

(٣) النويري : ٢٥٦/٨. وينظر: ماير: تاريخ ٢٦٨. Benvenisti: 217

(٤) برتراندون: ٣١٧،٣١٨. وينظر الدباغ: بلادنا ٤٨٩/٢:٦.

(٥) المقدسي البشاري: ١٨٠ Cf.also: Beyer: op . cit 242

(٦) بورشارد: ١٦٧. وينظر: الفيتري: ٣٤.

(٧) Richard: Agricultural 258

رغم أهمية هذه المحصولات إلا أن الفرنجة عملوا على تحويل الأراضي المزروعة بها إلى مزارع ذات إنتاجية مختلفة كقصب السكر على سبيل المثال؛ وذلك لجني أرباح أكثر مما تجنيه محاصيل الحبوب نظراً لتوفر المياه(١).

اشتهرت إقطاعية بيسان بزراعة أشجار النخيل وخاصة في فرونة وثعالبة التي لقيت اهتماماً من قبل المسلمين قبل مجيء الغزو الفرنجي، فلما سيطر الفرنجة عليها توسعوا في زراعتها حيث كانت التمور تصدر منها إلى خارج فلسطين(٢). كما اشتهرت بزراعة الزيتون وبخاصة في جبال جلبوع وسيرين وكفرا وكوكب الهوا(٣)، وإلى جانب أشجار الزيتون اشتهرت منطقة بيسان بزراعة أشجار التين وبالذات في منطقة عين جالوت ودير سويت*(٤).

حظيت أشجار الرمان بعناية سكان فلسطين واهتمامهم، وأشار بورشارد إلى كثرة وجود تلك الشجرة في فلسطين وقد زرع الرمان في قرى بيسان الشمالية والغربية بشكل كبير(٥)، وكانت الحمضيات وخصوصاً الليمون الحلو من بين السلع التي صدرت إلى أوروبا حيث كانت تشاهد على موائد الأثرياء في إيطاليا(٦).

اشتهرت الإقطاعية بزراعة الموز فقد أشار ابن سعيد (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) إلى أن الموز كان من بين خيرات الغور وبيسان(٧)، وقد حظيت باهتمام الفرنجة وعنايتهم لدرجة أن الرحالة الأوروبيين أطلقوا عليها اسم "تفاح الجنة" أو " أشجار الجنة" وقد وصفوها وصفاً دقيقاً بقولهم وتبلغ أوراقها أكثر من ذراعين طولاً ونصف ذراع عرضاً ولها ثمار تبلغ المائة أو يزيد، تنمو متلاصقة لبعضها البعض على غصن واحد ولها طعم كالعسل(٨).

اشتهرت إقطاعية بيسان بزراعة قصب السكر وقد ذكر المقدسي البشاري أن قصب السكر من خيرات فلسطين(٩). وترجع شهرة بيسان في زراعة هذا النبات إلى توافر المناخ المناسب والتربة الخصبة ووفرة المياه اللازمة لزراعته، فضلاً عن الخبرة الطويلة التي اكتسبها السكان من جراء زراعتهم له فلا عجب من أن تكون بيسان من المناطق الغنية جداً بإنتاجه ويزرع في

---

(١) Richard: Agricultural, 259.cf.also: Prawer : The Latin 264-99

(٢) الإدريسي: ٣٥٦/١. Cf. also : Beyer : Akko und Galilaea 247

(٣) بورشارد: ٩١. وينظر: دانيال: ١٢؛ الراسبوتي: ١٥.

(٤) بورشارد : ١٧١. Cf. also : Beyer : Akko und Galilaea 248

(٥) بورشارد: ١٧١. Prawer:The Latin 243

(٦) رنسيمان : تاريخ ٦٠٢/٣ Beyer: Akko und Galilaea 242

(٧) ابن سعيد المغربي: ١٥٢.

(٨) بورشارد : ١٦٩ Cf. also : Anonymous: Pilgrims 6/34.Prawer :The Latin 361.

(٩) المقدسي البشاري: ١٨١ Cf.also : Beyer. Akko und Galilaea 242

الحسانية* والبيرة(١)، وقد أشارت عديد من المصادر سواء الإسلامية أو اللاتينية إلى زراعته. فذكر ياقوت أن أكثر ما يزرع في الغور قصب السكر(٢) ومنه يحمل إلى سائر بلاد الشرق، وأول ما شاهد الفرنجة قصب السكر في بلاد الشام بالقرب من طرابلس حيث نال إعجابهم وتعلموا زراعته من المسلمين وتوسعوا فيها حتى أصبحوا خبراء في زراعته وصناعته، وقد نقلت زراعته إلى إيطاليا عن طريقهم(٣).

تتم زراعة قصب السكر بتقطيع القصب إلى قطع صغيرة يبلغ طول القطعة إصبع الإنسان بحيث تحتوي كل قطعة على عقدة يتم طمرها في الأرض خلال فصل الربيع ومن ثم ينمو من كل عقدة قصبتان على كلا جانبي العقدة(٤).

كما اشتهرت بيسان بزراعة أشجار الكرمة (العنب) منذ القدم ويزرع في كوكب الهوا وكفروا ويبلى،وذلك لملاءمة تربتها ومناخها لهذا النوع من المحاصيل(٥)،وعندما استولى الفرنجة على المنطقة اهتموا بهذا المحصول مما أدى إلى ازدهاره وانتشاره في معظم أنحاء فلسطين،ويعود ذلك الاهتمام من أجل استخراج النبيذ المقدس،وكان معدل ازدياد استهلاكهم من الخمور يدل على ذلك الازدهار(٦).

ويزرع القطن والكتان في السامرية وسهل بيسان الكبير(٧)، هذا عدا عن المزروعات الأخرى المختلفة من خضراوات على اختلاف أنواعها، وأنواع البقول المختلفة من عدس وحمص بالإضافة إلى نبات الذرة بنوعيه الصفراء والبيضاء(٨). كما زرع في المنطقة نباتات الفول وبكميات كبيرة(٩) كما ينبت بها السامان، الذي يصنع منه الحصر السامانية والتي انفردت فيه بيسان عن غيرها من مدن فلسطين(١٠). كما نمت الأعشاب الطبية في المنطقة بشكل كبير واشتهر منها البلسان

---

* الحسانية: تقع في الشمال الشرقي من بيسان،وتبعد عنها نحو ثمانية كيلو مترات،وقد وردت في الوثائق الفرنجية باسم هوكسينا Kohler : 418 ; Beyer : Akko und Galilaea 226

(١) الفيتري ٣٠.

(٢) الحموي ياقوت: معجم البلدان ٢١٧/٤. وينظر: ابن سعيد المغربي ١٥٢. Beyer: Akko und Galilaea 241

(٣) الحموي ياقوت: المعجم ١٤٧/١. Cf.also Prawer : The Latin 369-71

(٤) بورشارد : ١٦٨-١٦٩ Cf. also : Brawer: The Latin 298-99

(٥) البكري:٢٩٢/١. ويقول عنها" بيسان بفتح أوله وبالسين المهملة، موضعان أحدهما بالشام، تنسب إليه الحمر.

(٦) دانيال: ١٢١. Cf.also :Richard: Agricultural 260

(٧) بورشارد: ١٦٨. وينظر: رنسيمان : تاريخ ٦٠٣/٣.

(٨) Prawer: Crusader 171

(٩) الفيتري: ٢٧-٢٨.

(١٠) الحميري: ١٢٠. وينظر: دانيال ١٢٢.

أو البلسم الذي كان يعد من أكثرها أهمية نظرا لاستخدامه في الطقوس الدينية(١).

وكان محصول البلسم من بين السلع الأكثر رواجا، وكان يصدر إلى أوروبا وله مكانة خاصة، إلا أن زراعته قد أخذت تتراجع مع عودة فلسطين إلى الحكم الإسلامي نظرا لما تحتاج زراعته من ري مستمر ونفقات باهظة، ثم تضاءلت زراعته حتى تم إغفاله(٢).

كذلك كان ينبت في جبال جبول وجلبوع وحرمون الغابات والأشجار الحرجية التي تحدث عنها دانيال وبتاحيا الراسبوني والتي كانت تستخدم أخشابها لصناعة الآلات الحربية من أبراج ومنجنيقات وغيرها(٣). وما أكثر ما كانت تحتاج الإقطاعية لهذه الموارد نظرا لوقوعها على الحدود مع شرق الأردن فهي كانت تعيش حالة حرب دائمة مع جيرانها المسلمين مما أدى إلى تناقص هذه الغابات(٤).

أما فيما يتعلق بالثروة الحيوانية في الإقطاعية، وما ترتب عليها من ظهور حرفة الرعي كمورد اقتصادي هام من موارد الإقطاعية، فإن الظروف الطبيعية قد هيأت لها كثيرا من الأراضي التي لم تكن تستعمل للزراعة وبالتالي استغلت للرعي. وقد ذكر الرحالة الأوروبيون كثرة المراعي في الإقطاعية وحولها التي كانت تجتذب الرعاة المسلمين الذين يفدون إليها لرعي ماشيتهم حيث يتوفر الماء والكلأ في جبال جلبوع وحرمون وطابور(٥).

مما يدل على إنتاج وفير للثروة الحيوانية في إقطاعية بيسان كثرة قطعان الماشية وتنوعها وفي مقدمتها الماعز والضأن(٦)، كما ربيت قطعان الجمال والأبقار، وكانت الأبقار تزود السكان بالحليب ومشتقاته، وقد شكل ذلك جزءا كبيرا من غذاء الفلاحين والسادة الإقطاعيين، وكانت تدفع الضرائب عنها على شكل جبنة، أما جلودها فقد استخدمت في المدابغ التي وجدت في المنطقة. كما تم الاعتناء بتربية الخيول والحمير والبغال لحراثة الأرض وحمل الأمتعة أما الخيول فاستخدمت في الحروب(٧)، كما اعتنوا بتربية الخنازير في الإقطاعية نظرا لإقدام الأوروبيين على تناول لحومها(٨).

---

(١) Anonymous: Pilgrims 34

(٢) رنسيمان: تاريخ ٦٠٢/٣.

(٣) دانيال: ١٢٠. وينظر الراسبوني: ١٨. Cf.also : Prawer: Crusader 74

(٤) دانيال: ١٢١-١٢٢.

(٥) برتراندون: ٣١٧-٣١٨. وينظر: الراسبوني: ١٩.

(٦) Willibald: The Travels of Willibald 16

(٧) برتراندون: ٣٠٧-٣١٠. وينظر: البيشاوي: الممتلكات ٤٢٤. Cf.also: Richard: Agricultural 216

(٨) Theoderich's: Description of the Holy Land 61

واختص التركمان والبدو والفلاحون بتربية تلك الحيوانات وأشار بورشارد إلى أنهم كانوا يقيمون حول نهر الأردن، لتوافر المراعي الواسعة في المنطقة(١)، وكانت عملية الرعي لا تعير اهتماماً كبيراً للحدود، ولكن كان يجب عليهم إعطاء السيد الإقطاعي أجرة الأرض التي ترعى عليها المواشي(٢).

وقد اهتم السكان بتربية الدواجن والطيور حيث كانوا يقدمون الدجاج والبيض كضرائب إضافية إلى السادة الإقطاعيين(٣)، كما عنوا بتربية النحل وخصوصاً في المنطقة الجبلية من الإقطاعية(٤).

الصناعة

وتأتي الصناعة في المرتبة الثانية في تكوين اقتصاد الإقطاعية إلا أنها لا تعني الصناعات الضخمة الموجودة في العصر الحالي، وإنما كانت تعتمد الصناعة على ما تنتجه الإقطاعية من محاصيل زراعية وعلى المواد الطبيعية.

أما عن الصناعات الزراعية (الغذائية)، فتأتي صناعة السكر وتكريره في المرتبة الأولى إذ اعتبرت منطقة الأغوار من المناطق الأكثر أهمية في زراعة القصب وبالتالي الأكثر أهمية في تصنيعه حيث أقيم لذلك الغرض عدد من المعاصر للنهوض بهذه الصناعة، وقد تعلم الفرنجة صناعة السكر من المسلمين، وأصبحوا خبراء بأمورها(٥).

ومن الصناعات الغذائية التي عرفتها إقطاعية بيسان صناعة واستخراج زيت الزيتون، وهي من الصناعات المهمة نظراً للاهتمام المتزايد بها وقد أقيم لهذه الغاية كثير من المعاصر، وهي معروفة لدى السكان المحليين قبل مجيء الفرنجة، وقد ذكر بعض المؤرخيين الحديثيين أن صناعة استخراج زيت الزيتون كانت متطورة إلى درجة كبيرة في مدن فلسطين وقراها وذلك قبل استيلاء الفرنجة عليها(٦)، وكانت معاصر الزيتون منتشرة في معظم القرى التي تكثر فيها أشجار الزيتون التي تعتمد اعتماداً كبيراً على زراعته(٧)، وكان الفلاحون يجمعون الثمار ويرسلونها إلى " البد"

---

(١) رنسيمان : تاريخ ٦٠١/٣. وينظر: البيشاوي: الممتلكات ٤٢٤.

(٢) بورشارد : ١٧١.

(٣) Richard : Agricultural 261

(٤) الراسبوتي: ١٩.

(٥) بورشارد :١٦٨. وينظر: رنسيمان : تاريخ ٦٠٢/٣-٦٠٣.

(٦) Pawer: The Latin 361

(٧) بوست: قاموس الكتاب المقدس ٥٢٢/١.

التي كانت تدار بواسطة الإنسان أو الحيوان(١) وقد أشرف على هذه المعصرة البداد أو المعصراني* الذي يأخذ نسبة من الزيت لقاء عمله(٢).

وجد في الإقطاعية مطاحن لطحن الحبوب على المجاري المائية الدائمة،التي استغلت في إدارة رحى الطاحون وأشارت الرحلات الأوروبية إلى وجود مثل هذه الطواحين في وادي البيرة مثل طاحونة عين الأسد، وطاحونة عين أم الثواليل وما زال حتى اليوم آثار أربع طواحين مائية قائمة على الوادي نفسه(٣). ومن المؤكد انتشار هذه الطواحين في أماكن أخرى من الاقطاعية نظراً لغناء الإقطاعية بالقمح وهذا تبين عندما أغار طغتكين على بيسان بعد معركة الصنبرة إذ وجد مخازنها مليئة بالحبوب والحنطة(٤)، كذلك كثرة المياه الدائمة الجريان التي تشجع على إقامة مثل هذه الصناعة.

كما اشتهرت الإقطاعية بصناعة النبيذ نظراً لتطور زراعة الكرمة التي شكلت أساس هذه الصناعة تحت الاحتلال الفرنجي، وقد اهتم السادة الإقطاعيون بزراعة الكرمة التي يصنع منها النبيذ الذي يعد العنصر الأساسي في حفلاتهم ومناسباتهم الدينية(٥) وكان نبيذ بيسان من الأنواع المفضلة على غيره من الخمور حتى في العصور السابقة وهذا يتبين من إحدى أبيات الشعر التي قالتها ليلى الأخيلية** في وصفها لحبيبها إذ شبهته بخمر بيسان(٦).

---

(١) Prawer : The Latin 361
Benvenisti: 258 أما معصرة الزيتون التقليدية فهي قبل عصر الزيتون بالمعاصر، كان يتم دراسته بواسطة البد، عبارة عن حجرة كبيرة، يوجد في إحدى جوانبها فتحة كبيرة، ويوضع فيها أحد طرفي ساق شجرة كبيرة بعد تنظيفه، والطرف الأخر يتصل بلولب متصل مع حجر العصر، فعندما يتم إدارة الدولاب، يقوم المعصراني بوضع الزيتون في إحدى فتحات الحجر الدائري المتحرك، فعندما تصبح ثمار الزيتون بين السطح الثابت والمتحرك فإنها تتهرس ويبدأ الزيت إلى حفرة معدة لتجميع الزيت. أما معاصر الزيتون الموجودة في الوقت الحاضر فهي تعمل بواسطة الكهرباء، وبعضها نصف أوتوماتيك وبعضها الأخر أوتوماتيك بالكامل. ينظر البيشاوي: الممتلكات هامش ٤٢٨/١.

* المعصراني: هو صاحب المعصرة والمشرف عليها والمتولي لصيانتها والعمل بها. ينظر: القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ٥٤٦/٢-٥٤٧.

(٢) Prawer: The Latin 361

(٣) الراسبوتي: ١٤. وينظر: عرفات: ٢٠-٢٣. Cf.also Benveniti: 246-249

(٤) ابن القلانسي: ذيل ١٨٤. وينظر: الصوري ٥٤٧/١-٥٤٩.

(٥) Strehlke: Tabulea Ordinis. 191-94.cf.also; Prawer:The Latin 133

**ليلى الاخيلية: هي ليلى بنت عبد الله من بني عامر بن صعصعه شاعرة فصيحة جميلة ذكية اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير قال لها عبد الملك بن مروان ما رأى منك توبة حتى عشقك فقالت:ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفتها سنة ٨٠ هـ/٧٠٠م .ينظر: أبو الفرج: الأغاني ٢٣٨/١١-٢٣٩.

(٦) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٥١٩/٢-٥٢٠.

كذلك عرفت الإقطاعية عدداً من الصناعات البيتية مثل الألبان والأجبان والسمنة التي كان يقوم على صناعتها أهل الريف والبدو(١) ناهيك عن سلال القش مختلفة الأحجام لحمل الفواكه والخضراوات والحاجيات المختلفة(٢).

واشتهرت بيسان بصناعة الحصر السامانية والسجاد الجميل وبخاصة أنها اشتهرت بهذا النوع على غيرها(٣)، وحققت تلك الصناعة رواجاً كبيراً في العالم الإسلامي فقد كانت السجادة الواحدة تباع بخمسة دنانير مغربية(٤) ويعلق الإدريسي على جودة ذلك السجاد بقوله "وقليلاً ما يصنع مثلها في بلد من البلاد المعروفة"(٥).

كما عرفت الإقطاعية عدداً من الصناعات المعدنية ومنها استخراج معدن الكبريت من الأغوار(٦) ومادة الصلصال التي استخدمت في صناعة الأواني الفخارية واشتهرت بهذه الصناعة جبول التي أخذ اسمها من الكلمة الكنعانية "جبولا" بمعنى الخزاف أو صانع " الفخار" وذكرها الفرنجة باسم (Gebul)(٧).

الحياة التجارية:

توفر لمدينة بيسان عوامل كثيرة منحتها أهميتها التجارية إذ أنها تقع عند نهاية مرج بن عامر الشرقي الذي يشتهر بازدهار حركة القوافل المارة بين دمشق وداخل الشام ثم الجليل ومنها إلى مصر وساحل البحر المتوسط. وليس من شك في أن موقع مدينة بيسان قد جعل لها نشاطاً تجارياً هاماً منذ أقدم العصور، إضافة إلى ذلك فإن مدينة بيسان بالغة الثراء، وتربتها خصبة ومواردها الاقتصادية كثيرة(٨) كما تتميز الإقطاعية عن غيرها من المدن بمنتوجاتها الزراعية والصناعية، إذ يعد خمرها من أطيب الخمور، وأرزها يكفي فلسطين، والأردن، هذا إلى وقوعها على مخاضات نهر الأردن والاهتمام ببناء الجسور في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي(٩) ولهذا فقد كانت الحياة التجارية فيها مقسومة إلى قسمين الداخلية والخارجية.

---

(١) غوانمة: القرية في جنوب الشام في العصر المملوكي ١٩.

(٢) الأحمد: تاريخ فلسطين ٢٦٥.

(٣) الإدريسي : ٢٦٣/١.

(٤) البلوى: سيرة احمد بن طولون ١١٨-١١٩.

(٥) الإدريسي: ٢٦٣/١.

(٦) المقدسي البشاري : ١٨٤.

(٧) عرفات: ٨٣-٨٤.

(٨) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٥٢٧/١. وينظر: أبو الفداء: ٢٤٣. Cf.also : William of Tyre: 1/473

(٩) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ١٠٣. وينظر اليونيني : ٣٤٦/٢. Cf.also .Raoul 704

أما بخصوص التجارة الداخلية فقد شهدت الإقطاعية نشاطا تجاريا ملموسا حيث أشارت المصادر التاريخية إلى وجود الأسواق الداخلية في بيسان من خلال عرضها للأحداث التي وقعت فيها، وكان ذلك على امتداد فترة الصراع الإسلامي الفرنجي حيث قام مودود وطغتكين بعد معركة الصنبرة بنهب ما في أسواقها ومخازنها من الغلال(١). كما أن هيو بن عموري Hugh Abn Amlric قائد الحملة الصليبية الخامسة سنة ١٢١٧م/٦١٤ هـ، واهتم بمهاجمة بيسان لتزويد الجيش بأغلال من أسواقها(٢). وهذا ما يؤكده سبط ابن الجوزي عندما أشار إلى ما نهبه فردريك من الأسواق والغلال والمواشي من بيسان(٣).

وقد استمر النشاط التجاري الداخلي خلال تلك الفترة على الرغم من الأحداث العسكرية إذ يشير ياقوت الذي دون كتاباته في وقت كان لا يزال الفرنجة يقيمون فيه في فلسطين إلى وجود الأسواق السنوية التي تنعقد كل عام في مرج بن عامر عند اجتماع القوافل القادمة من دمشق(٤). وبهذا يمكن الأهالي من عرض منتجاتهم الزراعية والصناعية.

أما عن التجارة الخارجية فقد حاول تانكرد منذ البداية الاستفادة من الإمكانات التجارية المتوفرة في المنطقة لصالح الكيان الفرنجي، فعمل على التوسع في السواد وما وراء النهر، وضمه إلى إمارته لضمان تحويل التجارة المربحة المارة بهذه المناطق إلى بلاده في الوقت الذي أخذ فيه جودفري يسعى لضم المدن الساحلية إلى مملكته للاستفادة من خيراتها وإمكاناتها الاقتصادية(٥).

كما اهتم السادة الإقطاعيون ببيسان بعد أن انفصلت عن إمارة الجليل بإنشاء علاقات حميمة مع سادة إقطاعية قيسارية ولعل ذلك لوقوعها على الساحل لإيجاد طريق بحري لتسهل عليهم تصدير منتجات الإقطاعية إلى أوروبا وخارج البلاد،كذلك قاموا بتوقيع اتفاقات تجارية مع جنوة لتوفير الحماية لتجارها(٦).

وقد قام ملوك بيت المقدس والسادة الإقطاعيون بعقد الهدن مع الدماشقة -كما أشرت في الفصل الثالث من هذه الدراسة-، التي كانت تحث على النشاط التجاري وحرية حركته من كلا الطرفين يحصلون على حاجياتهم من دمشق، ولذلك اعتبروا أن الحملة الفرنجية الثانية على دمشق كانت تصرفا خاطئا من الفرنجة، لأنها أثرت سلبيا على مستوى التبادل التجاري بين دمشق

---

(١) ابن القلانسي: ذيل ١٨٤.

(٢) رنسيمان: تاريخ ٣/٣٢٩-٣٣١.

(٣) سبط ابن الجوزي : ٨:٢/٥٨٣

(٤) الحموي، ياقوت:معجم البلدان١/٥٢٧. وينظر:أبو الفداء ٢٤٣. Cf.also Richard: The Latin 74

(٥) ماير: تاريخ ١١٤-١١٥.

(٦) Rohricht: Regesta 256. cf.also. Smith, Jonathan: The Feudal Nobility 216

والمملكة(١)،غير أن ذلك التأثير لم يستمر طويلاً فقد عادت المبادلات والحركة التجارية النشطة إلى سابق عهدها، ومن المؤكد بأن القرار الذي أصدره بلدوين الثاني Baldwin II سنة ٥٩٧هـ/١١٢٠م، برفع الضرائب عن تجارة الحبوب شجع تجار المسلمين والنصارى على التبادل التجاري مع خارج المملكة(٢). وقد أشار إلى ذلك ابن جبير الذي زار الشام سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤م، وذكر بأن اختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطعة، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا، كذلك تجار النصارى أيضاً لا يمنع أحد منهم ولا يعترض(٣).

أقدم التجار المسلمون على دفع الضرائب للفرنجة في أثناء عبورهم البلاد الخاضعة للسيطرة الفرنجية، وكذلك الحال بالنسبة للتجار المسيحيين الذي يجتازون البلاد الإسلامية فقد كانوا يؤدون الضرائب عن تجارتهم حسب الاتفاقات المعقودة بين الطرفين وقد ذكر ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) ذلك بقوله "وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وتجار النصارى أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال"(٤).

يقوم النشاط التجاري لإقطاعية بيسان على محورين أساسيين: المحور الأول ويتمثل في انتعاش التجارة الإقليمية بين الإقطاعية والمناطق المجاورة حيث تحدث الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة عن قيام مركز تجاري إقليمي هام قرب بيسان ونعني بذلك سوق الميدان(٥). أو السهل الفسيح المعروف باسم أرض السوق عند حوران، ويظهر في تلك المنطقة مجرى نهر اليرموك بوضوح، ويقع ذلك النهر في منتصف تلك البقعة، ويذكر الرحالة فيتلوس أن عدداً كبيراً من الناس يحضرون إلى ذلك الموقع في صيف كل عام، ومعهم كافة السلع التجارية لبيعها(٦). وبذلك يكون هذا الرحالة قد قدم لنا أقدم إشارة عن وجود هذا السوق وهي ذات دلالة هامة تتحدث عن واحد من أهم الأسواق التجارية الموسمية الواقعة عند منطقة تلتقي فيها حدود المملكة الفرنجية مع أملاك المسلمين التابعة لإمارة دمشق، ويبدو أن حركة ذلك السوق كانت مزدهرة إلى الدرجة التي حرص فيها الرحالة عندما زار المنطقة على إيراد ذلك الأمر بوصفه حقيقة واقعة ضمن النشاط الاقتصادي، والتجاري لمملكة بيت المقدس اللاتينية خلال ذلك الحين.

---

(١) اليسييف: المملكة اللاتينية ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) Besant and Palmer : Jerusalem the City.264.
Cf.also: Chalandon :Histore de La Premiere Croisade 301; Prawer: The latin 377

(٣) ابن جبير: ٢١٠.

(٤) م.ن

(٥) Theoderich's: Description 64-65.

(٦) Fetellus : Descriptions of Jerusalem 26.

تتضح أهمية ذلك السوق من خلال توقيته، وموقعه إذ يرى هايد أنه قد أقيم عند عودة القافلة القادمة من مكة، وفي مستهل الصيف كان عدد كبير من المسلمين يحضر من كافة المناطق حتى من بلاد ما بين الرافدين إلى تلك المنطقة، ويقضي تحت الخيام طوال مدة إقامة السوق في فصل الصيف، ويقرر أيضاً أنه من المحتمل أن عناصر تجارية أوروبية، قد شاركت في هذا السوق على اعتبار أن المنطقة كانت معروفة لدى الفرنجة باسم سويتا (Sueta)، ومثلت قسماً من مملكة بيت المقدس عند أقصى امتداد لها في مواجهة دمشق(١)، ومن المرجح أنها عدّت من أهم المراكز التجارية المجاورة لإقليم الجليل بصفة عامة.

كانت تلك الأسواق الموسمية ذات صفة دولية، ولم تكن ذات طابع محلي فقط، وفيها عقدت صفقات البيع، والشراء، والمبادلة بالنقد، والمصاريف، وكذلك البيع المؤجل الدفع(٢). ولا شك أن وجود هذا السوق أدى إلى ازدهار المنطقة تجاريا.

أما المحور الثاني فقد تمثل في مرور القوافل التجارية في أراضيها بشكل مكثف زمن الحروب الفرنجية، ولا بد من الإشارة إلى طرق التجارة الدولية في بلاد الشام، التي كان لها أثر واضح على ازدهار الحياة الاقتصادية في بيسان لمرورها منها في ذلك العصر، وعلى مر العصور كانت فلسطين تشكل نقطة التقاء بين قارتي آسيا وإفريقيا، وجسرا يعبر منه من أراد الوصول لإحدى دول هاتين القارتين، وكان الطريق الرئيس هو الطريق المدعو بطريق البحر (Viamris)(٣)، وهو طريق طولي يمر من الشمال إلى الجنوب، وهذا الطريق ربط بين دمشق في سورية، وطبرية في جند الأردن، ومنها جنوبا إلى الرملة فمصر، وكان من الطبيعي أن يمر ببيسان في منطقتي جسر المجامع وعين جالوت إذ أقيم على طوله محطات لقوافل التجارة وللجيوش وكان الهدف منها استراحة الدواب والإنسان(٤).

---

(١) بورشارد:٦٢،٧٤؛ هايد: تاريخ التجارة ١٨٣. William of Tyre:3/70-72
سويتا suetha أو suite : ذكرت من جانب وليم الصوري وكذلك مؤرخي الحروب الفرنجية الآخرين، كما يلاحظ اوبري ستيوارت(Aubrey Stewart)، دون تحديد واضح لموقعها أو امتدادها، ويبدو أنها امتدت من بركة الروم إلى الجنوب من درعا وكان نهر اليرموك الذي تسميه المصادر الفرنجية باسم نهر الدان (Dan) يجري في المنطقة، ومن المحتمل أن اسم سويتا قد اشتق من السويدة بالقرب من جبل حوران، وهي مقاطعة مجاورة لدرعا، ولا تزال تحمل اسم زويت souwet أو zuweit وهناك من يقرر أن سويتا تبعد مسافة ١٦ ميل عن طبرية وتمتعت بخصوبة واضحة في تربتها الزراعية واحتوت على بعض الآثار القديمة ويقرر فيتلوس نفسه أنها كانت مسرحا لاحتفال سنوي من جانب اليونانيين والسريان . ينظر: عوض: الرحالة هامش ٣٧-١٢١. William of Tyre: 2/27

(٢) زكي: طرق التجارة ٢٨٤.

(٣) بورشارد: ٧٣.

(٤) عراف: جندا فلسطين والأردن ١٧.

ويتطابق هذا الطريق مع الطريق الذي أطلق عليه ابن خرداذبة (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) "مسلك تجار الروس البرية"(١).

هناك طريق آخر للقوافل كان يمتد من بلاد الرافدين عبر دمشق ثم إلى طبرية ومنها إلى بيسان، ومنها إلى باقي فلسطين حتى يصل مصر(٢). وكانت تلك الطرق تمر قبل الغزو الفرنجي وأوائله عبر جسر المجامع، وجسر الصنبرة الواقعين جنوب بحيرة طبرية، وبالقرب من بيسان، وقد أشار المقدسي إلى أهمية هذا الجسر حيث قال" فهناك جسر عظيم أسفل البحيرة تمر عليه طريق دمشق"(٣) إضافة إلى جسر الشريعة الذي أمر ببنائه الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ هـ/١٢٦٥م(٤). ومن المؤكد أن وجود مثل هذه الطرقات والاهتمام ببناء الجسور على نهر الأردن ساعد على ازدهار الحياة التجارية في بيسان، ورد عليها عوائد مالية مجزية سواء مما حققته من أثمان البضائع أم بدل الإقامة في الخان الواقع شمال المدينة(٥).

من المرجح أن فلسطين بما فيها مدينة بيسان، كانت تصدر زيت الزيتون إلى الغرب الأوروبي في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي، رغم أن الكميات التي كانت تصدر إلى أوروبا كميات قليلة(٦). إذا ما قورنت بكميات السكر التي كانت تصل إلى أوروبا، إذ أن معظم احتياجات أوروبا من السكر في القرنين الثاني والثالث عشر كان يفد إليها من بلاد الشام(٧).

وكانت الفواكه والتمور التي تنتجها بيسان تصل إلى أوروبا وبخاصة الليمون الحلو(٨)، كما أن بيسان التي تعد المدينة الأولى في إنتاج الأرز والحصر السامانية لا بد وأنها كانت تصدر منتوجاتها إلى خارج البلاد.

الضرائب

بعد الإشارة إلى أهم الموارد الاقتصادية لا بد لنا من أن نشير إلى ما كان يعانيه الفلاح العربي المسلم في فلسطين في ظل السيطرة الفرنجية من وطأة الأعباء المالية الملقاة على عاتقه، فقد كان ملزماً بسداد عدة ضرائب إلى السيد الإقطاعي: أولها الضريبة الأساسية النسبية العينية التي

---

(١) ابن خرداذبة: ١٥٤-١٥٥.

(٢) م.ن

(٣) المقدسي البشاري: ١٨٠.

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ١٠٣.

(٥) الدباغ: بلادنا ٦:٢ /٤٧٧. وينظر: عرفات: ٦٩.

(٦) رنسيمان: تاريخ ٣/٦٠١. وينظر: الحويري: الأوضاع الحضارية ١٣٤.

(٧) الحويري: م.ن. Cf.also: Prawer: The Latin kingdom 178-179. Beyer: Akko und Galilaea 242

(٨) Prawer:Crusader 96-98. The Latin 390-95 .cf.also Beyer:Akko und Galilaea 242

كانت تؤخذ على الحنطة المزروعة وتتراوح ما بين ثلث أو ربع المحصول وأطلق عليها terrage أو carragium وهي مشتقة من اللفظة العربية خراج، وثانيها التزام الفلاح بسداد ضرائب عينية مماثلة على مزارع الكروم وأشجار الزيتون والفاكهة، وتتفاوت الضريبة ما بين ربع المحصول ونصفه(١).

كما كان الفلاح ملزماً بتقديم الهدايا الجبرية ثلاث مرات في السنة إلى السيد الإقطاعي، واشتملت تلك الهدايا على طائر من الطيور، وعشر بيضات، ونصف رطل جبن وإثني عشر بيزنط عن كل حمل خشب(٢). بالإضافة إلى أعباء أخرى، ومنها العمل بالسخرة في أراضي السيد الإقطاعي ونقل الحاصلات الزراعية من حبوب وبقول إلى الأجران أو أماكن درس الحنطة، وإلزامه بدفع ضريبة على النحل وعلى العسل وعلى الحيوانات الداجنة التي يقتنيها وهناك ضرائب مقابل السماح للفلاح برعي الماشية في أراضي المراعي، وضرائب مقابل جمع الأخشاب لأغراض الوقود وبناء المساكن واستخدامه فروع الأشجار كأعمدة في مزارع الكروم(٣).

كما يتمتع السيد الإقطاعي بحقوق الاحتكار وتحصيل ضرائب من الفلاحين، مقابل استخدامهم لمطحنة القرية أو للمخابز أو للحمامات(٤). هذا إضافة إلى ما يدفعه من ضرائب الرأس وضريبة السادة(٥)، كما كان الفلاح مجبراً على تحمل أعباء ضرائبية أخرى مثل ما حدث سنة ٥٧٩ هـ /١١٨٣م حينما أصدرت المملكة قانوناً ينص على فرض ضرائب جديدة على كل سكان المملكة للدفاع عنها أمام الأخطار التي ظهرت من جراء صعود نجم صلاح الدين، ونص ذلك القانون على إلزام كل فرد من المملكة بصرف النظر عن لغته أو عشيرته أو ديانته أو جنسه.

ولما كان المسلمون يشكلون الغالبية العظمى من السكان، فقد وقع على كاهلهم أن يقوموا بهذا العبء أكثر من غيرهم، فقد عينت الحكومة أربعة رجال موثوقين في كل ناحية أو مدينة، ليقوموا بتحديد قيمة ممتلكات كل فرد في المملكة ودخله، ومن تلك اللجنة فرض ضريبة قدرها ١% على ممتلكات الفرد الواحد إذا زادت قيمتها عن مائة بيزنط. ولما كانت ممتلكات الفرد المسلم أقل من هذا المبلغ بصفة عامة، فقد توجب عليه أن يدفع بيزنطاً واحداً عن السكن الواحد وفي حالة عدم الاستطاعة يدفع نصف بيزنط وإن لم يستطع فعليه أن يدفع ربع بيزنط، وكان السادة الإقطاعيون ملزمين بسداد تلك الضريبة للدولة نيابة عن الفلاحين مقدّماً وهم بدورهم يقومون بتوزيع المبالغ

---

(١) الشاعر: أحوال المسلمين ١٦ Cf.also: Prawer: The Latin 374

(٢) سميث: الاسبتارية ٢٣. Strehlke : Tabulae Ordinis no 122, 91-94

(٣) Prawer: The Latin 375

(٤) سميث: الاسبتارية ٢٣. وينظر الشاعر: أحوال المسلمين ١٦.

(٥) Conder: The Latin 239

على السكان وفقاً لمقدرة كل فرد(١).

أما المستوطنون الفرنج فقد أدّوا بعض الضرائب مثل ضريبة العشر التي كانت تترتب على محاصيلهم فيما عدا الزيتون، كما توجب عليهم دفع عائدات معينة كانت مألوفة في تلك الفترة(٢). على حين أن مثل هذه الضرائب لم تشكل عبئاً مالياً عليهم قياساً إلى ما عاناه الفلاح المسلم من ضرائب.

العوامل المؤثرة على الحياة الاقتصادية

وبعد دراستنا لأحوال بيسان الاقتصادية خلال فترة الصراع الفرنجي الإسلامي، لا بد لنا من دراسة أبرز المؤثرات التي أثرت على أحوالها الاقتصادية نتيجة الأوضاع السياسية التي كانت سائدة آنذاك في بلاد الشام بصفة عامة وبيسان بصفة خاصة.

ومما لا شك فيه أن اقتصاد الإقطاعية قد تأثر بما كانت تقدمه الإقطاعية من الفرسان والجنود لمشاركة ملك بيت المقدس في حروبه وغزواته ضد المسلمين ولحماية حدود المملكة من الأخطار الخارجية التي قد تتعرض لها(٣) وبخاصة أنها كانت تعدّ من المدن الدفاعية عن المملكة بسبب موقعها وهذا ما قاله أحد المؤرخين الحديثين عنها لأنها مدينة دفاعية وليست قتالية"(٤). وكانت الخدمة الحربية التي تقدم لملك بيت المقدس تقوم على مدار السنة(٥)، وبناء على ذلك فإن إقطاعية بيسان كانت تتكفل بإعداد الفرسان والجنود وتجهيزهم وإمدادهم بالمؤن والزاد على مدار السنة.

ولا ريب في أن ذلك ألقى عبئاً على اقتصاد المدينة حيث أنها كانت تقع على مقربة من الحدود وقد عني ملوك بيت المقدس والسادة الإقطاعيون بتعزيز استحكاماتها وعلى هذا فقد أثرت الحروب الفرنجية تأثيراً سلبياً على المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، إذ أنها استنفدت الكثير من مواردها الاقتصادية(٦).

ومن المؤثرات الأخرى التي أثرت سلباً على أحوال بيسان الاقتصادية في ظل السيطرة الفرنجية الغارات الإسلامية المتكررة التي تعرضت لها في الفترة الواقعة بين سنتي ١١١٣-١١٨٤م/ ٥٠٧-٥٨٠هـ إذ استطاعت هذه الغارات نهب غلال مخازن بيسان أو تدمير

---

(١) William of Tyre: 1 /486-489

(٢) سميث: الاسبتارية ٤٣٤.

(٣) Jean d'Ibelin: Assises de Jerusalem 423-27.cf.also.La Monte:147

(٤) Prawer:The Latin 286

(٥) عاشور: الحركة الصليبية ١/٤٦٦. وينظر : طرخان: النظم الإقطاعية ٤٨.

(٦) محمد: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ٣٣٣.

المحاصيل الزراعية إضافة إلى توقف النشاط التجاري والصناعي.

وكان لسياسة ملوك بيت المقدس الداخلية في بيسان بعض التأثيرات منها كثرة المنح والامتيازات والهبات التي قام ملوك بيت المقدس بمنحها للكنائس والهيئات الدينية، ورجال الدين والقادة العسكريين(١) ومثال على ذلك ما منحه الملك جودفري Godfry وبلدوين الأول BaldwinI لكنيسة القديسة ماريّا في وادي جوسفات من أراضي بيسان (خندقاً وحدائق، وطاحونة)(٢). كما منح الملك فولك أوف أنجو Fulk of Anjo قريتي جبول وهليكار (خربة قارا Khirbet Kara) مع كل ما يحيط بهما من أراضي إلى رجال الدين في كنيسة القيامة سنة ٥٢٦هـ/١١٣٦م(٣). وكان ملك بيت المقدس يحصل على دخل نقدي ثابت من مدينة بيسان باعتبارها إحدى المدن الأميرية(٤).

أما عن المؤثرات الطبيعية فقد تعرضت مملكة بيت المقدس بشكل عام وبيسان بشكل خاص إلى نكبات زراعية كانت تصيب البلاد من وقت لآخر، كأسراب الجراد والفئران التي "أهلكت الزرع والضرع في مختلف النواحي"(٥) واستمرت في إحدى المرات لمدى أربع سنوات متتالية وتسببت في مجاعة شديدة في البلاد(٦). كذلك ظهور القطا سنة ٥١٧ هـ/١١٢٣م بأعداد هائلة أدى إلى إتلاف المحاصيل. يقول العظيمي" ظهر قطا أكثر من الجراد فأكل غلات الشام"(٧). وانتشر مرض الطاعون في المواشي والأبقار سنة ٥١٦ هـ/١١٢٢م(٨) هذا إلى جانب الهزات الأرضية التي أصابت البلاد أكثر من مرة في تلك الفترة، وقد تعرض المؤرخون المسلمون في أثناء حديثهم عن أحوال بلاد الشام وفلسطين الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الشام وفلسطين ومصر إلى ذكر هذه الهزات حيث تعرضت المنطقة إلى هزات أرضية متكررة سنة ٥٢٣ هـ/١١٢٩م(٩) وفي ٥٥٢هـ/١١٥٧م وتعرضت البلاد إلى هزات متوالية أصابت كثيراً من بلاد الشام ومات بسببها خلق كثير(١٠) وفي سنة ٥٦٥ هـ /١١٦٩م تعرضت البلاد لزلزال مدمر هدم عدداً كبيراً من المدن من بينها حمص وشيزر وأفاميه ودمشق وعكا وجميع قلاع الفرنج، وهلك من أهل

---

(١) Rohricht: Regesta 10-11

(٢) Delaborde: Chartes 6/29-32

(٣) Genevieve : 415 ; Beyer : Akko und Galilaea 226

(٤) La Monte: 17.cf.also: Prawer: The Latin 119

(٥) النويري: ٢٣/٢٧. وينظر: ابن تغري بردي: النجوم ٢٥٣/٦. William of Tyre: 1 / 535

(٦) William of Tyre: 1/ 535

(٧) العظيمي: ٣٩٦.

(٨) العظيمي: ٣٨١-٣٩١. وينظر: الصوري: ٤٩٦/١١.

(٩) ابن القلانسي:تاريخ٤٢٠-٤٢١.وينظر: العظيمي:تاريخ ٤٢٢؛ابن الأثير الكامل ٧١/١١؛ عوض:الزلازل ٨٠.

(١٠) ابن القلانسي: تاريخ ٥١٤-٥١٥. وينظر : ابن الأثير: الكامل ٧١/١١؛ سبط ابن الجوزي: ١٦٨/١/٨-١٦٩.

البلاد عدد كبير لا يمكن حصره(١) كما تعرضت البلاد لزلزال مدمر سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م عم بلاد الشام ومصر وتهدمت بسببه معظم المدن والقلاع ومات خلق كثير(٢). هذا بالإضافة إلى فترات الجفاف التي كانت تتعرض لها البلاد كما حدث سنة ٥٠٦ هـ/١١١٢م و٥١٨هـ /١١٢٤م ويقول عن ذلك العظيمي"وغارت الآبار والأنهار ووقع الوبا في النصارى"(٣) ومن المؤكد أن هذا الجفاف ترك آثاراً واضحة على بيسان فنرى أن ياقوت يقول "مررت بها ولم أرَ سوى نخلتين هائلتين"(٤).

٥-٤ الحياة العمرانية

شهدت بيسان في العصر الإسلامي نهضة عمرانية كبيرة إذ امتد البناء ليشمل جميع أراضي الهضبة الواقعة عليها المدينة وأقيم عليها عديد من المنشآت العمرانية(٥)، وعاش سكان بيسان في بيوت مبنية من الحجر، ويتألف بعضها من طابق واحد، وبعضها من طابقين أو أكثر، ويتوسط المنزل ساحة سماوية تشتمل على بئر الماء، وبعض الأشجار، ولهذه البيوت نوافذ مطلة على الشارع، وتستطيع المرأة من خلالها النظر إلى الشارع دون أن يراها أحد(٦). ووجد إلى جانب ذلك فئة من السكان عاشت في بيوت مبنية من البوص (القصب) حيث ينبت القصب في أراضي بيسان بمحاذاة النهر وبخاصة في المناطق الواقعة شمال المدينة، وغالباً ما كانت الطبقة الفقيرة تستخدمه في بناء منازلها، وإقامة الجدران والأسوار(٧).

ومن أبرز المنشآت العمرانية في بيسان المسجد الجامع(٨). وقد اعتاد المسلمون على إبقاء القناديل في مساجدهم على الدوام، حيث تعلق تلك القناديل بسلاسل. وكان يوجد في المسجد الجامع صندوق المال معلق على أعمدة، ومما يلاحظ على مسجد بيسان أن صحن الجامع كان يفرش بالحصى، وكان منبر المسجد مربع الشكل(٩).

من المنشآت العامة السوق، وكان يقع في وسط المدينة بالقرب من المسجد(١٠)، ووجد أيضاً في بيسان الحمامات كغيرها من المدن الفلسطينية، ومن هذه الحمامات حمام عين العاصي ويبدو أن

---

(١) الصوري: ٢/٩٤٧. وينظر: ابن الأثير : الكامل ١١/٣٥٤؛ سبط ابن الجوزي: ٨:١/٢٨٠؛ابن العديم:زبدة ٢/٣٣٠-٣٣١. عوض: الزلازل ٩٥-٩٨.

(٢) سبط ابن الجوزي:٨:٢/٤٧٧- ٤٧٨ . وينظر النويري: ٢٨/٢٩، ٢٩.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ ٣٣٨. وينظر: العظيمي: ٣٨١.

(٤) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ١/٥٢٧.

(٥) ناصر، خسرو: ٤٨.

(٦) غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس ١٢٨-١٢٩.

(٧) الفيتري: ٢٩-٣٠.

(٨) الهروي: ٢١. وينظر: الدباغ: بلادنا ٦:١ /٤٨١.

(٩) المقدسي البشاري: ١٨٠-١٨٢.

(١٠) المقدسي البشاري: ١٦١. وينظر : الهروي: ٢١؛ عرفات: ٦٢.

هذا الحمام كان يستخدم للشفاء من بعض الأمراض وبخاصة الجلدية منها، وذلـك لارتفـاع نسـبة ملوحة ماء هذا العين المقام عليه(١). وحمام عين الفلوس، وعرف من الحمامات الواقعة في منطقـة بيسان حمام بردله(٢).

رغم كثرة الحمامات في المدن الفلسطينية في تلـك الفـترة، إلا أن المصـادر الإسـلامية واللاتينية لم تفدنا بمعلومات عن هندسة تلك الحمامات الموجودة، إلا أن تقارير الرحالة المحدثين من القرن السـابع والثامن والتاسع عشر، قد أفادتنا بمعلومات واضحة عن هندستها ، فيذكر بيركـهارت أن الحمام الساخن بني فوق النبع، ويتكون من غرفتين مزدوجتين، إحداهما للرجال والأخرى للنسـاء وهما مفصولتان عن بعضهما. والغرفة بناء مربع معقود في وسطها حوض حجري واسـع محـاط بمقاعد حجرية عريضة، والنبع يتدفق من الحائط ويصب في الحوض، وبعد أن يبقى المستحمون في الماء فترة قليلة قد تبلغ عشر دقائق يجلسون عراة على المقاعد الحجرية حيث يمكثون هنـاك مـدة ساعة.

أما بخصوص هندسـة الجسور فقد اشـتهرت بيسان بوجود الجسور علـى نـهر الأردن وأشهرها جسر المجامع(٣)، وقد عرف هذا الجسر قبل وصول الغزو الفرنجي إلى المنطقة وربمـا يعود إلى العهد الروماني وقد بني هذا الجسر عند نقطة التقاء نهر الأردن مع رافـده الـيرموك(٤)، والجسر الثاني جسر الشريعة الذي بني في الفترة المملوكية سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م بأمر من الملـك الظاهر(٥)، وجسر على نهر جالوت(٦)، وقد بنيت هذه الجسور جميعها بالحجارة بشكل قوي علـى أقواس يمر من خلالها الماء(٧).

أما فيما يتعلق بالمنشآت التي أقامها الفرنجة في إقطاعية بيسان في أثناء سيطرتهم عليـها فقـد تمثلت في القلاع التي أنشأوها في الإقطاعية ومن أهمها كوكب الهوى وعفربلا وعين جالوت وقد سـبق وأن أشرت لها في الفصل الثاني.

---

(١) المقدسي البشاري: ١٦٢. وينظر: الدباغ: بلادنا ٦:١ /٤٩٥؛ عرفات: ٩٨،٧٥.

(٢) الإدريسي: ٣٦٤/١. وينظر: بورشارد: ٩٠-٩١؛ عرفات: ٨٠.

(٣) بير كهارت : ٧٢/٢-٧٣.

(٤) المقدسي البشاري : ١٦١.

(٥) ابن عبد الظاهر: زبد الفكره ١٠٣ إ. وينظر اليونيني: ٣٤٦/٢.

(٦) اليونيني: ٣٥٠/٢. وينظر: عرفات: ٨٧.

(٧) البغدادي: ٥٤/١. وينظر: دانيال:١١١-١١٢.

وقد اهتم الفرنجة بإحاطة مدينة بيسان بأسوار دائرية وأبراج للرقابة وعملوا على حفر خندق حولها بالإضافة إلى ما أقيم بها من استحكامات دفاعية(١).

كما اهتم الفرنجة بإنشاء ميدان لسباق الخيل في المدينة ومسرح كبير يبلغ قطره ٧٥ قدما وله سبعة مداخل مزدوجة، كل مدخل يؤدي إلى غرفة ذات سقف مقبب كانت تحفظ فيها الوحوش التي تلعب في الملعب. وبناء كنيسة في قرية سيرين التي ذكرتها المصادر الفرنجية باسم (LOSSERIN) إضافة إلى الكنيسة الموجودة في المدينة، كما عملوا على بناء السدود وقنوات الري(٢).

ومن المنشآت العامة في بيسان أيضا محطة البريد في عين جالوت ومحطة أخرى في منطقة جسر المجامع وقد أقيمت هاتان المحطتان في العهد المملوكي(٣)،إضافة إلى مشهد النصر في عين جالوت(٤).

---

(١) Raoul 704.cf.also: Robin Fedden : Crusader Castles 61; Prawer: The Latin .286. سميل: ٢١٣.

(٢) العابدي : الحفريات الأثرية ٩. وينظر: الدباغ: بلادنا ٦:١/٤٨٩-٤٩٠؛ عرفات :٥٧،٦٣،٦٩.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٦٥. وينظر: عرفات :٦٧؛ الدباغ: بلادنا ٦:١/٤٧٠.

(٤) ابن عبد الظاهر: م.ن ٩١.

الخاتمة

لقد عملت الظروف الجغرافية على إبراز بيسان كمنطقة جغرافية مميزة فهي منطقة داخلية جمعت تضاريسها معظم مظاهر السطح المعروفة من جبال وسهول، وقد توافر لها أراضي خصبة، ومصادر مياه وفيرة مما أدى إلى قيام مجتمع زراعي اسهم في تدعيم الجوانب الاقتصادية في الإقطاعية، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي المميز الذي أتاح لها التحكم بطرق التجارة الدولية، وبالتالي حققت الإقطاعية فوائد مادية كبيرة من جراء هذا الموقع.

سقطت مدينة بيسان بيد القوة الفرنجية بقيادة تانكرد دون أية مقاومة بعد أن هاجر معظم سكانها من المسلمين إلى دمشق تجنباً للحرب، وإيثاراً للعافية، والسلامة مما برهن على حالة الضعف، والتفكك التي عانت منها منطقة بلاد الشام بخاصة، والعالم الإسلامي بعامة خلال تلك الفترة ، فكانت بيسان البوابة الطبيعية لإقليم الجليل، ونقطة انطلاق تانكرد لاستكمال السيطرة عليه، كما توصل الباحث من خلال الدراسة إلى أن الفرنج قاموا بنقل النظام الإقطاعي الأوروبي إلى الشرق الإسلامي.

كانت إقطاعية بيسان قائمة بذاتها تابعة للتاج في بيت المقدس حيث ارتكزت على جهاز إداري يشمل السيد الإقطاعي، ومن يأتي من بعده، والجهاز القضائي ممثل في المحاكم المختلفة التي نشأت في الإقطاعية والكنيسة.

تمكن الباحث من تحديد العديد من التواريخ المهمة بالنسبة للإقطاعية تحديداً دقيقاً فعلى سبيل المثال أمكن تحديد تاريخ سقوط بيسان وبالتالي إخضاع منطقة الجليل لسلطة تانكرد وهو ما لم تشر إليه المصادر المختلفة صراحة بالفترة شوال سنة ٤٩٢هـ/أواخر آب أوائل أيلول سنة ١٠٩٩م، كما حدد الباحث تاريخ قيام الإقطاعية بـ السادس من جمادى الأولى ٤٩٤هـ/التاسع من آذار ١١٠١م.

ومن النتائج المهمة التي توصل إليها الباحث من خلال الدراسة نزوع الفرنج إلى تهجير سكان فلسطين من قراهم تحت وطأة الإرهاب كما فعل تانكرد بتهجير سكان بيسان من المسلمين إلى شرق نهر الأردن وإسكان نصارى عجلون عوضاً عنهم.

لقد اتضح أيضاً أن سكان إقطاعية بيسان المسلمين بدأوا بمقاومة المستعمرين الفرنج منذ بداية الحكم الفرنجي للأراضي المقدسة، وقد تنوعت أساليب المقاومة وحركة الجهاد الإسلامي ضد الفرنج فهناك عدد من المواطنين كان يتبع أسلوب المقاومة الفردية من أجل إرباك العدو عن طريق مهاجمة الضياع والاقطاعات الفرنجية ونهبها وإشعال النيران فيها، بينما كان البعض

الآخر يلجأ إلى قتل الفرنج تعبيرا عن عدم الرغبة في رؤية العناصر الأجنبية المغتصبة في بلاده.

كذلك اتضح من خلال الدراسة أن سكان الريف البيساني والبدو كانوا ينتظرون أية فرصة لمهاجمة الفرنج، وطردهم من بيسان، وغيرها من المدن الفلسطينية، ومثال ذلك قيام أهالي بيسان بمساعدة قوات الموصل ودمشق المتحالفة عند وصولها إلى الأراضي المقدسة. فقد زود أهل بيسان المسلمين القوات الإسلامية بالمؤن والسلاح كما قاموا على تعريفهم بمناطق ضعف الفرنج إضافة إلى مشاركتهم في القتال إلى جانب القوات الإسلامية في المعارك التحريرية التي وقعت على أراضيها أو بالقرب منها.

واتضح من خلال الدراسة أن أحوال بيسان الاقتصادية قد تأثرت خلال فترة الصراع الفرنجي الإسلامي بسبب كثرة الحروب بين الفرنج والمسلمين، وقيام بيسان بإعداد الفرسان والجنود وتجهيزهم بالعتاد والمؤن، وكانت هذه العملية تستنزف الكثير من موارد بيسان، وقراها وبالإضافة إلى هذا تأثرت أحوال بيسان الاقتصادية بسبب سياسة الفرنج الداخلية في المدينة والتي تمثلت في انتزاع أراضي المواطنين المسلمين، ومنحها إلى الكنائس، والأديرة، والنبلاء، والقادة العسكريين، ومع ذلك واصل الأهالي نشاطهم الاقتصادي بحيث أفاد الفرنج من الإمكانات الاقتصادية للمنطقة، كذلك أوضح الباحث بأن النشاط التجاري كان يستند إلى دعامتين داخلية وخارجية وامتازت الدعامة الخارجية بتحكمها بطرق التجارة الدولية، وقربها من أماكن انعقاد الأسواق الإقليمية السنوية.

ومن النتائج المهمة التي خرج بها الباحث من الدراسة أيضا أن الحروب الفرنجية كان لها تأثير سيء على الحياة العلمية في بيسان وقراها، فقد أدت سياسة الفرنج إلى تهجير عدد كبير من العلماء إلى مصر ودمشق، كذلك حرم المسلمون من التمتع بكافة حقوقهم المشروعة وخنقت حرياتهم مما أدى إلى إقفار في الحياة العلمية في ظل تسلطهم المقيت على بيسان.

واتضح أيضا أن المجتمع في بيسان قد امتاز بالتشرذم، والتمزق بشكل أعمق مما كان عليه قبل الغزو الفرنجي، كما اتضح أيضا أن الفرنج تأثروا بعادات المسلمين في حين لم تتأثر عادات المسلمين بهم لكون كثير من تلك العادات تتناقض مع عقيدتنا الإسلامية السمحة، ولذلك استنكر المسلمون الكثير من تلك العادات، والممارسات لأنها كانت غريبة عن واقعهم.

الملاحق

CAPITULUM CXXXIX.

Tancredus oppidum Bezan munit.

At Tancredus semper se transiens, semper de bono melior, semper Deo sublimante humilior, quamvis opum adeptione templatium præ ceteris abundat, sub rege tamen novo militat, nec jugum indignans, nec solitudinem expavescens: in id enim summo miles militem redegerat hærentem abiens, ut, congregatis omnibus, vix ducentæ loricæ Hierusalem tuerentur. E quibus Wiscardidæ circiter octoginta sibi ascitis, uberes prædas et frequentes undique corradebat, prædones ab urbe vigilanter arcebat, ditator civium, hostium pauperator. Ita nimirum sollicitudo virum impulit ad munimen oppidi quod nunc Besan, olim Bezamis legimus appellatum. Locus ille ab Hierusalem remotus, non saxo, non palo, non aggere munitus, squalore suo terrebat indigenas, advenis nihil blandus. Nam præter cetera, populi frequentia circumfusi jam obsidebat innocuum, nocentem obsessura multo frequentior. Verum id ipsum providerat audacia viri; et quemadmodum venator nemus; aut dumeta anceps, noverat unde major prædæ copia deberet avelli. Igitur Bezan, vallo utcumque circumducto vestitum, cetera per circuitum municipia spoliat, aratra disjungit, jugum a bove ad rusticum transfert, claudit mercibus vias, urbibus portas. Quibus plagis Caiphas afflicta, quamvis mari et turribus septa civitas, fatiscit tamen. primo quidem tormentis balearibus obruta, mox per funes, per pontes, per scalas immissos municiones passa.

الملحــق الأول

تحصين تانكرد لمدينة بيسان

مقتبس من كتاب "راؤول دي كاين: أعمال تانكرد في حملته على بيت المقدس"(١)

أما تانكرد الذي كان ينتقل دائماً من حسنٍ إلى أحسن، فهو متواضع لله. وعلى الرغم أن الثروات قد فاضت كثيراً بين يديه، إلا أنه يعمل في خدمة الملك الجديد(٢)، ولا يحتقر النير*، ولله يخشى القلق، فهو جندي ذو كفاءة عالية، ونفس سامية. وقد خرج وحشد الجموع،وكان هناك مائتان من لابسي الدروع يحرسون بيت المقدس، ومنهم كان جويسكارديدس(٣) قد جمع حوالي ثمـانين، إذ أنه كان يحرس غنائم وأسلابا لا حد لها،ويمنع اللصوص بعيداً عن المدينة،غنياً عن المواطنيـن مفتقراً إلى الأعداء. وقد اشتد به القلق ودفعه إلى ضرورة تحصين المدينة التي تسمى في الوقت الحاضر بيسان، التي كنا نطلق عليها قديماً اسم بيزامس**. وكان هذا الموقع يقع بعيداً عن بيت المقدس ولم يكن محصناً لا بالحجارة ولا بالأعمدة. وكان يخيف المواطنين بقذراته، ولا يفـرح الوافدين إليه بأي شيء يذكر. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت جموع الناس تحتشد حوله، وتحيط بالبريء، وجموع أكثر تحيط بالآثم. ورأى بشجاعة الرجل هذا الموقع نفسه، مثلما يرى الصيـاد غابة، أو يرى صياد الطيور ، فقد علم أنه سيحصل على صيد ثمين لا حصر له. ولذلـك فقد صنع سور دائري، وخرب كثيراً من الأماكن المحيطة، واغلق الطرق، ووضع عليها رسـوما، وأحاط المدينة بالبوابات. وبدت تشبه مدينة حيفا الواقعة على البحر، والمشتملة على الأبـراج، وعلى الرغم من ذلك فهي ضعيفة، وفي بداية الأمر ضربت بالمقاليع والنبال، ثم عُبرت بوساطة الحبال، وعبر الجسور، وباستخدام السلالم.

---

(١) Raoul 703-704

(٢) المقصود هنا جودفري البويوني الذي رفض أن يتوج ملكاً في مكان لبس فيه السيد المسيح تاجا من الشوك، وفضـل أن يطلق عليه لقب حامي القبر المقدس.

* النيّر: الخشبة المعترضة فوق عنق الثور أو عنقي الثورين المقرونين، لجر المحراث أو غيره والخيوط مـع القصـب وهي ملفوفة عليه، لا تسمى نيراً إلا وهي معه. ينظر: فيروزابادي: ٢/٩٦٦.

(٣) ربما المقصود بـ جويسكارديدس Gwiscardides الأمير تانكرد نسبة إلى جده لامه الأمير النورمـاندي روبـرت جويسكارد.

** بيزامس Bezamis: تحمل مدينة بيسان هذا الاسم عبر تاريخها العريق وربما المقصود هنا بيت شان، الاسم الكنعـاني الذي حملته المدينة منذ تأسيسها، نسبة إلى الإله الكنعاني شان.

الملحق الثاني

قائمة بأسماء السادة الإقطاعيين

١- آدم Adam ٤٩٩-٥٠٤هـ /١١٠١-١١١٠م

٢- هيو Hugh ٥٠٤-٥٢٤هـ/١١١٠-١١٢٩م

٣- جون John ٥٢٤-٥٢٧هـ/١١٢٩-١١٣٢م

٤- توماس Thomas ٥٢٧-٥٤٧هـ/١١٣٢-١١٥٢م

٥- هيو Hugh ٥٤٧-٥٥٦هـ/١١٥٢-١١٦٠م

٦- جرمون الأول Germont I ٥٥٧-٥٦٩هـ/١١٦١-١١٧٤م

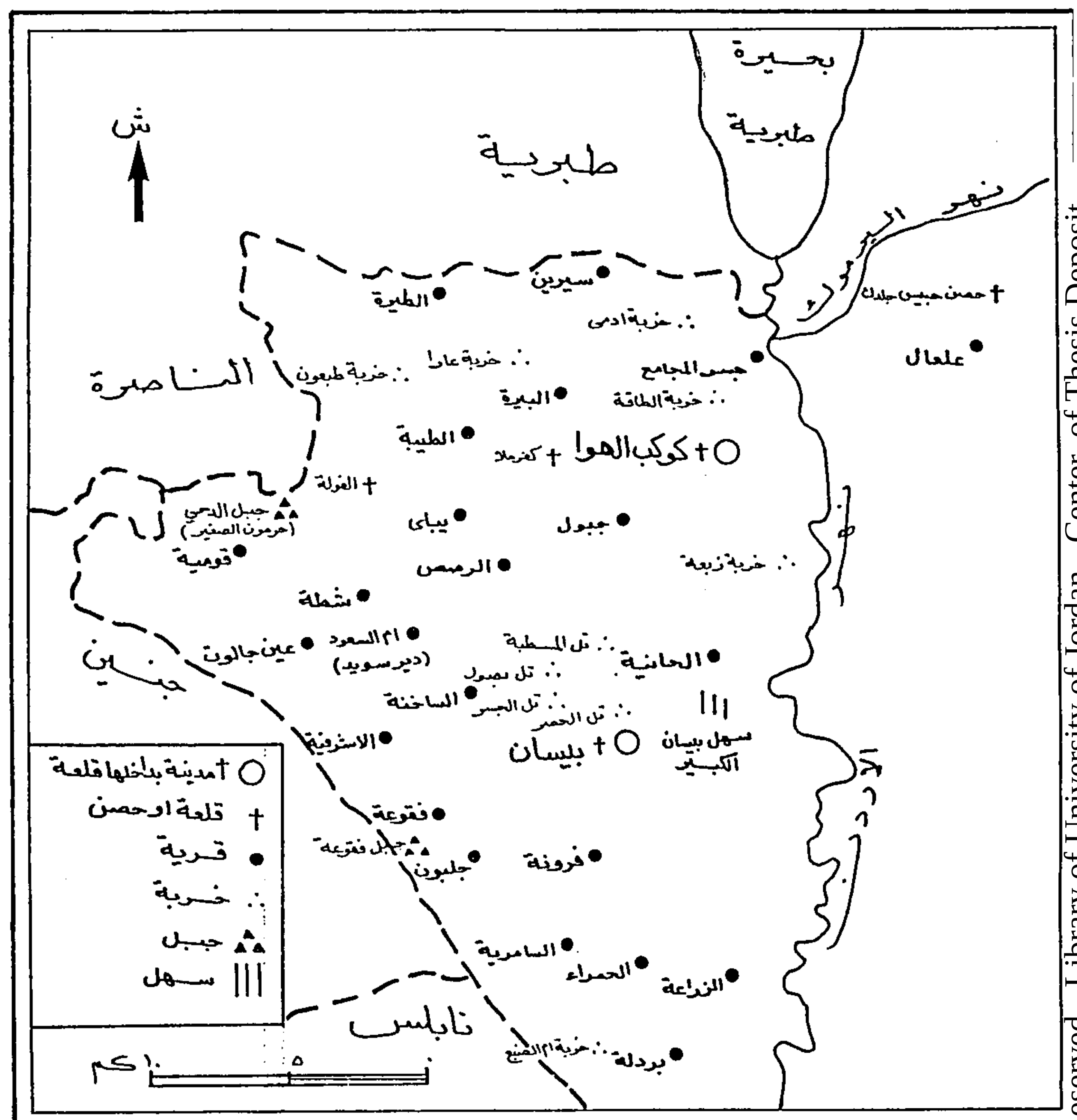
٧- آدم الثاني Adam II ٥٦٩-٥٧٥هـ/١١٧٢-١١٧٩م

٨- جوتيه Gautier ٥٨٨-٥٩١هـ/١١٩٢-١١٩٤م

٩- بلدوين Balldwin ٥٩١-٥٩٥هـ/١١٩٤-١١٩٨م

١٠- جرمون الثاني Gremont II ٥٩٥-٦١٧هـ/١١٩٨-١٢٢٠م

الخرائط



(١) خارطــة إقطاعية بيســـان

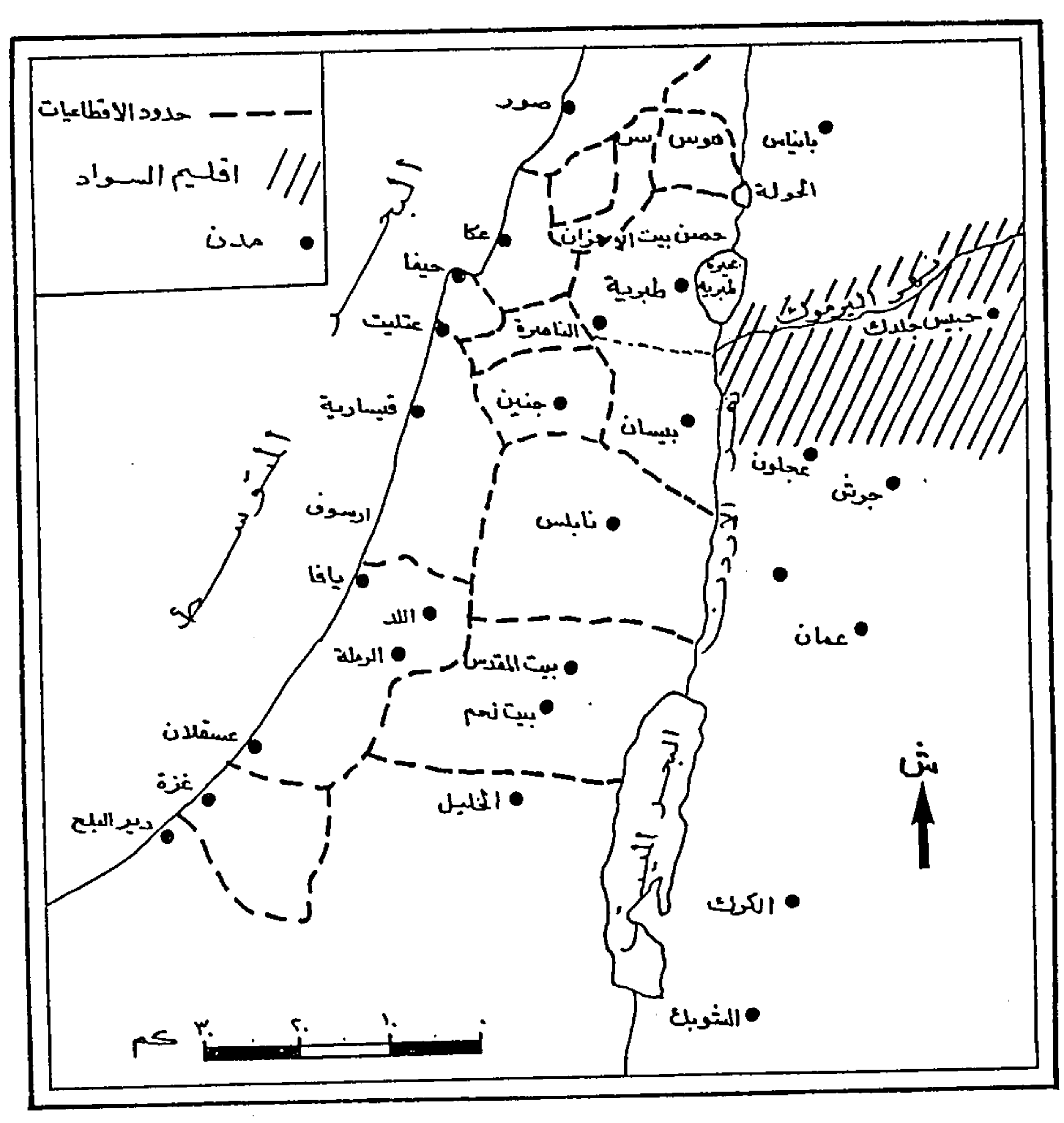
في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

نقلت بتصرف عن خارطة المؤرخ الألماني غوستاف باير: ٢٢٤



(٢) خارطة تبين الأدوية والينابيع في قضاء بيسان

نقلاً عن : عبيد: بيسان ٤٣



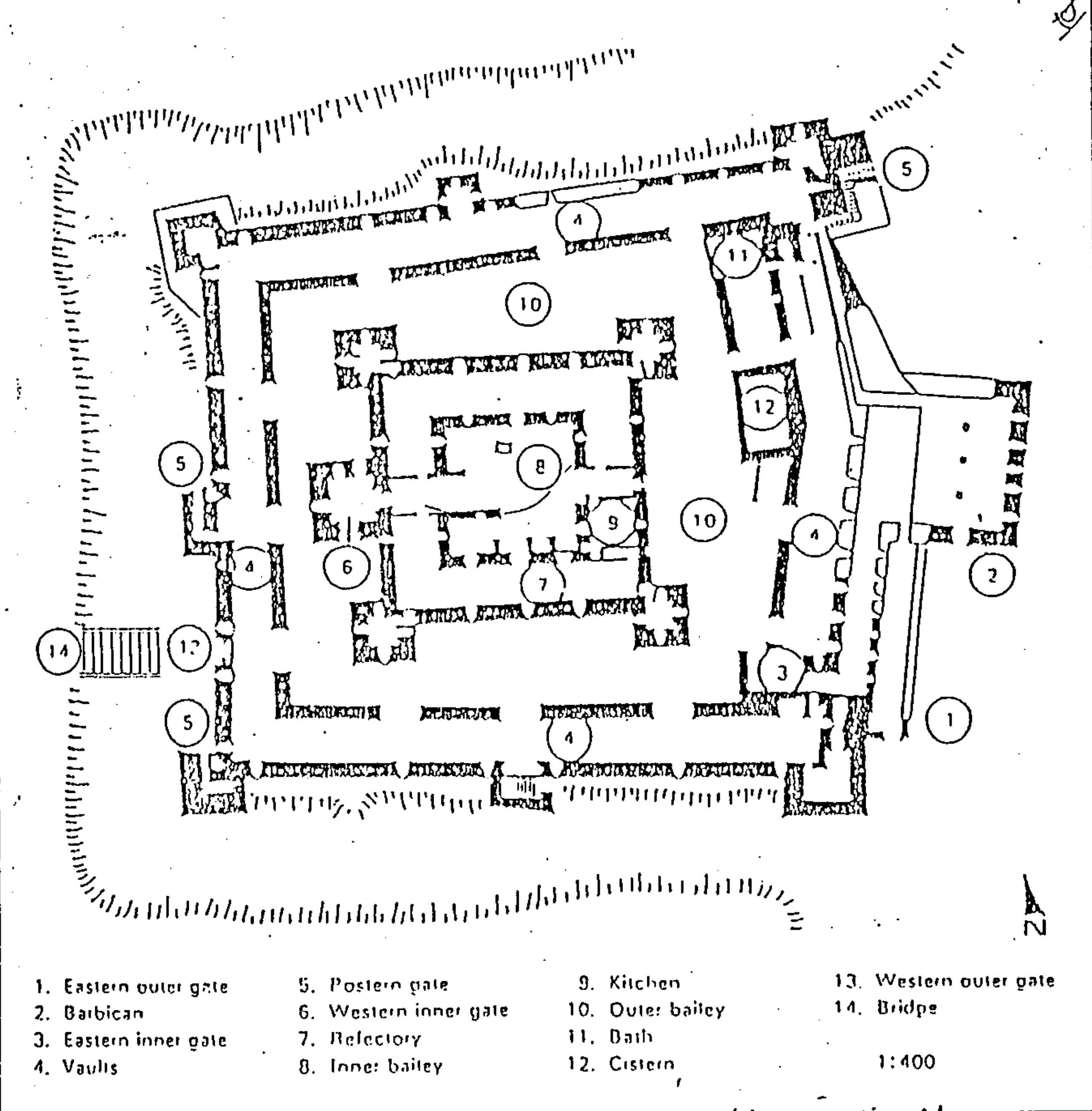
(٣) خارطـــة مملكة بيت المقدس الفرنجية

في أقصى اتساع لها نقلاً عن الممتلكات الكنيسية للبيشاوي، ٣٠٠



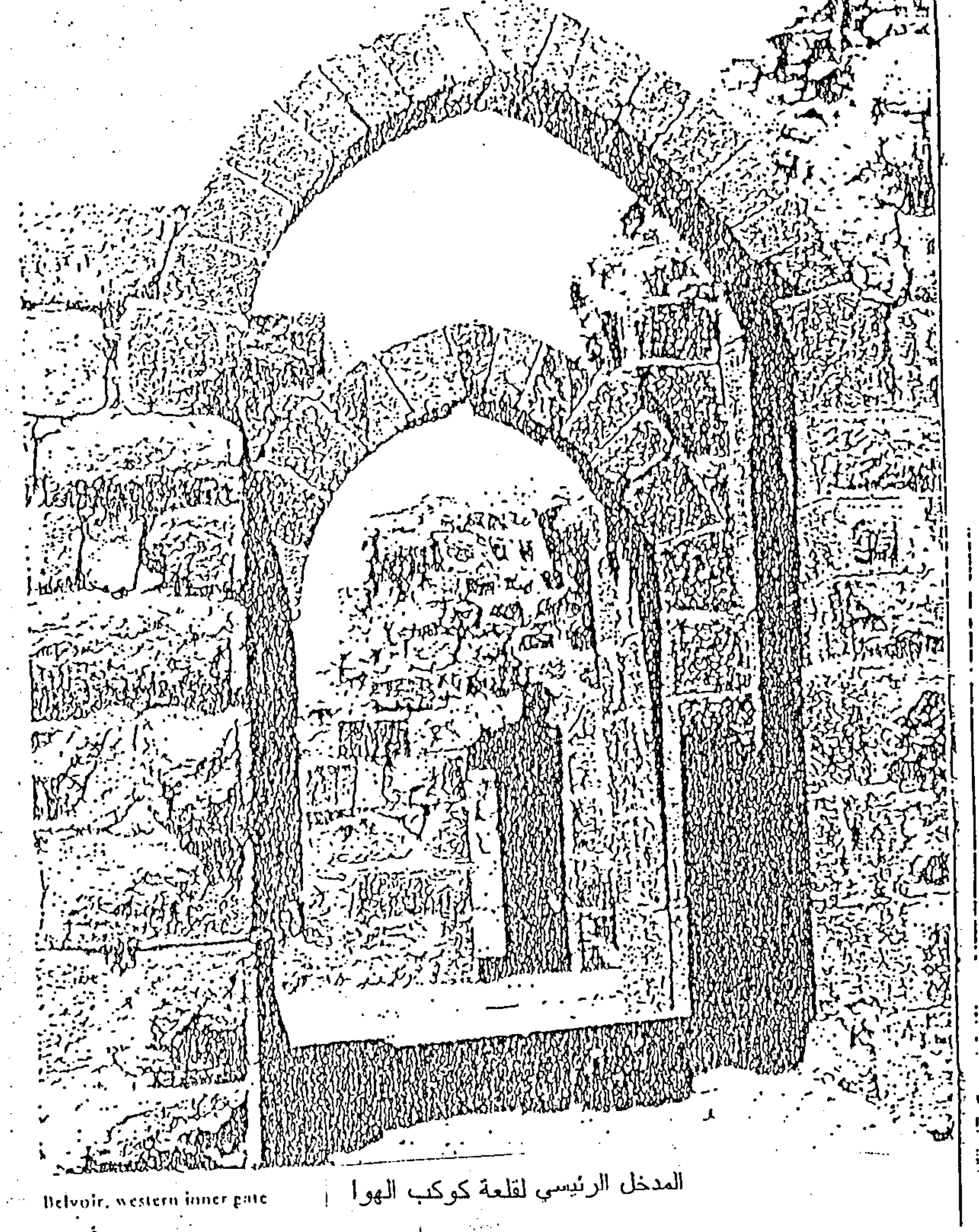


البوابة والقنطرة شمال شرق بيسان، عرفات:٧٧



Belvoir (General Plan) مخطط لقلعة كوكب الهوا

Benvenisti :The Crusaders,296



Belvoir, western inner gate | المدخل الرئيسي لقلعة كوكب الهوا

Beinvenisti :The Crusaders 301

قائمة المصادر والمراجع

أ - الكتب المقدسة:

١- التوراة

ب- الوثائق اللاتينية:

Delaville Le Roulx, (Ed)
Les Archives La Bibliotheque et le Tresor de L'ordre de St. Jean de Jerusalem a Malte en: B.E.F.A.R. 32 , Paris 1883.

De Marsy, A:
Fragment d'un Cartulaire d L'order de Saint – Lazare en Terr Sainte, in A.O.L., Tome II, Paris 1884.

Genevieve B.B:
Le Cartulaire du Chapitre de Saint – Sepulcre de Jerusalem. Paris 1984.

Kohler ch.:
Chartes de L'Abbaye de Notredame de La Vallee de Josophat en Terre Saint, in R.O.L. Tome XI,Paris 1899.

Rohricht, R:
Regesta Regni Hierosolimtani, Innsbruck,1893.

Strehlke E.: (Ed)
Tabulae Ordinis Theutonici, Berlin, 1869.

ت- المصادر العربية

١- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

- **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة،(د ط)، القاهرة-مصر، ١٩٦٣م.

- **نهاية النهاية في طبقات القراء**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٠م.

- **الكامل في التاريخ**، ١٢ج، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٨٧م.

٢- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**،عالم الكتب،ط١،بيروت-لبنان،١٩٨٩.

٣-ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر (ت٩٢٦هـ/١٥١٩م)، **صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط**،تحقيق عمر عبد السلام التدمري،مطبعة جروس برس، ط١ طرابلس-ليبيا ١٩٩٣.

٤- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (توفي في النصف الأول من القرن ٤هـ/ ١٠ م) **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧.

٥- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ/١٠٢١م):

- **البرق الشامي**،تحقيق مصطفى الحياري،مؤسسة عبد الحميد شومان،ط١،عمان-الأردن،١٩٨٧.

- **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ط).((د.م).(د.ت).

٦-ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ٥ج، تحقيق محمد مصطفى الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، القاهرة-مصر، ١٩٨٣-١٩٨٤م.

٧- ابن أيبك، أبو بكر عبد الله (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، **كنز الدرر وجامع الغرر**، (الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) تحقيق سعيد عاشور، القاهرة-مصر، ١٩٧٢.

٨- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر،ط١، بيروت-لبنان، ١٩٥٤م.

٩-البكري،عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ٤ج، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ط٣، بيروت-لبنان، ١٩٨٣م.

١٠-البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **فتوح البلدان**، عنـى بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (د.ط) بيروت-لبنان، ١٩٩١م.

١١-البلوي، أبو محمد عبد الله بن محمد المديني (ت٣٣٠هـ/٩٤١م) **سيرة أحمد بن طولون**، تحقيق محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، (د.ت).

١٢-البنداري الفتح بن علي بن محمد (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م):

-**سنا البرق الشامي**، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، ط١، مصر، ١٩٧٩م.

-**تاريخ دولة آل سلجوق**، دار الآفاق الجديدة، ط٣، بيروت-لبنان، ١٩٨٠م.

١٣-بيبرس المنصوري ، ركن الدين بيبرس المنصور الدوادار (٧٢٥هـ/١٣٢٤م):

- **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، نشره وقدم له ووضع فهارسه عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية،ط١، القاهرة-مصر،١٩٨٧م.

-**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** ، تحقيق دونالدس، ريتشاردز، مطبعة مؤسسة حسيب درغام وأولاده، ط١، بيروت-لبنان،١٩٩٨م.

١٤- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٦ج، قدم له وعلق عليه محمد حسنين شمس الدين، دار الكتب العلمية،ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م.

١٥- ابن تيمية، تقي الدين أحمد (ت ٧٢١هـ/١٣٢٧م) ، **الحسبة ومسؤولية الحكومة الإسلامية**، تحقيق صلاح عزام، مطبوعات الشعب، (د.ط)، (د.م) (د.ت).

١٦- ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) **رحلة ابن جبير**، دار التراث، (د.ط)، بيروت-لبنان ١٩٦٨م.

١٧-ابن أبي جرادة، كمال الدين عمر (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) **زبدة الحلب من تاريخ حلب**،٢ج، تحقيق سهيل زكار، دار الكتاب العربي ،ط١، دمشق-سوريا ، ١٩٩٧م.

١٨- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان ، ١٩٩٢م.

١٩- ابن حبيب الحنفي، بدر الدين الحسن بن عمر (ت ٨٠٨هـ /١٤٠٥م) **درة الأسلاك في دولة الأتراك**، ج٨، مخطوطة مصورة عن الخزانة العامة بالرباط، ومحفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، شريط رقم ٥٣٩.

٢٠- ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):
- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، ٥ ج، تحقيق محمد جاد الحق، مطبعة المدني، ط٢، القاهرة-مصر، ١٩٦٦-١٩٦٧م.
- **أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، دار الكتب العلمية، ط٢،بيروت-لبنان،١٩٨٦م.

٢١- الحريري، أحمد بن علي بن أحمد (ت٩٢٦هـ/١٥١٩م) **الأعلام والتبيين في خروج إفرنج الملاعين على بلاد المسلمين**، تحقيق مهدي رزق الله، دار الدعوة،ط١، الإسكندرية-مصر،١٩٨٦م.

٢٢- الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحسيني (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) **زبدة التواريخ** (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) تحقيق محمد نور الدين، دار اقرأ،ط٢،بيروت-لبنان، ١٩٨٤م.

٢٣- الحموي،ياقوت،أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):
- **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، عالم الكتب،ط٢، بيروت-لبنان ١٩٨٦م.
- **معجم البلدان**،٦ج، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الطليعة،ط١، بيروت-لبنان،١٩٩٠م.

٢٤- الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت٦١٠هـ/١٢١٣م) **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان،ط١، بيروت- لبنان، ١٩٧٥م.

٢٥- الحنبلي، أبو اليمن عبد الرحمن بن مجير الدين العليمي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م) **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**،ج٢، مكتبة المحتسب، (د.ط)،عمان- الأردن ، ١٩٧٣م.

٢٦- الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦هـ/١٤٧٢م) **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تحقيق ناظم رشيد، (د.ن)، (د.ط)، بغداد- العراق، ١٩٧٩م.

٢٧- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) **صورة الأرض**، مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت-لبنان، (د.ت).

٢٨- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) **المسالك والممالك ويليه نبذه من كتاب الخراج وصنعة الكتابة**، لقدامه بن جعفر، مطبعة بريل، (د.ط)، ليدن، ١٨٨٩م.

٢٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.

٣٠- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٨، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،(م.ط) بيروت-لبنان، (د.ت).

٣١- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) :

- **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، ج٢، تحقيق محمد كمال الدين علي، عالم الكتب، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٨٥م.

- **التحفة المسكية في الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م.

- **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام** (٦٢٨-٦٥٩هـ)، تحقيق سمير طبارة، المكتبة العصرية، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م.

٣٢- الذهبي،أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م):

- **دول الإسلام**،ج٢، دائرة المعارف النظامية، ط١، حيدر أباد-الهند، ١٣٣٧هـ/١٩١٧م.

- **العبر في خبر من غبر**،تحقيق محمد بسيوني،دار الكتب العلمية، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٥م.

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان**، تحقيق عمر التدمري، دار الكتاب العربي،ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.

٣٣- ابن رستة، أبو عمر أحمد بن عمر بن رستة (ت أوائل ق. ٤هـ/١٠م) **الأعلاق النفيسة**، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.

٣٤- سبط بن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٧م):

- **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،(د.ط)، حيدر أباد-الهند، ١٩٥١.

- **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** "الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة" نشره علي سويم، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، (د.ط)، أنقرة-تركيا، ١٩٦٨م.

٣٥- ابن سعد ، محمد بن سعد ، **الطبقات الكبرى**،٨ مج، دار صادر ،(د.ط)، بيروت-لبنان، د.ت.

٣٦- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،ط١،بيروت-لبنان، ١٩٧٠م.

٣٧- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م) **الأنساب**،٥ج، اعتنى بتصحيحه عبد الرحمن اليماني، دائرة المعارف العثمانية، ط١،حيدر أباد-الهند، ١٩٦٢.

٣٨- السيوطي، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):
- **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، ٢ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٦٨م.
- **تاريخ الخلفاء**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.
٣٩- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان المقدسي(ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م):
- **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين**، ٢ج، تحقيق محمد الكوثري، دار الجليل،ط٢، بيروت- لبنان، ١٩٧٤.
- **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق أحمد البسيومي، وزارة الثقافة،ط١، دمشق- سوريا، ١٩٩١-١٩٩٢م.
- **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، حققه وعلق عليه إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.
٤٠- ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي (٦١٧هـ/١١٢٠م) **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، تحقيق د.حسن حبشي،عالم الكتب،(د.ط)، القاهرة -مصر،(د.ت).
٤١- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين** ، تحقيق جمال الدين الشيال، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط١، (د.م) ،(د.ت).
٤٢- ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين) ، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق-سوريا، ١٩٦٢.
٤٣- شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية،(د.ط)، بطرسبورغ، ١٨٦٥.
٤٤- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**،تحقيق الباز العريني، مكتبة الثقافة، (د.ط)، بيروت-لبنان، ١٩٨١م.
٤٥- ابن طباطبا، محمد بن علي بن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر،(د.ط)، بيروت-لبنان، (د.ت).
٤٦- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) **تاريخ الأمم والملوك**، دار الفكر للطباعة،(د.ط)،(د.م)، ١٩٧٩م.

٤٧- ابن الطوير، أبو محمد المرتضى بن عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م) **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، دار صادر، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.

٤٨- ابن عبد الظاهر، محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م):

- **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**،تحقيق مراد كامل،(د.ن)، (د.ط)،القاهرة-مصر،١٩٦١م.

- **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط١، الرياض-السعودية، ١٩٧٦م.

٤٩- ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين، **تاريخ الزمان**، ترجمة اسحق رملة، دار المشرق، (د.ط)، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م.

٥٠- ابن العبري، غريغوس الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) **تاريخ مختصر الدول دار المسيرة**،(د.ط)، بيروت-لبنان، (د.ت).

٥١- ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) **زبدة الحلب من تاريخ حلب**،٣ج، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق-سوريا، ١٩٥٤م.

٥٢- العظيمي، محمد بن علي الحلبي (ت ٥٥٦هـ/١١٦١م) **تاريخ حلب**، تحقيق إبراهيم زعرور،(د.ن)،ط١، دمشق-سوريا، ١٩٨٤م.

٥٣- ابن علي الكاتب،شافع بن علي الكاتب العسقلاني المصري (ت ٧٣٠هـ/١٣٣١م) **الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٨م.

٥٤- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،٨ج، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١، دمشق، بيروت-لبنان، ١٩٨٦-١٩٨٩م.

٥٥- العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**(دولة المماليك الأولى) تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م.

٥٦- ابن العميد، المكين جرجس بن العميد أبي الياس أبي المكـــارم النصرانـــي (توفـــي بعـــد ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) **أخبار الأيوبيين**، مجلة المعهد العلمي بدمشق (بالفرنسية) ٧ج، (د.أ)، (د.ط)، دمشق-سوريا، ١٩٨٥م.

٥٧- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) **عقد الجمـــان في تاريخ أهل الزمان "عصر السلاطين والملوك حوادث وتراجم ٦٤٨-٦٦٤هـ"** تحقيق محمـد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة -مصر، ١٩٨٧م.

٥٨- الغساني، الملك الأشرف عماد الدين أبو العباس إسماعيل (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) **العســـجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك**، تحقيق شـــاكر عبـــد المنعـــم ، دار التراث الإسلامي للطباعة والتوزيع ودار البيان،(د.ط)، بيروت، بغداد-العراق، ١٩٧٥م.

٥٩- الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) **تاريخ الفارقي " الدولة المروانيـــة"** تحقيـــق بـــدوي عبـــد اللطيـــف، دار الكتـــاب اللبناني،ط٢، بيروت-لبنان، ١٩٧٤م.

٦٠- أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين بن جمال محمـــود بن محمد عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

- **تقويم البلدان**،صححه رينود وماك كوكين ديسلان،دار الطباعة الســلطانية،بـــاريس-فرنســـا، ١٨٤٠.
- **المختصر في أخبار البشر**،٥ج، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت-لبنان، د.ت.

٦١- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) **تاريخ الدول والملوك، أو تاريخ ابن الفرات المعروف باسم الطريق الواضح الكسلوك إلى معرفـــة تراجـــم الخلفـــاء والملوك**، المجلد الرابع، الجزء الأول والجزء الثاني، المجلد الخامس الجزء الأول، تحقيق حسن محمد الشماع،(د.ن)، (د.ط)،(د.م)، ١٩٧٠م.

Ayyubids, Mamlukers and Crusaders, Selection from the Tarikh Al-Duwal Wal-Muluk of Ibn Furat.In two Volumes, text and translation introduction and by U. and M.C.Lyons. University of Cambridge, Historical notes by J.S.Reiley – Smith, University of St. Andrews.

٦٢- ابن الفقية، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٣٤٠هـ/٩٥١- ٩٥٢م) **مختصـــر كتـــاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.

٦٣- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت-لبنان، ١٩٩٤م.

٦٤- ابن قاضي شهبة، بدر الدين أبي الفضل محمد (ت ٨٧٤هـ/١٤٩٦م) **الكواكب الدرية في السيرة النورية**، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد،ط١، بيروت-لبنان، ١٩٧١.

٦٥- القرطبي،عريب بن سعد القرطبي ،ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م) صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار التراث،ط٢، بيروت-لبنان، ١٩٦٧م.

٦٦- القرماني، أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م) **أخبار الدول وآثار الأول**، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.

٦٧- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت.

٦٨- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م):

- **تاريخ ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق**، مطبعة الآباء اليسوعيين،(د.ط)، بيروت-لبنان، ١٩٠٨م.

- **تاريخ دمشق**، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر،ط١، دمشق-سوريا، ١٩٨٣م.

٦٩- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، ١٤ج، تعليق محمد شمس الدين، دار الفكر ودار الكتب العلمية،ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٧م.

٧٠- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،(د.ط)، بيروت-لبنان، ١٩٧٤م.

٧١- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٢٧٣م) **البداية والنهاية في التاريخ**، ١٤ج، مكتبة المعارف، ط٢، بيروت-لبنان،١٩٩٠م.

٧٢- ابن لقلق، كيرلس الثالث (ت ٦٤١هـ/١٢٤٣م) **تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية**، المجلد الرابع، الجزء الأول والثاني، نشره انطون خاطر وازولد بورمستر، جمعية الآثار القبطية،(د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٧٤م.

٧٣- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) :

- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٤ج، دار الأندلس للطباعة، ط٣، بيروت،لبنان، ١٩٧٨م.

- **التنبيه والإشراف**، دار ومكتبة الهلال،(ط١)، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨١م.

٧٤- المقدسي البشاري ، شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالبشاري (عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (د.ن)، (د.ط)، ليدن، ١٩٦٧م.

٧٥- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) :

- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ٢ج، صححه محمد مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،ط٢، القاهرة-مصر، ١٩٥٦م.
- **أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، ٣ج، تحقيق جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة- مصر، ١٩٦٧م.
- **ضوء الساري في خبر تميم الداري**، تحقيق محمد احمد عاشور، دار الاعتصام للطباعة والنشر، ط١، بيروت،لبنان، القاهرة-مصر، ١٩٧٢م.
- **المقفى الكبير**، ٨ج، تحقيق محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي،ط١، بيروت،لبنان، ١٩٩١م.
- **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية**،٣ج، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة-مصر، ١٩٩٧م.

٧٦- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) **لسان العرب**،١٥ج، دار إحياء التراث،ط٢، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م.

٧٧- ابن منقذ ، مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) **الاعتبار**، حرره فيليب حتي، طبعة جامعة برنستون، (د.ط)، الولايات المتحدة، ١٩٣٠م.

٧٨- ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م) **المنتقى من أخبار مصر**، تحقيق أيمن فؤاد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (د.ط)، القاهرة-مصر،١٩٨١م.

٧٩- ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) **سفرنامه المعروفة باسم رحلة ناصر خسرو**، ترجمة أحمد خالد، جامعة الملك سعود، (د.ط)، الرياض-السعودية، ١٩٨٣م.

٨٠- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) **نهاية الأرب في فنون الأدب** ٣ج

- الجزء السابع والعشرون، تحقيق سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٨٥م.
- الجزء الثامن والعشرون، تحقيق محمد محمد أمين ومحمد حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة- مصر،١٩٩٢م.
- الجزء التاسع والعشرون، تحقيق محمد ضياء الدين الريس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٩٢م.

٨١- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ٥ج

الجزء ١-٣، تحقيق جمال الدين الشيال، (د.ن)، (د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٥٣-١٩٦٠م.

الجزء ٤-٥، تحقيق حسنين محمد ربيع، (د.ن)، (د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٧٢-١٩٧٧م.

٨٢- الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ/١٢١٥م)، **كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات**، تحقيق جانين سورديل، طومين، المعهد الفرنسي،(د.ط)، دمشق-سوريا، ١٩٥٣م.

٨٣- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

- **كتاب البلدان**، طبع في ذيل الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل،(د.ط)، ليدن، ١٩٦٧م.
- **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،ط١،١٩٩٣م.

٨٤- اليونيني ، الشيخ قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) **ذيل مرآة الزمان**، ٤ج، حقق بعناية وزارة التحقيقات الحكيمة والأمور الثقافية الهندية، دار الكتاب الإسلامي،ط٢، القاهرة-مصر، ١٩٩٢م.

ث – المصـــادر الأجنبية

١- التطيلي بنيامين :

رحلة بنيامين التتطيلي، ترجمة عزرا حداد، المطبعة الشرقية، ط١، بغداد-العراق، ١٩٤٥م.

٢- بورشارد، الحاج بورشارد من دير جبل صهيون:

وصف الأرض المقدسة، ترجمـــة ســعيد البيشـــاوي، دار الشـــروق للطباعـــة والنشـــر،ط١، عمان-الأردن،١٩٩٥م.

٣- بيركهارت:

رحلات بيركهارت في سورية الجنوبية، ترجمة أنور عرفات، وزارة الثقافة والأعلام الأردنية، (د.ت).

٤- توديبود، بطرس :

تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس نقله إلى الإنجليزية جـــون هيـــوج ولوريتـــال هيـــل، جـــامعة هوستون،نقله إلى العربية وعلق عليه حســـين محمـــد عطيـــة، دار المعرفـــة الجامعيـــة،ط١، الإسكندرية-مصر، ١٩٩٨م.

٥- جوانفيل، جان دي:

مذكرات جوانفيل (القديس لويس: حياته وحملاته على مصر والشام)ترجمة حسن حبشـــي، دار المعارف،ط١، مصر، ١٩٨٦م.

٦- دانيال الراهب:

رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديـــار المقدســـة"١١٠٦-١١٠٧م" ترجمـــة ســـعيد البيشاوي، وداود أبو هدبة،ط١، عمان-الأردن، ١٩٩٢م.

٧- ريموند أجيل:

تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية،دار المعرفـــة الجامعيـــة، ط١، الإسكندرية-مصر، ١٩٩٠م.

٨- سايولف:

وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضـــي المقدســـة ١١٠٢-١١٠٣م، ترجمـــة وتعليق سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع،ط١، عمان-الأردن، ١٩٩٧م.

٩- الشارتري، فوشيه :
تاريخ الحملة إلى القدس، ١٠٩٥-١١٢٧م، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية فرنسيس ريتاريان، حرره وقدمه هارولد، س. فنك، نقله إلى العربية زياد جميل العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان-الأردن، ١٩٩٠م.

١٠- الصوري، وليم :
تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار) نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار، دار الفكر، (د.ط)، دمشق-سوريا، ١٩٩٠م.

١١- الفيتري، يعقوب :
تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع،ط١، عمان-الأردن، ١٩٩٨م.

١٢- فورزبورغ، يوحنا:
وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع،ط١، عمان-الأردن، ١٩٩٧م.

١٣- مجهول:
أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي،(د.م)،١٩٥٨م.

١٤- مجهول:
الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، وقع ضمن كتاب الحروب الصليبية ، ترجمة سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر،ط١، دمشق-سوريا، ١٩٨٤م.

١٥- مجهول:
تتمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ إلى روثلان، ترجمة أسامة زكي زيد، مركز الدلتا للطباعة،(د.ط)،القاهرة- مصر، ١٩٨٩م.

١٦- مجهول:
الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)، ٢ج، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب، (د.ط)،القاهرة- مصر، ٢٠٠٠م.

17- Albert d'Aix:
Historia Hierosolymitana, Ed R.H.C.H.Occ, tome IV,Paris 1879.

18- Ambroise:
The Crusade of Richard Lion-Heart, Tr., M.j.Hubert NewYork,1941.

19- Anna Comnena:
The Alexiad, Tr. R.Sewter,Penguin Book,1979.

20- Anonymous:
Anonymous Pilgrims, Tr. Aubrey Stewart, in P.P. T.S Vol VI,London1897.

21- Eracles:
L'E stoire d'Eracles Empereur et de Conquest de la Terre d'outremer Ed R.H.C.H. Occ, Tome II, Paris 1859.

22- Fabri Felix:
The Book of the Wanderings of Brother Felix Fabri, in P.P.T.S, Vol II,London 1893.

23- Fetellus:
Descriptions of Jerusalem and the Holyland, in P.P.T.S. Vol V,London1892.

24- Jean d'Ibelin:
La Livere de Jean d'Ibelin, in Assises de Jerusalem, tome1, Paris 1881.

25- Joannaes Phocas:
The Pilgrimage of Joannes Phocas in the Holyland, Tr. Aubery Stewart, in P.P.T.S, Vol V ,London 1896.

26- John of Wurzburg:
Description of the Holyland by John of Wurzburg . A.D 1160-1170, Tr. c.w Wilson, in P.P.T.S, Vol V, London 1890.

27- Ludolph Von Suchem's:
Description of the Holyland, Tr. By Aubery Stewart, in P.P.T.S Vol XII,London1896.

28- Poloner,John:
Description of The Holy Land Tr, by Stewart,P.P.S,VI

29- Marino Sanuto's:
Secriets for the Crusaders to help them to recover the Holyland Tr. Aubrey Stewart, in P.P.T.S Vol XII, London 1896.

30- Raoul de Caen:
Gesta Tancridi in Expeditione Hierosolymitana, Ed. R.H.C.H.Occ tome III,Paris.

31- Theoderich's:
Description of the Holyland, Tr. By Aubery Stewart, in P.P.T.S, Vol V, London1897.

32- Willibald:
The Travels of Willibald A.D 721-727 IN Early Travelsin Palestine, London 1848.

ج - المراجــع العـربيــــة

١-الأحمد، سامي:

تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية،(د.ط)، بغداد-العراق، ١٩٧٩م.

٢- أولبرايت، وليم فوكسويل:

آثار فلسطين، مؤسسة الثقافة الفلسطينية ،ط٢، عكا - فلسطين، (ب.ت).

٣- بوست، جورج:

قاموس الكتاب المقدس، ٢ج، (د.ن)،(د.ط)، بيروت- لبنان، ١٩٨٤-١٩٠١م.

٤- البيشاوي، سعيد عبد الله جبريل:

- **الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ**، دار المعرفة الجامعية،(د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٨٩م.
- **نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحـروب الصليبيـة ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م**، (دار الشروق)، ط١، عمان-الاردن، ١٩٩١م.

٥- توفيق، عمر كمال :

- **مملكة بيت المقدس الصليبية**،(د.ن)، (د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٥٨م.
- **مقدمات العدوان الصليبي- الإمبراطور يوحنا تزيمسـكس وسياسـته الشـرقية**، ب.د،ط٢، الإسكندرية-مصر، ١٩٦٦م.

٦- حبشي، حسن :

الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي،(د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٥٨م.

٧- حسين، حسن عبد الوهاب :

- **تاريخ قيسارية الشام في العصر الإسلامي**،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-مصر، ١٩٩٠م.
- **تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضـي المقدسـة حوالـي ١١٩٠-١٢٩١م/٥٨٦-٦٩٠هـ**، دار المعرفة الجامعية ،(د.ط)، الإسكندرية-مصر، (د.ت).
- **مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي**،دار المعرفة الجامعية، ط١،الإسكندرية-مصر،١٩٩٧م.

٨- الحسيني، محمد يونس:

التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين،(د.ن)،(د.ط)، القدس-فلسطين، ١٩٤٦م.

٩- خمار، قسطنطين:

موسوعة فلسطين الجغرافية، منشورات اليسار،(د.ط)،(د.م)، ١٩٨١م.

١٠- الدباغ، مصطفى مراد:
- **الموجز في تاريخ فلسطين من اقدم الأزمنة حتى اليوم**، وزارة التربية والتعليم، ط٢، عمان-الأردن، ١٩٥٦م.
- **بلادنا فلسطين**، ١١ج، دار الهدى، طبعة جديدة، كفر قرع، ١٩٩١م.
١١- الدبس، يوسف:
تاريخ سورية، ٨ج،(د.ن)،(د.ط)، بيروت -لبنان، ١٩٠٥م.
١٢- الدومنيكي، مرمرجي:
بلدانية فلسطين العربية، مطبعة جان دارك،(د.ط)، بيروت-لبنان، ١٩٤٨م.
١٣- رستم، أسد :
عصر أوغسطوس قيصر وخلفائه ٤٤ق.م،منشورات الجامعة اللبنانية،(د.ط)، بيروت-لبنان،١٩٦٥م.
١٤- زكار، سهيل :
- **تاريخ الحروب الصليبية**، ٢ج، دار حسان،ط١، دمشق-سوريا، ١٩٨٤م.
- **حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس**، دار حسان، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٤م.
١٥- زكي، نعيم :
طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، (د.ن)،(د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٧٣م.
١٦- زيادة، محمد مصطفى:
حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب،(د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٦١م.
١٧- زيان، حامد:
العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي (أسرة شيخ الشيوخ) ،مطبعة دار نشر الثقافة، (د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٧٨م.
١٨- زيدان، جورجي:
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال،ط٢، القاهرة-مصر، ١٩٢٢م.
١٩- زيد، أسامة زكي :
صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٨٠م.

٢٠- سالم، السيد عبد العزيز:
- **طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٦٦م.
- **التاريخ والمؤرخون العرب**، (د.ن)، (د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٨١م.
٢١- سعداوي، نظير:
المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية،(د.ط)،(د.م)، ١٩٦٢م.
٢٢- الشاعر، محمد فتحي :
أحوال المسلمين تحت حكم الصليبيين ١٠٩٩-١١٨٧م،مكتبة دار الثقافة،(د.ط)،العراق، ١٩٨٩م.
٢٣- الشامي، كامل خالد :
جغرافية فلسطين (دراسة الأقاليم الطبيعية) جامعة سبها،(د.ط)، (د.م)، ١٩٩١م.
٢٤- شراب، محمد محمد:
معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، ط١، دمشق- بيروت،١٩٨٧م.
٢٥- شماته، عادل:
العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي، مكتبة مدبولي،ط١، القاهرة-مصر، ١٩٨٩م.
٢٦- شوفاني، الياس:
الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى ١٩٤٩م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٢، بيروت-لبنان، ١٩٩٨م.
٢٧- الشيخ، محمد مرسي :
- **عصر الحروب الصليبية في الشرق**،(د.ن)(د ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٩٦م.
- **الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها** ، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٩٠م.
٢٨- الصاحب، اياد هشام محمود:
السامريون الاصل والتاريخ، العقيدة والشريعة واثر البيئة الاسلامية فيهم، مكتبة دنديس، ط١، عمان- الأردن، ٢٠٠٠م.
٢٩- الصوافي، طالب:
القلاع والحصون في شمال فلسطين، مؤسسة الأسوار،ط١، عكا-فلسطين، ٢٠٠٠م.

٣٠- طرخان، إبراهيم :
النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط والعصور الوسطى، دار الكاتب العربي، (د.ط)، القـاهرة- مصر، ١٩٦٨م.
٣١- طوطح، خليل ورفيقه:
جغرافية فلسطين، دار ابن رشد،(د.م)،(د.ت).
٣٢- العابدي، محمود :
- **الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن**، ،د.ن)، (د.ط)، عمان -الأردن، ١٩٧٣م.
٣٣- عارف، عبد الله :
نابلس دراسة إقليمية، جامعة دمشق،(د.ط)،دمشق-سوريا، ١٩٦٤م.
٣٤- عاشور، سعيد عبد الفتاح:
- **الحركة الصليبية**، ٢ج، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣، القاهرة-مصر، ١٩٧٥-١٩٧٦م.
- **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسـطى**، دار النهضـة العربيـة، (د.ط)، بيروت-لبنان، ١٩٧٦م.
- **قبرص والحروب الصليبية**، (د.ن)، (د.ط)، القاهرة -مصر، ١٩٨٧م.
٣٥- عاشور، فايد حماد:
جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت-لبنان،١٩٨٥م.
٣٦- عاقل، نبيه :
تاريخ العرب القديم وعصر الرسول،دار الفكر، ط٣، دمشق- سوريا، ١٩٧٥م.
٣٧ - عبد الله، يسري عبد الغني:
معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، ط١، بـيروت- لبنان،١٩٩١م.
٣٨- عبيد، يوسف:
قصة مدينة بيسان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دائرة الثقافة بمنظمـة التحريـر الفلسطينية، (د.ط)، (د.ت).
٣٩- عراف، شكري:
جندا فلسطين والأردن في الأدب الجغرافي الإسلامي، دار الشفق،(د.ط)، كفر قرع،(د.ت).
٤٠- عرفات، جميل:
قرى وعشائر قضاء بيسان. (د.ن)، ط١،الناصرة-فلسطين ١٩٩٧م.

٤١- العريني، السيد الباز:
- **الإقطاع الحربي عند الصليبيين بمملكة بيت المقدس في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، القاهرة،مصر، ١٩٥٩م.
- **مؤرخو الحروب الصليبية**، دار النهضة، (د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٦٢م.
- **الدولة البيزنطية**، دار النهضة العربية،(د.ط)، (د.م)، ١٩٨٣م.
٤٢- العزة، رئيسة عبد الفتاح :
نابلس في العصر المملوكي، دار الفاروق، ط١، نابلس-فلسطين، ١٩٩٩م.
٤٣- عطية، حسين محمد :
إمارة إنطاكية والمسلمون ١١٧١-١٢٦٨م/٥٦٧-٦٦٦هـ، دار المعرفة الجامعية، ط١، الإسكندرية-مصر، ١٩٨٩م.
٤٤- العسلي، بسام:
- **فن الحرب الإسلامي**، مجلد ٤ ، دار الفكر، ط١، بيروت- لبنان،١٩٨٨م.
٤٥-العسلي، زياد:
الدراسات الصهيونية للحركة الصليبية وقع ضمن كتاب ندوة يوم القدس الثانية،عمان-الأردن، ١٩٩١م.
٤٦- علي، محمد كرد :
خطط الشام، ٦ج، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت-لبنان، ١٩٧١م.
٤٧- عمران، محمود سعيد :
- **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت-لبنان، ١٩٨١م.
- **الحروب الصليبية**، دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت-لبنان، ١٩٩٠.
٤٨- عوض، محمد مؤنس أحمد:
- **الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، ١٠٩٩-١١٨٧م**، مكتبة مدبولي،ط١، القاهرة-مصر، ١٩٩٢م.
- **الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ط١، عين شمس-مصر، ١٩٩٥.
- **الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية**، عيد للدراسات والبحوث الإنسانية، ط١، عين شمس-مصر، ١٩٩٦م.

٤٩- غوانمة، يوسف :
- **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**،دار الحياة للنشر والتوزيع،ط١،الزرقاء-الأردن، ١٩٨٢م.
- **إمارة الكرك الأيوبية** (بحث في العلاقات بين صلاح الدين وارناط ودور الكرك في الصراع الصليبي في الأراضي المقدسة)، دار الفكر،ط٢، عمان-الأردن، ١٩٨٢م.
- **القرية في جنوب الشام في العصر المملوكي في وقفية ادر**، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، ١٩٨٣م.

٥٠- فوزي، فاروق عمر، حسين، محسن محمد:
الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، دار الشروق، ط١، عمان-الأردن، ١٩٩٩م.

٥١- القاسمي، محمد سعيد:
قاموس الصناعات الشامية، ٢ج، (د.ن)،(د.ط)، دمشق-سوريا، ١٩٦٠م.

٥٢- كلبونة، عبد الله :
تاريخ مدينة نابلس، (د.ن)،(د.ط)، نابلس-فلسطين، ١٩٩٢م.

٥٣- محمد، أحمد رمضان:
المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية،(د.ن)،(د.ط)،القاهرة-مصر، ١٩٧٩م.

٥٤- المغربي، عبد الرحمن:
عكا ومنطقتها في العصور الوسطى ٤٩٧هـ/١١٠٤م-٥٨٣هـ/١١٨٧م، مؤسسة الأسوار، ط١،عكا-فلسطين، ١٩٩٧م.

٥٥- النحال، محمد سلامة :
جغرافية فلسطين، دار العلم للملايين، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٦٦م.

٥٦- النخيلي، درويش:
فتح الفاطميين للشام، مؤسسة الثقافة الجامعية،(د.ط) ، (د.م)، ١٩٧٩م.

٥٧- النقاش، زكي:
العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب اللبناني،(د.ط)، بيروت-لبنان، ١٩٥٧م.

٥٨- نوار، صلاح الدين:

العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، دار الدعوة،(د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٩٣م.

٥٩- يوسف، جوزيف نسيم:

- **لويس التاسع في الشرق الأوسط**، (د.ن)،(د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٥٩م.
- **العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى**،دار النهضة العربية،ط٣،بيروت-لبنان، ١٩٨١م.
- **تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها** ، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٨٤م.
- **العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة**، دار المعرفة الجامعية،(د.ط)، الإسكندرية-مصر، ١٩٨٩م.
- **العدوان الصليبي على مصر، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور**، دار المعرفة الجامعية،(د.ط)، (د،م)، ١٩٨٩م.

ح – المراجع الأجنبية

١- باركر، ارنست:

الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار النهضة العربية،ط٢، بيروت-لبنان، ١٩٦٧.

٢- بنز، نورمان:

الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس، يوسف زايد،ط٢، القاهرة- مصر، ١٩٥٧.

٢-جونز، هـ :

مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة إحسان عباس، دار الشروق،ط١، عمان- الأردن، ١٩٨٧م.

٤- دوزي، رينهارت:

تكملة المعاجم العربية،ترجمة محمد سليم النعيمي،دار الرشيد،(د.ط)،العراق،١٩٨٠-١٩٨١م.

٥- دونالد.د:

حضارة روما، ترجمة جميل الذهبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر،(د.ط)،(د.م) ١٩٦٤م.

٦- رنسيمان، ستيفن:

- **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة الباز العريني، دار الثقافة،ط٢، بيروت-لبنان،١٩٨٠م.
- **الحضارة البيزنطية**، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر، ١٩٦٥م.

٧- ريشار، جان:

تكوين مملكة بيت المقدس اللاتينية وبنيتها، وقع ضمن كتاب الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٤.

٨- سترانج، لي:

فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عمايرة، جمعية عمال المطابع التعاونية، ط١، عمان-الأردن، ١٩٧٠م.

٩- سمالي، بيريل:

المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم ، دار المعارف بمصر ، (د.ط)، القاهرة-مصر، ١٩٧٨م.

١٠- سميث، جوناثان رايلي:

- **الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص**، ترجمة صبحي الجابي، دار طلاس للدراسات والنشر،ط١، دمشق-سوريا، ١٩٨٩م.

- **الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية**، ترجمة محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٢، القاهرة-مصر، ١٩٩٩م.

١١- سميل، ر. سي:

الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.

١٢- كاهن، كلود:

الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة احمد الشيخ، سينا للنشر،ط١،القاهرة-مصر، ١٩٩٥م.

١٣- كراتشكوفسكي، اغناطيوس:

تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين ثمان، مراجعة ايغور بليايف ،٢ج، (د.ن)،(د.ط)، موسكو- روسيا، ١٩٥٧م.

١٤- لامب، هارولد:

شعلة الإسلام (قصة الحروب الصليبية) ترجمة محمود يعقوب، دار المتنبي، (د.ط)، بغداد-العراق، ١٩٦٧م.

١٥- ماير، هانس ابرهارد:

- **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات،(د.ط)، ليبيا، ١٩٩٠م.

- **الملابس المملوكية**، ترجمة صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د.ط)، مصر،١٩٧٢م.

١٦- مولر، فولفغانغ فينر:

القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، (د.ط)، دمشق-سوريا، ١٩٨٢م.

١٧- مونروند، مكسيموس:

تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليبيين ترجمة مكسيموس مظلوم، مطبعة دير الرهبان الفرنسيسكان،(د.ط)، القدس-فلسطين ،١٩٦٥م.

١٨- هاملتون، جب:

صلاح الدين الأيوبي (دراسات في التاريخ الإسلامي) ، تحرير يوسف ايبش، بيسان للنشر والتوزيع والأعلام، ط٢، بيروت-لبنان، ١٩٩٦م.

١٩- هايد، ف:

تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة احمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة-مصر،١٩٨٥م.

٢٠- اليسييف، نيكيتا:

المملكة اللاتينية في القدس والحكام المسلمون في القرن الثاني عشر للميلاد، وقع ضمن كتاب الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٤م.

21- Archer T.H and Kingsford,C.L:
The Crusades the Story of the Latin Kingdom of Jerusalem,London1919.

22- Benvenisti,M:
The Crusaders in the Holyland, Jerusalem,1976.

23- Besant, W.and Palmer,E.H.:
Jerusalem the City of Herod and Saladin,London,1888.

24- Conder,C.R:
The Latin Kingdom of Jerusalem,1099-1291, A.D,London ,1897.

25- Deschamps,P.:
Les Chateaux des Croises on Terre-Sainte, "La De Fen se du Royaume de Jerusalem,2 vol Paris,1939.

26- Duggah,A.:
The Stor of the Crusades. London, 1963.

27- Hagenmeyer,H.:
Chronologie de la Premire Croisade, in R.O.L tome VIII,1900-1901.

28- Hamilton. B.:
The Latin Church in the Crusader States,London 1980.

29- Gordon, Pirie:
The Rigning Princes of Galilaea, ed Pool, R.L.,Vol XXVII, London ,1912.

30- Grousset, R.:
Histoire des Croisades du Royaume France de Jerusalem, 3 vols.paris,1948.

31- Kedar, B. and Pringles D.:
La Feve Acrusader Castle in the Jezreel Valle, in Israel Exploration Journal vol 35 no. 2-3, Jerusalem.

32- **La Monte, L.:**
Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem 1100-1291, New York, 1970.
33- **Mayer , H.E.:**
The Origins of the County of Jaffa, in Israel Exploration Journal vol 35, Jerusalem, 1985.
34- **Nicholson, R.L:**
Joscelyn L. Prince of Edessa, IIlinois, 1954.
35- **Prawer, J.:**
- Crusader Institutions, Oxford, 1980.
- The Latin Kingdom of Jerusalem, Jerusalem 1972.
36- **Rey, E.G.:**
- Les Familles d'outre – mer de du Cange, Paris 1896.
- Les Colonies Franques en Syrie aux XII, Siecles Paris, 1883.
37- **Richard, J.:**
-The Latin Kingdom of Jerusalem, 2 vols Tr. From the original by Jeant shirly, Amsterdam, 1979.
38- **Robin Fedden:**
Crusader Casteles, London,1950.
39-**Roger of Wendovers:**
Flowers of History 2vols,TV.by J.A.Giles, London,1848.
40- **Smith:**
The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem , 1174-1277, London, 1973.
41- **Smail, R.c.:**
The Crusaders in Syria and the Holyland, London 1973.
42- **Stevenson, W.:**
The Crusaders in the East, Beirut, 1968.

خ- الموسوعـــات

١- تيراسي.هـ، الحصن، دائرة المعارف الإسلامية، ٣ج، ١٥مج، نقلها إلى اللغـــة العربيـــة محمد ثابت الفندين إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، أحمد الشـــنتاوي، دار المعرفـــة، (د.ط)، بيروت-لبنان، (د.ت).

٢-الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ،٨ج، دار العلم للملايين،ط٦، بيروت-لبنان، ١٩٨٤م.

٣-لامنس،بيسان ، دائرة المعارف الإسلامية ، ٤ج، ١٥مج، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفنديـن إبراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يونس، احمد الشنتاوي، دار المعرفـــة، (د.ط)، بـــيروت-لبنان، (د.ت).

٤- مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفلسطينية، ٦ مج، هيئـــة الموســـوعة الفلســـطينية، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.

٥- هورت. السلاجقة ، دائرة المعارف الإسلامية، ١٢ج،١٥ مج نقلها إلى اللغة العربية محمـــــد ثابت الفندين ، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، احمد الشمنتا، دار المعرفـــة، (د.ط)، بيروت-لبنان، (د.ت).

6- Terrasse, H.:
Fortress. The Encyclopedia of Islam (E.I.) Edited by : B.Lewis and Others . E.T.Brill , 1978.

7- John, M.:
Castles, The Encylopedia of Americana (E.A.) Crolier Cooperation Danbury.

د - الرسائل الجامعية:

١- دويكات، فؤاد عبد الرحيم حسن :

إقطاعية طبرية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك،إربد- الأردن، ١٩٨٧م.

٢- الحروب، محمد محمود، أحمد:

المماليك في الدولة الأيوبية ٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية،عمان- الأردن، ١٩٩٥م.

٣- السيد، علي أحمد :

- إمارة الجليل تحت حكم اللاتين ودورها السياسي في الصراع الصليبي الإسلامي ١٠٩٩-١١٥٤م/٤٩٢-٥٤٩هـ رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية،مصر،١٩٨٨م.
- الخليل في عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩-١١٨٧م/٤٩٢-٥٨٣هـ)، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة الإسكندرية،مصر، ١٩٩٤م.

٤- العقاد، زين:

إقطاعية أرسوف في العهد الفرنجي ١١٠١-١٢٦٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، ١٩٩٦م.

٥- المسحال، حسن إبراهيم:

عسقلان في فترة الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس،مصر، ١٩٩٩م.

ذ- كتب أجنبية غير منشورة

١- الراسبوتي، بتاحيا:

الرحلة "وصف الأراضي المقدسة" ، ترجمة سعيد البيشاوي وأسامة حمد، مكتبة سعيد البيشاوي،مخيم بلاطة-نابلس،فلسطين، غير منشور.

ر- الدوريات العربية:

١- براتراندون دي لا بروكيير:

رحلة براتراندون دي لابروكيير إلى فلسطين ولبنان وسورية، ترجمة محمود زايد، مجلة الأبحاث، ج٣، الجامعة الأمريكية،بيروت-لبنان، ١٩٦٢م.

٢- البيشاوي، سعيد:

دراسة مقارنة بين الاستيطان الصليبي والاستيطان الصهيوني، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية،مج١،ع١، رام الله، فلسطين ،١٩٩٨م.

٣- الحياري، مصطفى:

- "حصن بيت الأحزان "جانب من العلاقات بين المسلمين والفرنجة الصليبيين في زمن صلاح الدين، مجلة دراسات،الجامعة الأردنية ،عمان،الأردن، مج ١٣،ع٤، كانون الثاني١٩٨٦م.
- "حصن حبيس جلدك" مجلة دراسات،الجامعة الأردنية،الأردن، مج١٣،ع١٢، ١٩٨٦م.
- "جند الأردن" (ملاحظات حول حدوده الجغرافية) مجلة الأبحاث، الجامعة الأردنية،الأردن،١٩٨٧م.

٤- زيد، أسامة زكي:

الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية،مصر، مجلد٣، ١٩٨٤م.

٥- العريني، السيد الباز:

نحو طبقة النبلاء بمملكة بيت المقدس الصليبية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد٢٠، ح٢، ١٩٥٨م.

٦- قاسمية، خيرية:

المرأة العربية في مواجهة غزو الفرنجة الصليبين، أوراق في التاريخ والأدب،جامعة دمشق، دمشق-سوريا، ٦٩-٧٧.

ز - الدوريات الأجنبية

1- Baldwin,M:
The Decline and Fall of Jerusalem (1174-1189) in Setton.Vol I ,1969.

2- Beyer, G.:
Das Gebiet der Kreuzfahrer Gebiet Caesarea, in Z.D.P.V.LTX,1936.
Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea,Z.D.P.V,LXVII /1924.

3- Boase, T.S.R.:
Mititary Archirecture in the Crusader States in Palestine and Syria in: Section,vol,IV,1971.

4 - Fink. H
The Foundation of the Latin States (1099-1118), in Setton, vol,I,1969.

5- Indrikis S.:
The Teutonic Kinghts in the Crusader States, in Setton , vol V, 1985.

6- La Monte and Norton Downs III:
The Lords of Bethsan in the Kingdom of Jerusalem and Cyprus, in : Medievalia et Humanistica, vol3, 1948-1950.

7- Richard, J. :
Agricultural Conditions in the Crusader States, in setton , vol.V.

Summery

It was known in many other names such as Beithsan, Skethopolis, Nesa and the Sun city.

The (Canaanites) built the city 4000 B.C. many peoples and civilization had controlled it, the Egyptians ruled it 1500 B.C. then the Israelis in 1200 B.C. and in the year 721 B.C. the (Ashories) had controlled it and then in the year 538 B.C. the Persians had their turn and controlled it. Alexander of MaCadonia had occupied it in the year 323 B.C.

The Greece had rehabileted it and called it Scythopolis.The (al-Batalesah) had ruled it in the year 302 B.C., then of 223-187 B.C. It was destroyed by the John Her Kanos al-Makabi in the year 129 B.C.

Then the Romans had rebuilt it in the year of 62 B.C. and was one of the 10 cities alliance (Decapolis) and became the second capital of Palestine in the year 400 A.D. in the era of the Eastern Roman Empire (Byzantie). It was under the control of the Persians in 614 A.D. then it was recaptured by the Roman Empire in 629 A.D. but their control did not last long so as the Arab Muslims concqured it in 634 A.D. at Fahl Battle, and they moved the capital to Tibries. It remained under the Islamic rule I until 971 A.D., then it was under the rule of Byzantie Emire whose emeror was (Jeant Zimiseces), who took care of it and assigned amilitary governor and gave it high prestige, but this didn't last long so as the Byzantie emperor had left the area and went back to his country in 976 A.D.

The (Saljuks) captured the city in 1070 A.D., and the conflict was flared between them and (fatimids) to control the Syrian Area and so it eas under the control of (Saljuks) and (fatimids) for different times, the situation remained to till the Crusades under the leadership of Tancerd conquered the city at Ashkelon Battle in 1099A.D.

Since Beithsan is considered the key point of the Gallil Area to control the remaining provinces, Tancerd prepared an invasion for this purpose in August 1099 A.D.

In march 1101 A.D. Beithsan (Constituency) was established by Adam the Bethun governor, it was given to him by the king of Jerusalem Baldwin I. It was big area so as Samaria mountains (Nablus) was its Southern boundry and the delta of Yarmouk and Jordan rivers was the northern boundry, the source of Jalout river and Taboun village the Western boundry and the Jordan river from the east.

Its total area was 250 square K.M., then it was extended to contain the area eastern of the Jordan River and Southern of the Yarmouk River.

The (Constituency) followed the Western Constituencies system in which the land lord represent the highest command of authority then the (Feskont) whose responsibility is the security and order.
(al-Muhtaseb) help the (Feskont) and act as his deputy in his absence, supervise road ethics, prevent deception, and assume the judge of the count of the city.

Every village has amayor, the Crusades had found a judicery system that serve their constituencial system and so they established group of courts among them the high court which was founded in Beithsan in 1149 A.D., also the national court, the capital court and the president court.
The Crusades had built the settlements such as al-Beireh and also they built the castles and military towards to defend the constituency in Beithsan, Kawkab al-Hawa, Afarbala, Afula.

The Beithsan constituency had joined the King of Jerusalem in fighting the Muslims in 1101- 1187 A.D. , it had provided 15 Knight riders and 125 soldiers, It also participated in the war against (Fatimids) in the first Ramlah Battle in September 1101 A.D. Its role was acknowledged in the second Ramlah Battle whose leader was Adam, he fought the (Fatimids) in May 1102 A.D. It also participated in capturing Arsouf and Cesarea in 1100 A.D. , Akka in May 1104 A.D., Ashkelon in August 1153 A.D.

The constituency had played are warkable role in the conflict between the kingdom of Jerusalem and Damascus province, it had joined the king of Jerusalem in his repeated raids on al-Sawad province in the years 1105, 1108,1111 A.D.

It also took part in the attacks of Damascus since 1148 A.D. as a result of the military high council desecion in the presence of Hugh of Besan.

The constituency had faced many attacks as arevenge of the agressions of Baldwin II on al-Sawad and Huran provincies such as the attack by Dakkak in 1103 A.D., Dhahear al Din Taghtakeen in 1105 and 1113 A.D., Bezwash in 1131 A.D. and Nur al Din in 1169 A.D.

In the second phase these attack became liberational was when Slah al Din care from Egypt to Syrian and started his raids on Beithsan and Gallili province, these raids carried out by the leaders Ezz al-Din Farukh Shah in 1182 A.D.

The aim of these raids was to weaken the enemy and safe storage of supplies area.This was ended when Salah al-Din managed the conqure of the Jerusalem kingdom in 1187 A.D. and the liberation of Jerusalem even before the start of the battle.

Slah al-Din took Beithsan after Hitteen Battle in 1187 A.D. as aheadquarter base from where he attacks the rest of the castle of the constituency and the Palestinian cities.He appointed Sarem al-Din as his

represintitive who had shared against the third crisades battle in Palestine in 1189 A.D. Which ended in Ramlah cease fire .

Accord in September 1192 A.D. in which the Muslims kept under their control Beithsan and the internal cities.

The governor of Beithsan Ezz-al-Din Osama had played adecisive role in the conflict among the (Ayyubids) after the death of the Sultan Slah al-Din in march 4,1193A.D. He sided with the strongest and that encourged the Crusades to attack Beithsan and the Gallil province in 1201 A.D.

Al-Moazam Isya put in Jail Ezz al-Din Osama and conflicted all his belongings in 1211 A.D.The Beithsan constituency was attacked by the crussades where leader was (John Brain) in 1217 A.D. he took by force the city and seized Tour castle but failedin conquring it, the leader kanded had defended it so bravely.

The citizens of Beithsan togother with the people of Nablus and Hebron had joined in the attack of of the Crusades of Jerusalem in 1229 A.D.

Al-Saleh Najm al- Din Ayyub had ruled it in 1239 A.D. then to the rule of alMoazam Turanshah in 1249 A.D.

In 1250 A.D. the conflict flared between the (Ayyubids) and (Mamluks) on the control of Suria and as a result Beithsan was under the control of al-Naser Dawood. Beithsan came under the occupation in 1266 A.D. and remained so till Qutoz conqured them in Ain Jalut Battle in September15, 1260 A.D.

Mamluks took agreat care of Beithsan so Qutoz appointed prince Shams al-Din as agovernor of the city. Sultan Daher Baibars built the bridges, the post office and land marks as it sided with Mamluken in the war against the Crussedes untill all the Palestinian cities were liberated in 1290 A.D. The people of the constituency were of different desencies of different religions but the political system was based on the (constituent) system of local social norms and habits, and as aresult of colonial occupation, every aspect of life had been affected negatively especialy scinces because the scientests had departured the city, and only velegous teaching were conducted in the churches.

The three pilars of economy were agriculture , industry and trade and they were effected severly by the policies of the colonials through high taxes, and because the constituency was committed to provide horse rides, and supplies for the wars against Muslims in addition to earthquake and diseases.

The constituency had been known of architectural structures, building castles and towers, bridges, landmarks.